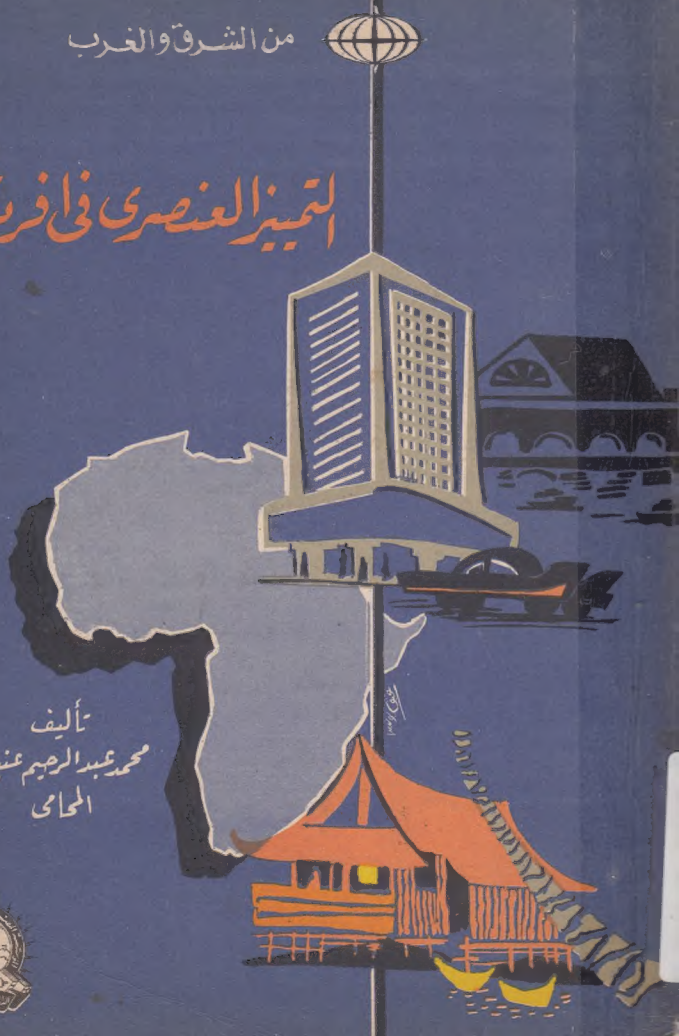


من الشرق والغرب

# التميز العصري في أفريقيا

تأليف  
محمد عبد الرزيم عنبر  
المحامي





من الشرق والغرب

# التمييز العنصري في افريقيا

تأليف  
محمد عبد الرحيم عنبر  
الهامي



الناشر

الدار الوطنية للطباعة والنشر



## مقدمة

ان العنصرية « كفلسفة » أو « عقيدة » ولدت في الشعب اليهودي ،  
واستشهدوا عليها ، بنصوص من « العهد القديم » ، باعتقادهم انهم شعب  
الله المختار .

وجاء بعدهم الأوروبيون الذين استغلوا التعصب الديني في القرون  
الوسطى في حربهم الاستعمارية الكبرى ضد الشعوب الاسلامية بحجة  
انهم ليسوا مسيحيين . وقد كانوا في ذلك - ولاشك - يمارسون التمييز  
العنصري كما مارسه اليهود .

ومن العجيب انه في العصر الحديث اقام هتلر « الرايخ الثالث » على  
نفس العقيدة في المانيا ضد اليهود اصحاب العقيدة ذاتها .

ولما تبددت هذه « الخرافة الدينية » ايد الاستعماريون نفس العقيدة  
« كمبدأ سياسي » اساسه عدم المساواة بين الرجل الأبيض وغيره من  
الملونين أو السود سواء في افريقية أو في الولايات المتحدة ، وهما القارتان  
الوحيدتان اللتان نكبتا بهذه الوصمة الانسانية التي بدأت مطارق المقاومة  
والاستنكار تنزل على رأسها سواء من الشعوب المنكوبة بها ، أو من المحافل  
والاجتماعات الدولية .

وكما كان للاضطرابات التي حدثت في قرية « شاربيل » في اتحاد  
جنوب افريقية في مارس ١٩٦٠ من اثر عميق في جذب انتباه العالم  
والشعوب الافريقية الأخرى الى « جرثومة التمييز العنصري » فان نفس  
الأثر قد كان للاضطرابات التي حدثت في ولاية « الاباما » ، إحدى  
الولايات المتحدة ، في مارس ١٩٦٥ بزعامة الدكتور لوتر كنج العالم  
الزنجي الحاصل على جائزة نوبل للسلام .

ولقد تبارى زعماء العالم ، ومفكروه ، والسياسيون فيه في بيان  
خطر هذه « الجرثومة الخبيثة » على الحضارة الانسانية والسلام العالمي .

فقد حذر لورد كارادون سير هيرفوت ، رئيس الوفد البريطاني في الأمم المتحدة ، من أن الحرب العنصرية التي بدأت في جنوب افريقية وانتشرت في جميع أنحاء العالم تعتبر أخطر كثيرا من الحرب النووية .

وقال المؤرخ البريطاني الكبير « أرنولد توينبي » في مقال حديث له :

« في الحقيقة ان الجرائم التي ترتكب ضد أى جنس من الاجناس البشرية في أى مكان في العالم هو أمر يخص البشرية كلها . فاضطهاد الاقلية الأوروبية للأغلبية الافريقية ليس جرما في حق الأفريقيين وحدهم وانما في حق الجنس البشرى كله . فان ما يجرى الآن في جنوب افريقية وفي روديسيا يثير استياء وضمير الرأى العام العالمى كله . لذلك فان من حق العالم ، بل من واجبه ، ان يتدخل في هاتين الدولتين لازالة هذه الاهانة الموجهة الى البشر كلهم . وليس هناك ما يمنع من استخدام القوة المسلحة كوسيلة أخيرة للتدخل ، اذا لم تفلح الوسائل الأخرى الأقل عنفا » .

وجاء في الميثاق الوطنى عن ذلك :

« ان اصرار شعبنا على مقاومة التمييز العنصرى هو ادراك للمغزى الحقيقى لسياسة التمييز العنصرى . ان الاستعمار في واقع امره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبي بقصد تمكينه من استقلال ثروات الشعوب وجهدها . وليس التمييز العنصرى الا لونا من ألوان استقلال ثروات الشعوب وجهدها . فان التمييز العنصرى بين الناس على أساس اللون هو تمهيد للتفرقة بين جهودهم . ان الرق كان الصورة الأولى من صور الاستعمار . والذين ما زالوا يباشرون أساليبه يرتكبون جريمة لا يقتصر أثرها على ضحاياهم ، وانما يلحقون الأذى بالضمير الانساني كله » .

وبالعالم هذا الكتاب التمييز العنصرى كنظرية ، وأهم التطبيقات لهذه النظرية في افريقية بالذات مشيرا الى جذورها الضاربة في أعماق التاريخ . وافريقية هذه - كما نعلم - هي مهد الحضارة ، وموطن الانسان الاول ! وان كل جهد يبذل في اعطاء صورة واضحة عن « جرثومة التمييز العنصرى » لهو رصيد جديد يشرى الحضارة الانسانية ، ويوقظ الضمير العالمى .

محمد عبد الرحيم عنبر  
المحامى

مايو سنة ١٩٦٦

# الباب الأول الفنصريين العالم والتاريخ

- الفصل الأول - أفريقية مهد الحضارة الأولى
- الفصل الثاني - أفريقية ذات نسيج حضارى واحد
- الفصل الثالث - تجارة الرقيق كمقدمة للاستعمار والعنصرية في أفريقية
- الفصل الرابع - الفلسفة العنصرية بوجه عام





## الفصل

### الأول : افريقية مهد الحضارة الأولى

ان الحقيقة التي أثبتتها التاريخ أن لنشاط سلالة من سلالات الجنس البشرى أثره في نمو الحضارة وتطورها ، وبالتالي امتياز هذه السلالة ، وتفوقها على غيرها . وقد يؤدي هذا الى تقوية مركز السلالة المتفوقة اقتصاديا ، أو سياسيا ، أو عسكريا ، وربما دوليا أيضا . فالمسألة مسألة ظروف وليست مسألة جنس أو تفرقة عنصرية كما يسمونها .

وهناك من يقرر أن فكرة النشوء التلقائي Spontaneous Generation قد طرحها علماء البيولوجيا جانبا منذ امد طويل ، ومع أن هؤلاء العلماء يقرون أن كائنات معينة قد تتطور لأسباب مجهولة ، وتبعث الى الوجود بفصائل جديدة ، الا أنهم مقتنعون اقتناعا عميقا بأن كل الكائنات الحية تشترك في وحدة جوهرية . وحتى حينما يعجزون عن اثبات فكرة الاستمرار Continuity فانهم يسلّمون بصحتها . ومؤدى هذه الفكرة ان كل كائن حي متصل في النهاية بكل كائن آخر (١) .

ومن الخطأ أن نعتقد ان الارتقاء قد حدث بصورة تلقائية في كل أنحاء العالم . بل ان كل مانع عنه عن نمو الثقافات ، وانتشارها انما يبين أن أغلب الجماعات في العالم التي تخطت مرحلة جمع القوت ، ومارست أي فن من الفنون ، أو اية حرفة من الحرف الأساسية انما تدين بالفعل في رصيدها الثقافي لجماعة أخرى مع استثناء جماعة واحدة هي البائدة (٢) .

ومن الواضح أنه لم يكن في العالم بأسره - في قديم الزمان - سوى اقوام تنتمي ثقافتها الى مرحلة جمع الطعام حيث لم تكن بدأت زراعة

---

(١) نمو الحضارة The growth of Civilisation W. I. Perry ترجمة لويس

اسكندر ياشراف وزارة الثقافة . ص ٥

(٢) المصدر السابق ص ٧

ما تحصل منه على قوتها ، أو استثناس الحيوان الذى تأكل لحمه أو تشرب  
وتستغل لبنه .

وبعد عدة آلاف من السنين اكتشف الانسان زراعة النباتات ، وتربية  
الحيوانات الغذائية . وبذلك بلغ من الثقافة مرحلة انتاج الطعام .

وتدل الآثار على أن الارتقاء الكبير فى ثقافة العصر الحجري القديم  
انحصر فى جزء محدود نسبيا من سطح الكرة الأرضية ، كما تدل على  
أن انسان هذا العصر قد عرف النار منذ أزمنة سحيقة جدا وأنه كان  
ينتقل فى جماعات وراء مصادر المواد الخام .

اما أعظم نشاط فى العصر ذاته كان فى مصر . وكان للمصريين  
أسلوب رائع فى شطف الحجر بطريق الضغط . كما أنه لم يكتشف فى  
أى بلد من بلاد العالم صناعة صوانية تماثل فى رقتها تلك التى قامت  
فى مصر وفرنسا وإسبانيا . ومن الجائز أن الاختراعات المتنوعة اهتدى  
إليها الانسان فى آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وبلاد العرب ثم نقلت الى  
أوروبا (١) .

واذا أردنا أن نبحت عن الجهة التى بدأ فيها انتاج الطعام فيجب أن  
نذكر أن شواطئ البحر الأبيض كانت مسرح الارتقاء الأساسى للثقافة فى  
العصر الحجري القديم ، وأن أعظم الحضارات القديمة وأسبقها نشأت فى  
تلك المنطقة (٢) .

يقول الأستاذ اليوت سميث فى الطبعة الثانية من كتابه « المصريين  
القدماء » :

« لقد فعل المصريون أكثر بكثير من مجرد ابتكار الزراعة ، وابتداع  
أقدم الديانات ، وفنون الحكم . فلم يقتصر عملهم على التفنن فى الصناعات  
الخشبية والحجرية ، وفن البناء ، بل يبدو أيضا أنهم عرفوا الكتان ،  
وحرفة النسيج ، واستعملوا الذهب والنحاس ، وصنعوا أدوات ومعدات  
معدينة . وكانوا أول من حسب السنة الزمنية ، وابتكروا التقويم ، ثم  
استبدلوا بالحساب التقريبي الذى يقوم على تاريخ الفيضان السنوى  
قياسا دقيقا يقوم على ملاحظة حركات الشمس . كذلك اخترعوا فن بناء

(١) المصدر السابق . ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .

السفن ، وشيدوا أول مراكب تجوب البحار • وتتجلى أصالة تلك المدنية المصرية فى آلاف التفاصيل التى تتكون منها مدينتنا نحن • فهناك فن الحلاقة ، واستعمال الشعر المستعار ، وارتداء القبعات والأخفاف وأنواع أخرى من الملابس •

وهناك الى جانب ذلك الكثير من الأدوات الموسيقية ، والمقاعد ، والأسرة ، والوسائد ، والمجوهرات ، والعلب التى توضع فيها ، ومصابيح الإضاءة •

كل هذا قليل من كثير من ذلك الميراث القديم الذى انحدر الينا من وادى النيل(١) •

ونحن فى بحثنا عن نشأة أى فن أو حرفة يجب أن نحصر انتباهنا فى الظروف التى كانت قائمة فى المجتمع الذى نظن أنه كان موطن هذه الحرفة أو ذلك الفن • ويظهر هذا جيدا فى حالة اكتشاف استعمال النحاس • فالمعروف أن المصريين فى عصر ما قبل الأسرات كانوا يطلون وجوههم بمسحوق أخضر ، يحصلون عليه من تفتيت خام النحاس الأخضر وصحنه(٢) •

وفى هذا الصدد يقول مستر دونالد ماكنزى أنهم كانوا يعتبرون اللون الأخضر بيعث الحياة • والسبب فى هذا أنهم كانوا يرون أنه لون مياه الفيضان حين تكون محملة بالمواد النباتية القادمة مع النهر من السودان • وبمرور الوقت وجدوا أن ذلك الدهان الأخضر اذا ما صهر أنتج النحاس • ومن هذا المعدن صنعوا الخز ، والشرائح المعدنية ، والدبابيس ، ثم المذى والأزاميل • يعتبر اختراع الأزاميل من أهم الأحداث فى تاريخ العالم • فهو الذى أدى الى التقدم الثقافى العظيم الذى بدأ فى عهد الأسرة المصرية الأولى • ويجب ألا يغيب عن الدهن ، فيما يتعلق باستعمال النحاس فى صنع الأزاميل ، أنه لا يوجد فى أى بلد آخر من بلاد العالم ما يماثل هذا الذى حدث فى مصر • ومن السهل أن يقول قائل ان المستقبل قد يمدنا بأدلة على أن الانسان قد توصل فى جهة أخرى من العالم الى اكتشاف النحاس • وزدنا على هذا أنه حتى نجى

(١) المصدر السابق ص ٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٤٤

ذلك الدليل يجب أن نرضى بهذا الدليل القائم اليوم عمليا ، وهو أن المصريين هم الذين اكتشفوا استعمال النحاس .

ولقد أجمع النقاء على أن المصريين هم أول من بنى سفنا تجرى في المحيط . وليس أبعد عن الصواب من أن يظن بعض الناس أن قدماء المصريين لم يبحروا وادى النيل . فمنذ بدء الأسرة الأولى على الأقل ( سنة ٣٣٠٠ ق م ) كانوا يرسلون حملاتهم الى البلدان الأخرى للحصول على مواد مختلفة يرغبونها . ولهذه الحقيقة علاقة هامة بموضوع نشأة الحضارة وانتشارها . وإلى جانب ذلك فإن أقدم السفن البحرية التي وجدت لدى شعوب أخرى إنما بنيت على طراز السفن المصرية . وعلى هذا فإلى مصر وحدها يرجع الفضل في أنها كانت الرائد الأول في بناء السفن . ولها بحق أن تنال هذا الشرف حتى يقوم الدليل على العكس (١) .

وهناك ابتكاران آخران يعود فضل السبق فيهما إلى المصريين وهما : الحروف الأبجدية ، والتقويم الشمسي . وقد توصل المصريون إلى وضع الحروف الأبجدية في عهد الأسرة الأولى . والمعروف أن كل الحروف الأبجدية الأخرى اشتقت من هذا المصدر الأميل .

أما التحنيط فلاشك في أنه من أهم ما ساهم به المصريون في ثقافة العالم ، إذ تتركز حوله طائفة كبيرة من المعتقدات والمعادن ورد ذكرها في كتاب « نشأة السحر والدين » ويتصل به ما فعله المصريون من تطوير أفكارهم عن الحياة بعد الموت . وبهذا بدؤوا سلسلة من الثقافة ليس في الاستطاعة تقدير نتائجها الهائلة (٢) .

وإذا درس القارئ مؤلفات مثل كتاب « الفن البدائي في مصر Primitive Art in Egypt » للأستاذ كابارت فسوف يقتنع بأن المصريين القدماء كانوا أول من توصل إلى الاختراعات . كما يقتنع بأن مصر إذا قورنت بمجتمعات أخرى من المجتمعات القديمة مثل سومر ، وغيلام ، وكريت فلها بينهم موضع الصدارة ، وكلما ازداد معين معرفتنا وعلمنا تأكد لنا في وضوح أكثر ما كان لهم من سبق وتفوق (٣) .

ومن المستحيل عمليا أن نبين أي عنصر من عناصر الثقافة قد أدخل على مصر من الخارج في ذلك الزمان الصحيح . وقد يبدو هذا القول

(١) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٨ .

جريثا • فان رأى القارىء المتشكك ذلك فما عليه الا الرجوع الى مؤلفات  
مثل كتاب Summer & d Akkad للأستاذ L.W. King وكتابه الثانى  
H.R. Hall Egypt and Western Asia الذى اشترك فيه مع الأستاذ  
حيث يعترف الكاتبان اعترافا حاسما بعجزهما عن التثبت من وجود أى  
تأثير للثقافة البابلية فى مصر •

ويسوقنا هذا الى نقطة بالغة الأهمية فى نظرية ارتقاء الحضارة ،  
وانتشارها ••• فقد اتضح ان مجتمعا واحدا من المجتمعات القديمة لم  
يبلغ ما بلغته مصر فى تملكها ناصية الحرف والفنون فى مجموعها (١) •

ولم ينحصر تفوق المصريين على شعوب عيلام ، وسومر ، وكريت وغيرها  
من الشعوب القديمة المعاصرة ••• فى الأسلوب الفنى فحسب ، بل ان  
ثقافتهم كانت أغنى من ثقافة أى مجتمع آخر ينتمى الى نفس العصر •  
بل ويتجلى هذا التفوق منذ أقدم العصور ، التى يمكن أن تعقد فيها مقارنة ،  
ويظل قائما آلافا من السنين حتى اضمحلت مصر اضمحلالها الأخير ،  
وانتقلت زعامة الحضارة الى أيدى اليونانيين (٢) •

ومما لا شك فيه أن الحضارة المصرية ، فى عصر ميناء ، قد أثرت فى  
حضارة اليونان • يقول الأستاذ آرثر إيفانز :

« عند ما نعلم كم من العناصر المشتقة من العصر المينوى طالت حياتها  
فى أرض هيلاس ( اليونان ) Hellas يتجلى لنا على الفور معنى فضل  
مصر التالدة • وتبدو لنا المؤثرات المصرية التى كانت تعتبر حتى الآن  
مجرد حدث ثانوى ، أصلا قائما فى مهد حضارتنا (٣) •

ويرجع الأغريق أسراتهم الحاكمة القديمة الى أصول فى بلاد تقع  
الى الجنوب منهم وأخصها مصر • فنطالع فى القصص الأغريقى أن دانوس ،  
مؤسس الأسرة المالكة فى أرجوس ، جاء من مصر • وزيادة على ذلك  
كان المفروض أن دانوس هذا ابن ملك مصر ، وابن شقيق ملك فينقيا •  
أى أن الأغريق ربطوا أقدم أسراتهم الحاكمة بالأسرات الحاكمة فى مصر •  
والعروف أن هيرودوت كان مقتنعا أن الأغريق قد أخذوا عن المصريين  
آلهتهم (٤) •

(١) المصدر السابق ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٦٢

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠

وان هجرة الأفريقي داخل قارته ، وإقامته في أنحائها العديدة ، بدأت من سنين ممتدة في القدم ٥٥٠٠ لاسبيل معها الى معرفة الطرق التي اتخذها في تجواله ، أو العوامل التي استجاب لها حين كان يجول جولته ويستقر لأن تكاثر الانسان في أفريقيا ، واستقراره أو هجرته في أرجائها بدأت من ملايين من السنين لا يعرف عددها حتى الآن بشكل قاطع (١) .

وحوالى عام ٥٥٠٠ ق.م. ظهرت على وجه القارة نماذج جديدة من البشرية . وكان أظهر هذه النماذج الزنجى ، أو شبيه الزنجى ، عثر المنقبون على آثاره الباقية قرب الخرطوم الحالية .

وجاءت سنة ١٩٥٨ بأضواء جديدة على سجل ظل حتى ذلك التاريخ مظلم ، كثيف الظلام . فقد رجع لباريس رحالة فرنسي من جولة طويلة في الصحراء الكبرى يحمل مجموعة من صور رائعة التقطها لحفر وصور على الصخور ، أبانت التاريخ البشرى على نطاق وصورة لم يمهدها أحد من قبل . رأى الناس في هذا العرض أساليب متنوعة للتصوير وللحفر على الصخور دلت على سلسلة مذهلة من الشعوب تعاقبت على الصحارى عبر الملايين من السنين .

راوا صورا لنساء ورجال وحيوانات أبدعتها أصابع فنانة حساسة . راوا صورا للحرب وأخرى للسلام . هذه تمثلها القرى والمزارع الخضراء ، يحيط بها الأمن ، وتلفها الدعة . وتلك تمثلها عربات ورماح ودروع حولها صخب وضجيج (٢) .

وأبدع هؤلاء الفنانون الأقدمون فصوروا آلهة بارعة لاشك في أنها أتتهم من مصر القديمة . ويرجع العلماء الذين فحصوا هذه الآثار أن أيديا زنجية صنعتها سنة ٤٠٠٠ ق.م. ، أو بعدها بقليل .

وقد درس هذا الرحالة الفرنسي ، في صبر حميد ، أسلوب التصوير والحفر على الصخور التي عثر عليها ، وانتهى الى أن الصحراء عرفت ستة عشر شعبا وفترة ، لا أربعة شعوب وأربع فترات من الاستيطان فحسب . حقائق ثورية ما خطرت للعالم قبله ، فقد كانت الصحراء حتى ذلك الحين كتابا مفلقا ، ماحسب أحد أن قدما قد سارت يوما ، أو أن الحياة قد سرت ، فيه (٣) .

---

(١) أفريقيا تحت أضواء جديدة . بالل دافدسن . ترجمة جمال . م . أحمد . ص ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق . ص ٤٩ .

## الفصل

### الثاني : افريقيا ذات نسيج حضارى واحد

يعيش الحاميون فى أيامنا هذه فى الشمال الشرقى من القارة • ويكثر شعب البانتو فى الشطر الجنوبى • أما الزنوج فيسودون غرب القارة • وهذا التوزيع للأجناس هو توزيع جغرافى ، أو لغوى ، اقتضته الضرورة العلمية ليتيسر البحث ، وإدراك ماجريات التاريخ القديم والحديث للقارة • ولا معنى مطلقا أن شعبا منها هو أكثر الشعوب شأنا من غيرها •

وبهنا أن نؤكد - كما سبق أن قلنا - أن علو الشأن وانحطاطه فى الشعوب بوجه عام نظرية قديمة لا أساس لها من علم ، أو تاريخ •

ومن باب أولى فى قارتنا بالذات ، التى لها - بعكس غيرها من القارات - نسيج حضارى واحد ، وتاريخ حضارى واحد بدأ من الشمال ثم زحف الى الجنوب على الأرجح • وإن كان هذا لا يعطينا فى كثير أو قليل أمام هذه الوحدة التاريخية ، والحضارية ، والنفسية الواحدة التى أثبتتها العلم ، وأكدها الآثار •

وهناك سبب آخر يدعونا لتأكيد الوحدة الافريقية القديمة ، وهو أن كثيرا مما خلفه الأفريقيون فى الماضى يردده اشباه العلماء الى « شعوب خارج القارة » لا يتبينونها ، ولا يحددونها ، ولا يوضحون أصولها ، ولا يفسرون لنا من أين جاءت ، اذ لم يكتفوا بأن خلقوا أسطورة علو الحاميين على الزنوج ، مدعين أن الزنوج أعجز من أن يقوموا بهذه الآثار الفنية الرائعة على النحاس ، أو البرونز ، أو غيرها • كل شعوب الأرض ادعت ان لها نصيبا من هذه الآثار ولكن التنقيب الحديث قد أثبت بالدليل القاطع أنها كلها من أصول أفريقية بحتة (١) •

(١) المصدر السابق • ص ٥١ •

ولم نشرق الصحراء الكبرى تفقد خصوبتها الا فى الاربعة آلاف سنة الأولى قبل ميلاد المسيح . نضبت مياهها قليلا على مر الأيام ، فجف ما كان يجرى نحو الشرق يرفد نهر النيل ، ويسيل للقرب يرفد نهر النيجر . وأكبر شاهد على خصبها القديم هذه الأحواض اليابسة والمجارى الجافة التى يراها الآن المسافر فى أقطارها المختلفة ، تغطيها الرمال ، وكانت من قبل دافقة المياه . وهجرت الشعوب الأقليم الذى انقطع مورد المياه فيه كما دلت الآثار التى عثر عليها قرب مدينة الخرطوم كما قدمنا . فقد أشارت هذه الآثار بوضوح الى أن أقدم زنوج العصر الحجري كانوا يعيشون هناك حيث اهتمدوا الى فنون العصر وصناعاته ، ووضعوا باكتشافاتهم اللبنت الأولى التى قامت عليها حضارة النيل العظمى .

ولاشك أنهم مشوا خطوات نحو حضارة غير مسبوقه . من صنعهم ، ووحى أرضهم . صنعوا الفخار ، وصنعوا أسنة ذات شرشرة لرماحهم التى صنعوها من العظام ، واستبدلوا بها فيما بعد صنارات كبيرة ذات أسنان ، لها مقابض مثقوبة لصيد الحوت .

وتشهد النوبة الوسطى بصلة الصحراء هذه من ناحية ، وبخصبها من ناحية أخرى . فآثار المياه التى نضبت ، والخضرة التى جفت تراها واضحة حيث ذهبت . والقليل الذى لقيه العلماء هناك يدل على أنها كانت غنية بالآلاف الأبقار والضأن ، ولم تعرف الفقر (١) .

ومع ذلك لم تكن القطيعة المفروضة بين الشمال والجنوب ، بسبب هذا الحاجز الرملى الهائل ، كاملة . فقد كان بين الشطرين طريق للتجارة يتجه من فزان فى الشمال ، الى النيجر فى الجنوب . وكان بينهما طريق على ساحل البحر الأحمر يطوق الجانب الشرقى فى قرن أفريقيا . طريقان استعملا للقارة والتجارة بين الشطرين رغم وجود الصحراء . وكان القرطاجينيون رابطة قوية بين الشطرين تجوب سفنهم الجانب الغربى من أفريقيا ، تربطه بالشمال والشمال الشرقى . ومضت قرون بعدهم عرف فيها أهل الصحراء الخيل حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد ، وعرفت المركبات . وتقدمت الشعوب فى أكثر من مجال (٢) .

ولانريد بهذا ان نوحى بأن شعوب القارة كانت على درجة واحدة من الحضارة أو الثقافة . لا ، اذ لم يكن بد من أن تنمو هذه القارة - الضخمة

(١) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٥ .



الثرامية الأطراف - نموا غير متسق - لايتماثل كل جزء منها مع الجزء الآخر . فبعض الشعوب لم يكن فى وسعها - لحوامل معينة - أن تلحق ببعض الآخر فى سباق التنافس والتقدم . ففى بعضها الغابات والسهول والجبال العالية ، والجو الصمى الملائم ، والرى المتوافر حيث تجرى الأنهار العظيمة والبحيرات الواسعة ، أو تتدفق مياه الآبار العميقة الغنية . وفى بعضها الآخر الجفاف ، والمستنقعات والمناخ القاسى ، والأمراض المتوطنة . وفى شمالها التقت حضارات الهلال الخصيب ، يتفاعل بعضها مع بعض ، وينافس كل منها الآخر ليتفوق ويبدع ، حتى استطاعت شعوب هذه المنطقة أن ترقى الى مفاخر عصر البرونز وبهائه ، لا تحترق الصحراء الكثيفة الا اصدااء خافتة منه ، ونشأت المدن الزاهرة ، وانتشرت المروج الخضراء . وفى الجنوب خمدت الحضارة نوعا أو تخلفت . مع ذلك تدلنا الآثار على أنه حتى غابات بلاد الكونغو الكثيفة ، التى تقوم حولها كالحائط ، قد اخترقها فى قديم الزمان قبائل عديدة لا تعرف لها اليوم اسما .

وكان فى وسع الشعوب الأفريقية أن تهجر ما تكره من أرض غيرها على القارة الفسيحة الضنية بخيراتها ، القليلة - وقتذاك - بسكانها . لم يكن على الأفريقى القديم أن يواجه ما واجه غيره فى القارات الأخرى الكثيرة السكان ، الضيقة الأرض .

وسجل الأفريقى ، مع هذا الترحال وغنى الاستقرار ، حافل بالحركة والنشاط ، لم يعرف الجمود والركود قط . كانت تلك الشعوب الجنوبية المريقة روادا فى الحضارة الذاتية التى لم يقلدوا فيها أحدا . زرعوا حيث لم يزرع قبلهم انسان ، وحفروا الأرض بحثا عن المعادن ، وما راوا أحدا قبلهم يفعل هذا . واثقنوا صيانة التربة على متحدرات التلال ، وروىس الجبال ، وبنوا نظما اجتماعية جديدة ممقدة ، ونقلوا ما جأهم من اخوانهم فى الشمال من نظم وقدرات فنية ، وضافوا اليها جديدا .<sup>١</sup> وكونوا لهم فلسفة وخلقوا ديانات على هدى ما نقلوه ، وما أوحى به اليهم أمزجتهم وطبائعهم وبيئتهم وظروفهم الخاصة . تحمل كلها طابعا أفريقيا واحدا ، لا تشترك فيه ولا تدعيه أية قارة أخرى (١) .

(١) المصدر السابق - ص ٦٥ .

ان نهر النيل الذى ينبع من اواسط القارة الأفريقية يضم حوضه مصر والسودان وأثيوبيا والصومال واريتريا واوغندا وكينيا وتنزانيا في وحدة طبيعية متماسكة ، « يصل بين أجزائها كما تصل النخلة بين جذورها وفروعها » على حد تعبير تشرشل في كتابه « حرب النهر » فى معرض حديثه عن مظاهر الاتحاد بين شعوب هذا الحوض • وليس فى العالم كله بلاد ترتبط ببعضها برباط متين ، وبحزام طويل كهذا ، بل وتدين له بكيانها كله ووجودها كله ، ويتوقف عليه حياتها ، وخصبها ، وحضارتها ، ومستقبلها • ولقد شبهه جون جنتر فى كتابه « داخل أفريقيا » بالقصبة البلعومية أو القناة الهضمية التى تسرى فيها مادة الحياة •

ومن قصيدة فى تمجيد النيل ، ترجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، اقتبس الفقرات الآتية :

حمدا لك أيها النيل الذى يتفجر من باطن الأرض ،  
فهو الذى يسقى المروج ، وقد خلقه الاله لكى يطعم كل دابة وماشية  
ويرسل الماء الى الجهات البعيدة ، فيروى مجدها ، ويطفىء ظمأها •

اله الزراعة ( كاب ) يحبه ، واله الصناعة ( فتاح ) معجب به •  
فلولاه ما ازدهرت الزراعة ولا الصناعة •  
ولولاه ما حصد القمح والشعير ، وامتلات بها الخزائن •  
والويل للأرض ومن عليها حين يقل ماؤه ، ويجيء فيضانه شحيحا  
قليلًا •

هناك تهلك النفوس ، وينادى الجميع بالويل والشبور •  
حتى اذا ارتفع وفاض ، انتشر الفرح والابتهاج فى كل مكان •  
وضع الجميع حتى بست أسنانهم •  
هو الذى أنبت الشجر فى كل بقعة ، ووفر الأخشاب لبناء السفن •  
ولولاه ما كانت الجوارى تشق عباب اليم  
فواعجبا له من ملك عظيم ••• ولكنه ملك لايجبى أتاؤه ا  
ولايفرض ضريبة ••• صادق الوعد ، وفى بالعهد •  
ان الخير الذى يجلبه أجل نقبا من الذهب والفضة ، وأعلى قدرا من  
الجوهر (١) •

(١) محمد عوض محمد : نهر النيل •

وجاء في كتاب « تاريخ الأزمنة القديمة » مؤلفه « ماكس روناكا » :  
« ان سكان جميع مناطق شمال أفريقيا ، وأهالي وادي النيل ، وكذلك  
أراضي المستنقعات الواقعة عند جبال الحبشة .. كلهم شعوب تكون  
فصيلة واحدة ، ولا تزال لغتها الأصلية محفوظة في لغة البربر حتى  
اليوم ، بيد أن شعبة من هذه الفصيلة التي استوطنت وادي النيل وجدت  
من حسن البيئة ومناسبة الوسط ما جعلها تميز غيرها ، وتضع دعائم  
أقدم مدنية عرفها التاريخ » .

وان من يقرأ كتاب الدكتور جورج بوشان ليجد من الايضاحات  
الكثيرة ، والمعلومات الوثيقة ما يبرهن على أن سكان مصر وكل هذه  
المناطق من عنصر واحد (١) .

ويقول بادج ، عالم الاجناس البريطاني ، ان المصري منذ العصر  
الحجري القديم والحديث أفريقي الجنس . وزاد على ذلك بأن قرر أن  
هناك أمورا كثيرة في عادات المصريين القدماء ودياناتهم وسلوكهم تحمل  
على الاعتقاد بأن الموطن الأصلي لأجدادهم قبل التاريخ كانت أرضا تقرب  
من أوغندة الحالية ، وبلاد بونت التي هي بلاد الصومال في الوقت  
الحاضر (٢) .

\* \* \*

ومنذ أن عرف العرب افريقية لم تنقطع صلتهم بها . ولما جاء الاسلام  
توثقت عرى هذه الصلة القديمة ، اذ لم يعد أهل الجزيرة العربية وحدهم  
هم الذين يقصدون افريقيا للتجارة بل صار أهل افريقيا يقصدون الجزيرة  
العربية للتجارة أيضا ، كما يقصدونها للحج والسياحة . وكان للعرب  
المسلمين في افريقية ممالك وامارات امتدت حتى المحيط الاطلنطي . ويقدر  
البعض ان ٨٠٪ من سكان افريقيا فوق خط الاستواء ، و ٥٠٪ منهم  
تحت هذا الخط مسلمون . وكان للعرب وحدهم حضارة زاهرة في  
الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في بحر الظلمات والجهل . ومن  
المؤكد ان حضارة العرب - كما كانت حضارة المصريين والافريقيين  
القدامى - نبراسا لحضارة الغرب الحديثة في العلوم والفنون .. هذه

(١) كتاب « تاريخ مصر وأفريقيا في العصر الحديث » د - علي ابراهيم عبده - ص ٨

(٢) المصدر السابق - ص ٩

الحضارة التي يتباهون اليوم بها علينا ويدلون ، ولا يريدون أن يعترفوا بأنها بضاعتنا ردت إلينا .

فمنذ ظهر الاسلام خرج العرب من شبه جزيرتهم ، تدفعهم حماسهم الى نشر الاسلام وسقطت في أيديهم أيضا الفرس والروم وعبروا الى أفريقيا وتابعوا زحفهم الى المغرب ثم عبروه الى الأندلس : الباب الجنوبي الغربى لأوربا .

ثم استقل شمال افريقية العربى عن أسبانيا العربية ، ونشأت دول عربية متعددة فى المغرب مثل دولة الإدراصة فى مراكش ، والأغالبة فى تونس .

وفى القرن العاشر الميلادى ظهرت الدولة الفاطمية التى زحفت من تونس الى مصر وضمتهما فى وحدة سياسية مع أجزاء من آسيا زمنًا غير قصير .

ولم يقتصر العرب على السيطرة على شمال افريقية بل توسعوا نحو الجنوب لتأمين حدودهم ، والسيطرة على القوافل التجارية التى كانت تنتقل بين شمال القارة ووسطها . وكان اتجاه العرب صوب الجنوب أمرا طبيعيا .

ومنذ ان فتح عمرو بن العاص مصر فى القرن السابع أرسل قواته لغزو النوبة . وكذلك توغل العرب من مراكش جنوبا حتى وصلوا الى مصب السنغال فى القرن العاشر . وقد أدى هذا الى نشر الاسلام فى حوض النيجر الأعلى . كما توغل العرب من فزان حتى كانم . وكذلك تقدموا جنوبا فى حوض النيل فى القرن الحادى عشر حتى وصلوا الى دارفور وقد اتجهوا شرقا فى النطاق الرعوى حيث التقت الموجتان المغربية والمصرية وتعاونتا على نشر الاسلام هناك .

ولم يلبث المهاجرون من العرب أن أوغلوا فى أنحاء القارة الافريقية المتاخمة للساحل الشرقى فشقوا طريقهم الى بلاد الحبشة ، وإلى أوغندا وتنزانيا ، وإلى مالاوى ، بل الى أقصى القساسة الافريقية جنوبا حتى مستعمرة الكاب . وليس أدل على ذلك من ان العرب ينتشرون فى جزيرة ( مالاچاشى ) مدغشقر ، وقد تكون منهم ومن الأجناس الأخرى ما يعرف بالجنس الملاجشى .

والرابطة الاسلامية ، فى افريقيا اليوم تضم ما يزيد على ١٢٠ مليوناً من ٣٠٠ مليون سكان القارة . وينتشر هذا العدد الكبير من المسلمين فى مصر ، والسودان وليبيا ، وتونس والجزائر ، والمغرب وزامبيا ، وسيراليون ، وليبيريا ، وغانا ، ونيجيريا ، وغينيا ، والسنغال ومالى ، وتشاد ، والصومال ، وأثيوبيا ، وأوغندا ، وكينيا وتنزانيا ، وزنجبار ، وموزمبيق ، ونياسالاند ، ومدغشقر ، وجنوب أفريقيا .

ولا ننسى ان هناك ملايين الافريقيين الذين يتكلمون اللغة العربية ، وهى أقدم لغة حية فى القارة ، وقد دخلت الى أطرافها الشرقية قبل الاسلام ، وتركت آثارها فى لغات الحبشة ، والصومال وزنجبار . ثم غمرت أرض أفريقيا مع الفرسان المسلمين أولاً ثم مواكب النور والحضارة الاسلامية ، وبعد ذلك على أيدي علمائهم وفقهائهم . وعلى الرغم من أن إقليم السنغال يتحدث لغة محلية مختلفة أصولها عن العربية إلا أنه تنتشر فيه كتابات تحفيظ القرآن الكريم . وعلى امتداد تخوم السنغال الجنوبية تنتشر قبائل الطوارق ، وشعب « الحوصا » فى اتجاه نيجيريا وبحيرة تشاد . ومع ان قبائل الطوارق والرحالة لها أيضاً لغتها الخاصة ولكن لكل قبيلة منها فقيه يعلم أطفالها القرآن والحديث . أما الحوصا فان لغتها الخاصة فى الواقع تحريف لألفاظ اللغة العربية . وفى مدنها الكبيرة مثل كانو ، وكادونا ، يحرص القوم على أن يتكلموا العربية ، ومنهم الفقهاء فى الدين وعلماء اللغة . وفى مناطق السودان الجنوبي الواسعة نجد أن لكل قبيلة لهجتها الخاصة ، ولكن لغة التفاهم بينهما جميعاً « عربية » . كما ان هناك كتلة بشرية هائلة فى وسط وشرق وغرب افريقية تتكلم ، وتكتب لغة تعتبر فرعاً مباشراً من اللغة العربية ، وهى اللغة السواحلية ، التى هى فى مجموعها أقرب اللغات الى اللهجة العربية فى جنوبي السودان ، وتمتاز عنها بانها لغة مكتوبة ، متطورة ، فيها شعر ونثر وإغان ، وكتب ، وجرائد .

وهناك رابطة أخرى تربط جميع أجزاء القارة الآن ، هى وحدة الكفاح ، وحمل السلاح ضد المستعمر القديم والجديد . أى وحدة المصير . وحدة الأمل والألم .

ولولا أصالة وعمق جذور تلك الوحدة الافريقية القديمة والجديدة ، وحدة النسيج الثقافى والأصل الحضارى ما شهدنا اليوم هذا التقارب العجيب ، بين شعوب مرقها الاستعمار ، وبث بينها من أسباب وبذور

الفرقة والاحقاد مالم يفعله فى أى مكان آخر فى العالم حتى جعل بعضهم ينسون قوميتهم ولغتهم وروحهم الافريقية ، وتذوب شخصيتهم وعقليتهم فى شخصية وعقلية المستعمر .

فمن أجل اضعاف الروح القومية ، لقن اطفال المستعمرات الفرنسية السابقة خصوصا أناشيد مسمومة لتقديس فرنسا ، كانوا ينشدونها صباح مساء . وتحتوى هذه الاناشيد على مجموعة ضخمة من الشتائم الموجهة الى التاريخ الافريقى ، والتحقيق للشعب الافريقى .

ولنسمع - مثلا - النشيد الذى كان يردده اطفال مدارس داهومى كل صباح :

سلام عليك \*\*\* يا ارض داهومى  
أيتها الأرض المقدسة حيث يرقد أجدادنا  
لقد تبنتك فرنسا كنفسها  
ونحن كابناء لها يجب أن نفرح  
ومنذ ذلك اليوم دب فينا الأمل  
فى أن نستحق ما فعلته فرنسا من أجلنا  
ومن صميم قلوبنا نقول لك يا فرنسا  
منذ الآن تستطيعين أن تعتمدى علينا  
يا أبناء داهومى فى الريف والمدن  
لنتذكر دائما أننا فرنسيون !  
وسنبقى فرنسيين \*\* فرنسيين الى الابد !  
وهذا أيضا نشيد آخر أكثر بشاعة :  
يا فرنسا ان يدك القوية قد حطمت قيودنا  
كان الطغاة يبيعوننا كالحوانات !  
كانوا يقتلون أولادنا ، ويبتاعون أملنا  
فجئت أنت ، وعنتقتنا ، وجعلت منا بشرا !  
اننا نجبك كما نجب أمهاتنا  
لانه لك يعود الفضل  
فى القضاء على بؤسنا !

أجل ! ان وحدة نسيج أفريقية الثقافى والحضارى ، رغم كل ذلك ، قد تغلبت فى النهاية ونمت جذورها الأصيلة ، حتى ظهرت أخيرا عالية شامخة فى مؤتمر القمة للدول الأفريقية المستقلة الذى انعقد فى أديس

أبأبا فى مايو سنة ١٩٦٣ ، والنذى اشتركت فىه ثلاثون دولة افريقية مستقلة هى : اثيوبيا ، الجزائر ، الجمهورية العربية المتحدة ، السنغال ، السودان ، الصومال ، الكمرون ، الكونغو ، ( برازافيل ) ، الكونغو ( ليوبولدفيل ) ، النيجر ، أوغندة ، بوروندى ، تشاد ، تنزانيا ، تونس ، جابون ، جمهورية أفريقيا الوسطى ، داهومى ، رواندا ، ساحل العاج ، سيراليون ، غانا ، غينيا ، فولتا العليا ، ليبيريا ، ليبيا ، مالى ، ملاجاشى ، موريتانيا ، نيجيريا .

ورغم اعتذار المغرب وتوجو عن الاشتراك فىه ، لأسباب خاصة ، إلا أنهما انضمتا فيما بعد الى « منظمة الوحدة الافريقية » التى انبثقت من هذا المؤتمر .

ان حضارة أفريقية الواحدة جعلت هذه الوحدة طبيعية ، وحتمية ، رغم كل العوائق والعقبات بل جعلت أفريقية المتحدة التى تمتد من دكاكر الى كيب تون ، ومن المغرب الى رأس الرجاء الصالح أمل كل أفريقى .

ان اختلاف اللون لا ينفى أن الدماء التى تجرى فى عروقهم جميعا هى دماء أفريقية ، تنبض بحب قارتهم .

## الفصل

### الثالث : تجارة الرقيق كمقدمة للاستعمار والعنصرية

لم يعرف المؤرخون على وجه التحديد متى بدأت تجارة الرقيق في داخل افريقية ، وبين أهلها انفسهم حين كان يمارسها أبناء القارة لانفسهم .

ولكن المقطوع به ان هذه التجارة لم تأخذ شكلها البشع الواسع ، الا على يد الرجل الأوربي الذي دخل القارة مستكشفا ، ثم تاجرا ، ثم غازيا ومستعمرا .

ذلك أنه قبل أن تطأ أقدام الأوربي أرض افريقية كان الرقيق عضوا حيا في المجتمع ، وله مكان معين تحدده العادات والتقاليد .

فقد قسم فلاسفة اليونان الجنس البشري الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع . وقالوا ان الثاني ما خلق الا لخدمة الأول . وجعل أرستو الرق نظاما ضروريا . فهو يرى أن الغرض الذي ترمى اليه الدولة انما هو مساعدة المجموعة لتحيا حياة سعيدة ، وانه من الضروري اتخاذ الأرقاء للقيام بأعمال الدولة التي تستدعي مجهودا - جسمانيا . لذلك اتخذ اليونان الرقيق من أسرى الحروب على حين تقلد اليونان مناصب الدولة الهامة ، وغازوا بعضوية المجالس الدستورية (١) .

اما الرومان ، فعلى الرغم من اعتقادهم ان الناس خلقوا احرارا ، فان الرق في نظرهم هو نتيجة الأسر ، أو الميلاد ، أو الدين ، أو الفرار من الجيش .

وكان عند اليهود نوعان من الاسترقاق : استرقاق بعض افراد منهم لارتكابهم خطيئة من الخطايا المحظورة عندهم شرعا ، واسترقاق غير اليهود الذين يؤسرون في حروبهم التي كانوا يقيمونها بغير مسوغ ،

---

(١) النظم الإسلامية . د . حسن ابراهيم ( بالاشتراك ) . طبعة أولى . ص ٢٥٩ .



فكانوا يبيعونهم كما يباع المتاع ، سواء فى ذلك العبيد المستخدمين فى المنازل أو الحقول .

ثم جاء المسيح عليه السلام يعرض للرق ، ولم يعمل على الفسائه أو تقليده . لذلك لم تثر المسيحية ، باعتبارها عقيدة ونظاما للحياة ، أية معارضة لنظام الرق فيما عدا بعض ملاحظات قليلة حول عصيان العبيد، واستداء النصح للسادة أن يحسنوا معاملة الرقيق . والواقع ان دخول المسيحية الى أوربا لم يغير شيئا من وضع الرقيق ولا فيما يختص بالرهينة. فقد أصبح فى وسع العبد أن يصبح حرا طليقا اذا اعتنق الرهينة ، بل منع الزواج بين الأحرار والرقيق منعاً باتاً . كما أن الكنيسة نفسها كانت تملك الرقيق ، بل واقرت صراحة شرعية الرق . واعتمادا على سلطان الكنيسة استطاع أثرياء أوربا الاحتفاظ بأملاكهم من « الرقيق » بحجة أن ذلك يمنع السرقة والاستجداء .

وباسم الكنيسة أيضا استطاع المسيحيون المثقفون فى الولايات الجنوبية من أمريكا الشمالية ممارسة ابشع أنواع الظلم والقسوة فى معاملتهم لعبيدهم ، وما كان المسيحي الأوربي ليعترف بشرعية العلاقة التى تنشأ بينه وبين إحدى امائه .

ولا يختلف نظام الرقيق عند العرب فى الجاهلية عنه فى الأمم الأخرى .

فقد كان الرق فى الجاهلية نتيجة الأسر فى الحروب . ويجوز مع ذلك استرقاق العربى للعربى ، بخلاف ما كان عليه الحال عند الرومان الذين كانوا يحرمون استرقاق الرومانى للرومانى . وكان من عادة العرب فى الجاهلية أنهم يجزون ناصية الشريف الرقيق عند اطلاقه . كذلك كان الاسترقاق نتيجة للشراء . ولذا كانت تجارة الرقيق من موارد الثروة عند القرشيين فى الجاهلية . وجرت العادة أن يولد ابن الرقيق رقيقا . وكان الأرقاء فى الجاهلية محرومين من كافة الحقوق المدنية ، ومن التصرف فى شئونهم الخاصة . وكان العبد يتحرر اما باعته سيده له مكافأة منه على عمل عظيم قام به ، أو لشجاعة فائقة أظهرها فى القتال، أو لاخلاصه الشديد لمولاه . ومن أنواع التحرير ما يسمى «السائبة»<sup>(١)</sup>

---

(١) هذه التسمية مأخوذة من تسبيح الدواب ، وهو تركها تذهب وتجيء

حيث تشاء .

وهو أن يعتق السيد العبد فلا يكون بينهما عقل (١) ولا ميراث . ويجدر بنا أن ننوه هنا أن الرق عند العرب ليس معناه التمييز العنصرى، أو عداوة الجنس حسب مفهومه الحالى . فإذا قالوا « العبد » فانهم يقصدون الأسير مهما كان لونه أو جنسه .

ولم يبلغ الاسلام نظام الرق ، ولكنه عنى بالأسرى أيما عناية ، وإحاطهم بسياسج من عدله ورحمته . فقد نزل الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التى ترمى الى الرقيق (٢) .

وكان الأسرى فى الحرب مصدر الرق فى الاسلام . وقد أصبح فى أيدي العرب عدد من الأسرى نتيجة الحروب التى قامت فى صدر الاسلام . وكان مصير الأسير إما الفداء أو الاسترقاق .

وقد سوى الاسلام بين الناس على اختلافهم ، فلم يفرق بين الأبيض والأسود ، والبدوى والمتحضر ، والحاكم والمحكوم ، والرجال والنساء ، كما حفظ حق المعاهدين . وجعل الله المؤمنين أخوة ، لاتفاضل بينهم الا بالتقوى ، يقول رسول الله (ص) فى خطبة الوداع : « أيها الناس . انما المؤمنون أخوة . ان ربكم واحد ، وان أبائكم واحد . كلکم لآدم وآدم من تراب . ان أكرمکم عند الله أتقاكم . ليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » . لذلك لايجوز للعربى أن يأسر العربى ، ولا أن يأسر المسلم المسلم ، وانما يصح الأسر اذا ما قاتل العرب الكفار .

ويقول الشيخ عبد العزيز جاویش : « ان الشرع لايبیح أن يسترق مسلم أصلا . ثم انه لايبیح بعد ذلك الا استرقاق أسرى حرب شرعية لم تقم الا على اعلاء كلمة الله تعالى ، مراعى فيها أن تكون مسبقة باعتداء غير المسلمين عليهم . أما استرقاق غير المحاربين ممن لا کتاب لهم ولا شبهة كعبدة الأوثان فقال مالك والشافعى وأحمد فى إحدى روايتيه : أن ذلك لايجوز مطلقا » .

أضف الى ذلك ان الرسول (ص) قد أمر بأن يؤذن بلال الحبشى على ظهر الكعبة . وكان قبل عتقه رقيقا . كما ولى الرسول أسامة ابن زيد ابن حارثة ، وهو مولى حديث السن ، جيش المسلمين وفيه وجوه الصحابة ، وقد ترجل أبو بكر بجانيه حتى لقد قال له أسامة : ياخليفة رسول الله

(١) العقل = الدية .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

والله لتركب أو لا تنزل . فقال أبو بكر « والله لا تنزل ، ولا أركب » . وقد زوج الرسول - من قبل - مولاه زيد بن حارثة - أبا أسامة - زينب بنت جحش ابنة عمته ، ثم تزوج الرسول بها فيما بعد رغم أنها كانت زوجة ولده بالتبني .

إن الإسلام ضيق مجال الرق كثيرا عما كان من قبل وفتح مجالات تحريره وأمر بحسن معاملة الرقيق والأسير وسوى بينه وبين مولاه في الطعام ، والشراب ، واللباس ، والتعليم ، والتعذيب ، وفي معظم الحقوق المدنية ، اللهم إلا في الرياسة . كما حض المسلمين على معاملتهم بالحسنى وحذر من إساءة معاملتهم . بل وكان من اختصاص المحكم أن تقضى بتحرير الرقيق إذا ثبت أن سيده قد أساء معاملته . كما جاء في الشريعة اعتناق الرقيق في حالات كثيرة ، تشجيعا على تحرير الرقيق ، كالتكفير عن حنث اليمين ، أو كفارة عن بعض الذنوب ، أو وفاء لنذر أو تقربا إلى الله ومثوبة .

وأهم من كل ذلك كان الرق في الإسلام عارضا ، ولذا عمل على مساعدة الأرقاء على استرداد حريتهم بوسائل معينة كالكتابة ، وهي أن يتفق الرقيق ومولاه على مبلغ معين من المال يسدد في أجل محدود ، فيصبح العبد حرا . وقد أجمع فقهاء المسلمين على أن مكاتبه العبد مستحبة ، وللإمام ابن حنبل في رواية أنها واجبة متى طلبها العبد . ويشترط الفقهاء أن يراعى في عقد الكتابة حال الرقيق . وثمة طريقة أخرى لتحرير العبد وهي « التدبير » أى أن يوصى السيد حال حياته بأن يكون عبده حرا بعد موته . واتفق الأئمة على أنه لو كان في يد إنسان غلام بالغ عاقل وادعى عليه أنه عبده فكذبه الغلام ، فالقول للغلام مع يمينه أنه حر ، تطبيقا لقاعدة « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » (١) .

ومؤدى هذا صراحة أن الإسلام يعتبر حرية الإنسان هي الأصل ، وأن الرق هو العارض ، فكل من ادعاه بالبينة ، واكتفى ممن أنكر باليمين . وكان هناك طريق « الجزية » التى تفرض على أهل الذمة . وذلك يدفع مبلغ معين من المال ، وتقديم عدد من الرقيق . يتجلى ذلك في معاهدة الصلح التى عقدت بين عمرو بن العاص وملك النوبة .

(١) المصدر السابق . ص ٣٦٤ .

وللإسلام عدا ذلك وسائل شتى لتحرير الرقاب . فقد جعل الشارع من مصارف الزكاة عتق الرقاب بأن يعطى الحاكم للرقيق المكاتب ما يستعين به على فك رقبتهم ، وأن يشتري الحاكم بمال الصدقة العبيد ليعتقهم . كما أن الرقيق إذا بلغ سنا معينة أعتق وأصبح يعيش معيشة أي فرد آخر في أسرة معتقة .

وقد سار الخلفاء الأمويون على نهج الخلفاء الراشدين . وكذلك الخلفاء العباسيون ولم تكن عندهم تفرقة عنصرية ، فأم المأمون فارسية ، وأم المعتصم كانت تركية ، وأم المتوكل رومية .

وقد اعتمد ولاية مصر وسلطانها على الرقيق في جيوشهم ، فأكثروا من السودان والأتراك والروم والصقالبة . وكان الخليفة العزيز بالله الفاطمي أول من جلب المالكي إلى مصر . ثم جاء الأيوبيون ، وكانوا غرباء في البلاد ، فراوا أنفسهم في حاجة إلى الاعتزاز بهؤلاء الأرقاء . وأكثروا منهم ليكونوا جيوشا يعتمدون عليهم . وقد بلغ ما اشتراه السلطان نجم الدين أيوب منهم حوالي ١٢٠٠٠ رقيقا ، وبنى لهم ثكنات في جزيرة الروضة حين شكى الناس منهم ، فاطلق عليهم اسم « الممالك البحرية » أو « ممالك النيل » . وقد عنى الأيوبيون بتعليمهم حتى نبغ منهم كثيرون في الفلسفة والعلوم والفروسية ، وتقلدوا المناصب العالية . ومنهم كانت شجرة الدر ، زوجة السلطان نجم الدين . وقد تولت سلطنة مصر سنة ٦٤٨ هـ ( ١٢٥٠ م ) ، ثم تزوجت من عز الدين أيبك التركماني ، وفوضت إليه أمور المملكة . ثم نزلت له عن حكم مصر بعد ثمانين يوما برهننت فيها على كفاءة ممتازة ، وحكمة نادرة في تصريف الأمور (١) .

ويقول J.B. Trend في بحث من كتاب « تراث الإسلام » (٢) : « كثر التزاوج بين المسلمين والمسيحيين . فقد تزوج عبد العزيز ابن موسى بن نصير وغيره من قادة الحملة ( على أسبانيا ) من عائلته وتزاج (٣) ، وأصبحت أمهات الجيل التالي أسبانيات ، وأصبح مسلمو الأجيال التالية أميل إلى أن يتخذوا أمهات أبنائهم من أولئك الأسيرات الشفراوات . وقد درس الأستاذ ريبيرا سجلات سوق الرقيق في قرطبة ،

(١) المصدر السابق . ص ٣٧١ .

(٢) تراث الإسلام . ترجمة لجنة الجامعيين لنشر العلم . ص ١١ .

(٣) ولما هو آخر ملك قوطي لاسبانيا وسمى مورخو العرب زوجة عبد العزيز ابن موسى بأم حاسم .

في فترات متعددة ، واستبان أن شراء الجارية لم يكن بالعملية السهلة ، بل كان من الواجب أن يتم بحضور كاتب العقود . وكانت الأسباب التي تطلب من أجلها الجارية تبين وتوضع موضع الاختبار ، « وموقف الاسلام من مشكلة الرق البشرى في صوره المختلفة . . في صورته البدائية ، وهى البيع والشراء للانسان . . وفي صورته الغير مباشرة وهى صورة الاسترقاق فى القيادة والتوجيه عن طريق الافقار والاذلال تحت تحكم نزعة الاستغلال والاحتكار ، وفي صورته الجماعية وهى استعمار الشعوب والتحكم فى مصيرها - وموقف الاسلام من هذا كله يحدد الرعاية التى أولاها لمتق الرق ومحاربة الاستغلال والقضاء على الاحتكار ، والدفع الى مقاومة المستعمر وتحرير الجماعة . وذلك لكى ينهض الفرد ، ويستعيد مستواه البشرى ، ولكى تنهض الجماعة وتستعيد كرامتها البشرية » (١) .

أما على يد الرجل الأوربى فقد أصبحت هذه التجارة « عملية امتلاك وحشية » كما وصفها المؤرخون ، وكما دلت الوثائق التاريخية . ومما لاشك فيه أن تجارة الرقيق يفهمها الحقيقي كانت من اختراع الفكر الأوربى ، وتنظيمه . ويقال ان « الفونسو جونزاليز » البرتغالى الأصل كان أول من بين لقومه فى عام ١٤٣٤ أن فى امكانهم أن يجعلوا من الأفريقيين سلعة يتاجرون فيها . ولقد اختطف فى عام ١٤٤٠ اثنى عشر أفريقيا ، وضم اليهم امرأة من جنسهم ، على الشاطئ أملا فى أن يراها بنو قومها فيسارعوا الى محاولة انقاذها فيصطادونهم ! . وبالفعل ظهر فى اليوم التالى مائة وخمسون أفريقيا أمطروهم وإبلا من الحجارة ففر الصيادون البرتغاليون بجلدهم !! (٢) .

وسرعان ما حذا الأسبان بدورهم حذو البرتغاليين . ثم لحق بهم الهولنديون ، والفرنسيون والانجليز ، والألمان ، والدانيماركيون ، والسويديون .

ويعتبر القرن الخامس عشر هو فترة كشف الساحل الأفريقى . فبعد سقوط سبته (٣) قاد هنرى - الابن الثالث لجوا - النهضة البحرية

(١) د . محمد البهى : الدين والحفارة الانسانية ص ١٨٤ . ط . الهلال .

(٢) د . أ . ابراهيم : كيف تفكر أفريقية . ترجمة خيرى حماد . ص ١٢٨ .

(٣) فى منتصف عام ١٤٩٥ أصدر جوا الأول - من الأسرة المالكة البرتغالية - فراوا بغزو « سبته » فى شمال أفريقيا . وفى ٢١ أغسطس سقطت هذه المدينة فى يوم واحد بعد هجوم شديد .

البرتغالية التي بلغت أوجها في نهاية القرن بأول رحلة لفاسكودى جاما إلى الهند .

وفي سنة ١٤٤١ وصلت أول حمولة من الأسرى الأفريقيين لبيعها في سوق النخاسة إلى ميناء « لشبونة » .

وقد تركز اهتمام البرتغال في افريقية حتى سنة ١٥٥٠ في الأراضي التي سبق اكتشافها . أى في المنطقة من رأس بلانكو ( الرأس الأبيض ) إلى الكامبيرون . وفي سنة ١٤٨٠ توجه البحارة البرتغاليون إلى سانت كاترين . ومن المرجح انهم انشئوا علاقات مع جزيرة سسأوتومي البريطانية .

وقد ألقى جوا الثاني في العقد الثامن من القرن الخامس عشر السيطرة على ٢٠٠٠ ميل من الساحل ، والتي أسمتها البرتغال فيما بعد أراضى ( غينيا ) ، ومنذ ذلك التاريخ رفضت البرتغال بإصرار وعناد أى تدخل أجنبى في هذه المناطق التي اعتبرتها ملكا خاصا لها .

وفي سنة ١٤٨٣ اكتشف البرتغاليون الكونجو ، ووجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام دولة من الدول الكبرى التي تقع جنوبى الصحراء الكبرى وهي ( باكونجو ) التي تسمى الآن سلفادور فى انجولا(١) .

وما ان اكتشف كريستوف كولمبوس أمريكا حتى انتشرت مراكز تجارة الرقيق فى « أرجيوم » ، و « سسنتياجو » و « ساوجورج » و « ساوتومية » ثم امتدت إلى الكونغو وغينيا وإنجولا تبعا لاحتياج الأراضي الشاسعة الأطراف فى البرازيل إلى أيد قوية ، تعمل فى مزارعها تحت جو قاس مماثل للجو الذى يعيش فيه الأفريقيون(٢) .

وقد استبدل البرتغاليون بتجارة الذهب تجارة الرقيق لصعوبة التجارة الأولى ، وضمان الربح فى التجارة الأخيرة .

وقد زرع الرقيق اقصب السكر فى البرازيل . فمن إنجولا وحدها وصل إلى البرازيل حوالى مليون رأس من الرقيق فى السنوات ما بين ١٥٨٠ - ١٦٨٠ ، حتى كان يقال : « لاوجود للبرازيل بغير السكر ، ولا وجود للسكر بغير رقيق إنجولا » ومن الكونغو أيضا حملت السفن

---

(١) تاريخ أفريقيسا . تأليف رولاند أوليفر وجون فيج . ترجمة د . عقيلة محمد رمضان .

(٢) دفاع من الزوج . تأليف أحمد محمد عطية . ص ٣١ .

فى تلك الفترة حوالى نصف مليون من الرقيق • وفى السنوات من ١٦٨٠ - ١٨٣٦ نقلت السفن البرتغالية حوالى ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة من أنجولا والكونغو وحدها ، وقيل ان عددهم بلغ ٤٠٠٠٠٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠٠٠٠ من جميع أنحاء القارة • وبوجه عام فإن ٥٠ ٪ من هذا العدد الضخم صدر الى البرازيل ، ونحو ٣٠ ٪ صدر الى البحر الكاريبي • وكان الحصول على الرقيق يتم بطرق مختلفة • فكان فى متناول الحصون الداخلية أن تحصل عليهم حيث يحضرهم الرؤساء الأفريقيون ، أو وكلاؤهم للمقايسة عليهم بالبضائع الأوروبية المصنوعة • وكانت هذه الطريقة أقل نجاحا فى أنجولا منها فى ساحل غينيا المتقدم تجاريا •

أما الطريقة التى كانت سائدة فتتلخص فى ارسال التجار الوطنيين الى الداخل ، حيث أقام المستعمرون الفنادق الأوروبية ، ومعهم بعض الخدم يحملون البضائع للمتاجرة • • والمقايسة على الرقيق !

ولم يتورع البرتغاليون الانتهازيون عن أن يثيروا فتنا أهلية فى داخل البلاد بين القبائل أو بينهم وبين رؤساء هذه القبائل حيث يحصلون على الأسرى بلا ثمن • • كمقاتم حرب !! • • وكانوا يسمون هذه الفتن « حروب النصر » ، حتى يرسلوا أسراها الى أمريكا بواسطة « مقاولين » •

وكان هناك مورد آخر للرقيق فى الأراضي الكثيفة السكان ، والتى كان يمنحها التاج أو الحاكم للجند أو لرجال الدين • فالضرائب التى كانت تفرض على رؤساء القبائل فى تلك الأراضي كان يمكن أن يدفع كلها أو بعضها « عينا » • • أى رهوسا من الرقيق ! • • كان هؤلاء الرؤساء يضطرون الى عمل « مزارع » يربون فيها صفار الرقيق حتى يمكن جمع أكبر عدد منهم بدلا من الضرائب !! •

وكان هؤلاء الرقيق « يودعون » فى « معتقلات » أو « حظائر » مكتوفة لا تختلف عن حظائر الإنعام •

وكان ارتفاع سعر الرقيق فى موزمبيق - فى القرن التاسع عشر - نتيجة « قانون العرض والطلب » ! •

وقال أحد قناصل بريطانيا فى الكونغو : « ان أبة دولبة أوروبية تستطيع أن تمتلك أى جزء من أفريقيا بالتمشاش والخور • • • ومنها من استولت على مساحات كبيرة نظير أثواب مطرزة ومجموعة من المناديل وأغطية الرأس وزجاجات الخمر » (١) •

(١) دفاع عن الزواج المصدر السابق • ص ٣٢ •

وقد وصف الدكتور « كارل بيزرز » الألماني ، الذي استولى على شرقي إفريقيا بموجب معاهدات وقعها مع حكام هذه البلاد ، الطريقة التي كان يتبعها هو وأمثاله من الاستعماريين لسلب حرية تلك البلاد وحرية أهلها، بأنها تبدأ بارسال بعض الهدايا الى الحاكم المحلي قبل دخوله البلد ، ثم يطلب التصريح له بإقامة معسكر له ولجنوده . وعندما يصل يقيم حفلا شائعا يجمع بين أطايب الطعام والشراب وأقصر الملابس . ثم يدعو الحاكم الإفريقي « لتشريف » هذا الحفل « المتواضع » الذي يزعم أنه أقيم خصيصا على شرفه . وفي هذا الجو « الودي » .. وبعد ان تلعب الخمر برأس الحاكم ، وتجذب الهدايا نظره .. يعرض المندوب الاستعماري ، صاحب الحفل ، على الحاكم أو رئيس القبيلة معاهدة مكتوبة باللغة الألمانية التي يجهلها الحاكم واتباعه .. فيوقع عليها دون أن يفهم شيئا مما فيها من بنود تتضمن « صك العبودية » لبلاده وأهله .. ثم يرفع العلم الألماني ، وتشرب « أنخاب » الصداقة الألمانية !! .

ويدلنا « دريد كارتون » على مدى الوحشية والخبث اللذين اتصف بهما هؤلاء الاستعماريون ، فيقول « لقد ربح البرتغاليون كثيرا من هذه التجارة . وكان قسيسوهم يقفون على الشاطئ ليمدوا كل رجل وامرأة وطفل يلقي به الى السفينة ، وهو مقيد بالسلاسل ، حتى تستطيع روحه الخلاص في حالة الموت المحتمل جدا في عرض البحر » (١) .

وكان لبريطانيا « محطات » لتجميع الرقيق بلغ عددها أربعون محطة . وبعد رحلة شاقة من داخل القارة الى « محطات الشحن » هذه يقطعونها وهم مقيدون بالحبال من أعناقهم . وإذا فكر أحدهم في المقاومة أو الاحتجاج شدوا عنقه الى عمود ثقيل من الخشب ، أو توضع قدماء في فتحتي عمود خشبي ، ثم تقيد أرجلهم حتى يصعب عليهم الفرار . وبعد ذلك يلقي بهم الى السفن التجارية الصغيرة بطريقة لا إنسانية ، ويشحنون كما تشحن الأنعام . ويظلون على هذا الوضع ، بحيث لا تزيد المساحة التي يحتلها كل فرد منهم عن ١٨ بوصة ، مدة ثلاثة شهور تجتاز فيها السفينة المحيط الأطلنطي ، والسيباط تمزق أجساد من يكف منهم عن التجديف . وكانت نسبة من يهلك منهم تتراوح بين ٣٠ ٪ ، ٦٠ ٪ . والسعيد الذي يموت منهم على هذه الصورة وتدركه رحمة الله من ذلك العذاب الهمجى، يلقي به الى البحر حيث تبتله مياه المحيط .



أما النساء فكان يتلعن كميات من الطين لينتحرن بها هربا من هذا العذاب . . . فيلحقن برجالهن في جوف المحيط !! \*

ويقول كارتون أيضا بناء على إحصائيات مركز تجارة الرقيق أن ١٢ر٥ ٪ من الذين يظلون أحياء بعد هذه الرحلة يموتون في الميناء عقب وصولهم من الإلهاق . ويموت ٤٥ ٪ آخرون قبل أن تتم عملية العرض والبيع . وبعد ذلك يموت ٣٣ ٪ من اختلاف الجو . وبذلك لا يتبقى من حمولة أى سفينة أكثر من ٥٠ ٪ ، وهم الذين يباعون ، أو يسخرون في زراعة أراضي المستعمرين الأوروبيين في أمريكا . \*

وما إن انتهت حرب التحرير الأمريكية حتى ضاعت ثورية الأمريكيين ، وبدأت الإقطاعية الاستعمارية تغزوهم ، فمارسوا هم أيضا تجارة الرقيق على نطاق واسع . فكانت لهم في عام ١٧٢٠ حوالى ٢٠٠ سفينة ، سعة كل منها ٣٠ مترا ، يلقى فى قاع كل منها بمائتين وخمسين عبدا أفريقيا ، يزدون أحيانا إلى ٥٠٠ عبدا عند اللزوم . ويجلس هؤلاء العبيد فى الأغلال ١٦ ساعة كل يوم ، تختنق فيها أنفاسهم لقلة التهوية ، وتفمرهم رائحة العفونة والأمراض الخبيثة فيفضل بعضهم الموت على هذه الحياة . . . بالقفز الى مياه المحيط الشائرة كلما ساحت لهم فرصة (١) . \*

ولقد قدرت مجلة « لايف الأمريكية » فى عددها الصادر فى أول أكتوبر ١٩٥٧ عدد العبيد الأفريقيين الذين بيعوا فعلا فى أمريكا حوالى ١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون . لذلك يقدر عدد من أختطفوا منهم بالفعل من بلادهم بين ٣٠ و ٤٠ مليون أفريقى بعد خصم من هلك منهم بنسبة ٣٠ ٪ و ٦٠ ٪ كما تقدم . \*

وإذا عرفنا أن رحلة السفينة الواحدة كانت تتكلف ٤٠٠٠ دولار ، وإنها تدر ربحا قدره ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار ، لتبين لنا مدى الثراء الذى أصابه الأمريكيون من هذه التجارة . \*

يقول كارل ماركس فى كتابه « رأس المال » . \*

« كان اكتشاف الذهب والفضة فى أمريكا ، وإبادة السكان البدائيين واستعبادهم فى المناجم ، وبداية غزو اغتصاب جزر الهند الشرقية ، وتحويل افريقية الى مصيدة لذوى الجلود السوداء . . . بادرة اشراق عصر زاهر للإنتاج الرأسمالى » . \*

---

(١) اضطهاد الزنوج فى أمريكا . طاهر عبد الحكيم . \*

وليس أدل على ضخامة الربح الذى درته تجارة العبيد من معاهدة « اوترخت » للمصلح بين انجلترا وفرنسا واسبانيا ، التى عقدت عام ١٧١٣ فقد ورد فيها شرط هام يمنح الانجليز حق تموين المستعمرات الاسبانية بالعبيد .

وكان من المألوف أن تقرأ فى الصحف مثل هذه الاعلانات التجارية كل يوم :

— « للبيع فئات سوداء فى سن الثامنة »  
— « للبيع رقيق أسود صحيح البنية سن ١٨ »  
— « سيباع بالمزاد العلنى يوم كذا — فى المكان المعد لذلك فى جهة كذا — رقيق عمره ٣٠ سنة ، خادم ممتاز ، حسن الخلق » !!  
ولم يكتب التاريخ أن سمسارا كان يقف أمام الصبايا العاريات ، وينادى — كما كان يفعل أمام عذارى أفريقيا من الرقيق البائسات :

طلاجة كالتفاحة !  
جسمها أسود ناعم كالقطيفة !  
صدرها ناضج ، مضمون !  
عنقها قوى ! كتفها مستديرة ! ساقها مستقيمة !  
أسنانها سليمة !  
اقترب أيها السيد ، وعين لتتأكد بنفسك !  
سأبدأ المزاد فى الحال !  
أميرة زنجية ٠٠ بثمانين جنيها !  
ألا أونا ٠٠ من يزيد الثمن ؟  
خذها أيها السيد الى حجرة الخدم ، أو حظيرة الماشية !  
ألا أونا ٠٠٠ هل من مزيد آخر بتسعين جنيها ؟  
اغتنموا هذه الفرصة الذهبية قبل أن تفوتكم !  
وفى أمريكا كان تركز الرأسمالية بمصانعها وشركاتها فى الشمال ، وانفراد كبار الاقطاعيين بامتلاك الأرض ومن عليها من العبيد فى الجنوب .  
وعماد الزراعة والثراء فى الجنوب أصبح راجعا الى هؤلاء العبيد . فكان العبيد يسخرون فى الشمال لادارة المصانع ٠٠ ويسخرون فى الجنوب لحراث الأرض ، وزراعتها .  
ويقول الكاتب الأمريكى « فيكتور بيرلو » : ان رجال الصناعة فى الشمال لم يكونوا يريدون تحرير حقيقيا للشعب الزنجى ، بل كان هدفهم

الحلول محل ملاك العبيد الجنوبيين في استغلال هذا الشعب « . وهكذا نشأت الفروق الظاهرية : ولايات في الشمال يهرب اليها رقيق ليعملوا « احرارا » في مصانعها بأجور زهيدة تكاد تكون رمزية . وولايات في الجنوب يحتلك فيها الاقطاعيون الأرض وما عليها من زراعة ، ومبان ، ومواش .. وعبيد !!

وفي سنة ١٨٥٠ أصدر الكونجرس الأمريكي قرارا يعطى صاحب المزرعة في الولايات الجنوبية « حق تتبع » الرقيق الهارب من مزرعته الى الولايات الشمالية .. واسترداده بالقوة . وهذا الحق يشبه « الحق العيني » الذى يعطيه القانون المدنى لأصحاب الاملاك 1

وقد أيدت المحكمة العليا هذا القرار فى أحد أحكامها بقولها ردا على دعوى زنجى يدعى « سكوت » انتقل مع سيده من الجنوب الى الشمال وطلب منها اعتباره « حرا » : « ان سكوت لم يكن حرا لأنه ليس مواطنا، ومن ثم فليس له حق رفع الدعوى ، أو التمتع بحقوق المواطن الأمريكى... ومالك العبد له ان يذهب بعبده الى أى مكان يشاء فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وما يترتب على ملكيته له من حقوق أخرى » .

وفى الولايات الجنوبية تقابلت فى كل مكان هذه اللافتة على المحلات العامة « ممنوع دخول الكلاب والزنوج » !!

هذه هي قصة تجارة الرقيق التى نفذ منها الاستعمار الأوروبى وهبت رياح « التمييز العنصرى » !!

## الفصل

### الرابع : الفلسفة العنصرية بوجه عام

كان النظام الطبقي شائعا فى بعض المدينيات القديمة • وربما كان الاغريق هم أول من وضع الحواجز العنصرية بمنع اختلاط الأسياد بالعبيد • وكان أرسطو - مثلا - يقارن بين الاغريق وغيرهم من الشعوب ، ويضع الحضارة الاغريقية فوق كل الحضارات الأخرى •

وإذا استعرضنا آراء فلاسفة اليونان بشأن الفروق بين الاجناس لوجدنا أنهم يعطون وزنا كبيرا للبيئة الطبيعية وللنشأط البشرى • قهيبوقراط مثلا وضع سنة ٤٢٠ ق • بحثا عن الهواء ، والماء ، والأماكن ناقش فيه التناقض الواضح بين الآسيويين والأوربيين ، وأرجعه الى صلاحية البيئة الآسيوية ، وسهولة الحصول على المواد الغذائية بها ، يعكس البيئة الأوروبية الفقيرة فى ذلك الوقت ، والتي كانت تستدعى من الرجل الاوروبى المزيد من النشاط والعمل ليتمكن من الحصول على قوت يومه •

أما فى الدولة الرومانية فكان المجتمع ينقسم أيضا الى طبقتين : الأحرار والعبيد • وكانت طبقة الأحرار تتكون من درجات فى قمته الرومان ، يليهم باقى سكان المستعمرات الرومانية الذين لم يولدوا من أبوين رقيقين • وكان اختلاط الرومان الأحرار بغيرهم مباحا الى حد بعيد • ولذلك لم يكن الرومان عنصرا نقيا بل خليطا من سلالات متعددة • أما طبقة العبيد فقد كانت - كما هو حالها دائما - منبوذة •

### العنصرية اليهودية :

ان الأديان السماوية كلها - وان لم تحرم الرق بدرجات متفاوتة - كانت تدعو الى الأخاء والمساواة بين الجميع • ثم انفرد الاسلام وحده بتحقيق هذه الوحدة البشرية بين جميع العناصر والسلالات المعتنقة له •

وقد نجح الاسلام في القضاء على العصبية الجاهلية ، فلم يعد يفرق بين  
عربي وأعجمي الا بالتقوى .

ولكن اليهود - بعد وفاة موسى - بسنين طويلة ، وبعد سقوط  
آشور - ظهرت بينهم العنصرية . فجاء نبي اليهود عزرة Bzira ونادى  
بمنع اختلاط دم اليهود بغيرهم ، واعتبر جميع اطفال اليهود من زوجات  
غير يهوديات أقل شأنا من سائر الأطفال . وقد منع الزواج بين الأجنيبيات  
منما باتا . وبالطبع كان زواج اليهودية بغير اليهودي ممنوعا من قبل .  
ولذلك تعتبر مملكة اسرائيل القديمة مهد العنصرية . وقد سبقت الدول  
الأخرى في هذا الشأن بما يزيد عن ٢٥٠٠ سنة (١) .

ولاتزال اليهود حتى الوقت الحاضر لا تختلط بغيرها ، وتدعى انها  
« شعب الله المختار » وأنهم أعلى شأنا من الآخرين . ولذلك يحابي اليهود  
بعضهم بعضا ، ويتعصبون لكل يهودي ويحتقرون كل ماعو غير يهودي .  
بل انهم فسروا الوصايا العشر تفسيراً عنصرياً خالصاً . فالسرقة حرام  
من اليهودي فقط . أما من غيرهم فحلال . والزنى محرم مع اليهودية وحلال  
مع غيرها . . . . . والربا محرم بين اليهودي واليهودي ومباح بين اليهودي  
وغير اليهودي . . . . . الخ .

ومن يقرأ التلمود ، شريعة بنى اسرائيل ، يجد تفسيراً لحوادث القتل  
الجماعي التي شنتها الصهيونية في فلسطين بالاتفاساق مع السلطات  
البريطانية التي كانت منتدبة عليها . فقد جاء فيه :

« ان الكفار هم ( يسوع ) المسيح ، ومن اتبعه . ومن العدل ان يقتل  
اليهودي بيده كل كافر ، لأن من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله . واذا  
وجد أحد اليهود كافرا في حفرة وجب ألا يخرجها منها . واذا وجد اليهودي  
حجرا ، بجوار حفرة ، وجب عليه وضعه عليها » (٢) .

وتمشيا مع تعاليمهم كانت مذابح ( دير ياسين ) التي قتل فيها ٢٥٠  
قتيلا ، وابادة جميع سكان قرية ( ناصر الدين ) في ١٤/٤/١٩٤٨ .  
وكذلك جميع سكان ( بيت دوراس ) في ٣/٥/١٩٤٨ ، وبيت الخوري  
في ٥/٥/١٩٤٨ ، والزيتون وغيرها . وكذلك حوادث ( قبية ) في

(١) التفرقة العنصرية في افريقيا . د . فؤاد الصقار . ص ٢٥ .

(٢) الدفاع الاقتصادي ضد الاطماع الاستغلالية الاسرائيلية : محمد عبد العزيز  
احمد ( بالاشتراك ) ص ٢٩ .

١٤/١٠/١٩٥٣ ، ونجالين وغزة في ١٤/٨/١٩٤٨ ، وغزة أيضا في ٢٨/٢/١٩٥٥ ، وخان يونس في ٣١/٥/١٩٥٥ ، و ٣١/٨/١٩٥٥ ، والصبحة في ٢/١١/١٩٥٥ وطبرا في ١١/١٢/١٩٥٥ ، وغزة مرة ثالثة في ٥/٤/١٩٥٦ ، وحوادث سيناء خلال الاعتداء الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ .

ان محاولات الصهيونية المستمرة تهدف الى اثاره الحروب ، وتدمير البشرية .

وقد وضع هذه الخطة الحاخام «عمانويل رابينوفتش» خلال اجتماع سرى صهيوني في مدينة بودابست عام ١٩٥٤ ، وضم جميع حاخامات أوروبا . واستطاعت صحيفة « كومنسنس » الأمريكية الحصول على نص هذا الخطاب الخطير الذي يكشف النقاب عن نوايا الصهيونية العالمية ، وهو يهدف الى (١) :

- ١ - اشعال نيران حرب عالمية ثالثة .
  - ٢ - تحريض الولايات المتحدة الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي .
  - ٣ - اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب .
  - ٤ - القضاء على الأجناس الأخرى غير الاسرائيلية .
- وقد قال الحاخام في خطابه المحموم الذي وجهه الى حاخامات أوروبا مايلي :

« لقد دعوتكم الى هنا لبحث المراحل الرئيسية لبرنامجنا ، ونحن نرجو ان تنقضي عشرون عاما على الحرب العالمية الثانية قبل نشوب الصراع المقبل . فان هذه الفترة سوف تتيح لنا الجمع بين المصالح الكبرى التي حصلنا عليها في أعقاب الحرب الأخيرة . الا أن ازدياد عسدد الاسرائيليين في بعض المناطق الحيوية من العالم قد أثار عدة حركات عدائية . ومن ثم يتعين علينا العمل على اشعال نار حرب عالمية ثالثة في غضون السنوات الخمس المقبلة .

» وفي وسعى ان أؤكد أني لست مجازفا في وعدي . أن جيشنا لن يلبث ان يحتل المكانة الجديدة بنا في العالم قبل انقضاء عشرة أعوام . وسيفدو كل اسرائيلي ملكا وغير الاسرائيلي عبدا » .

---

(١) سجل الارهاب الصهيوني . من مطبوعات الدار القومية . ص ٣ وما بعدها .

وقال :

« انكم تذكرون حملاتنا الدعائية والنجاح الذي كللت به عام ١٩١٠ .  
ولقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا ، وعلى الألمان في أمريكا .  
وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية . ولقد شرعنا في شحن  
حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم . فقد أثرنا في روسيا موجة من  
السمخطة والحقد ضد الولايات المتحدة . كما أثرنا في الولايات المتحدة  
شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعية » .

وقال :

« وسوف ينفذ هذا البرنامج خلال خمس سنوات بنشوب حرب  
عالمية ثالثة تفوق في فظاعتها كل الحروب الماضية . وليس من شك في  
أن اسرائيل ستعتمد الى اتخاذ موقف محايد . وحينما يضعف الخصمان،  
وتتضعف قواهما سنتخذ موقف الحكم ، فنوفد الى البلاد المتحضرة بعثات  
للسيطرة عليها . وستضع هذه الحرب حدا لصراعنا مع غير الاسرائيليين .  
وعندئذ سوف نكشف عن نوايانا الحقيقية حيال الأجناس الاسيوية  
والافريقية . وفي وسعي أن أؤكد وأنا واثق مما أؤكد ، أن الجيل الحالي  
للجنس الأبيض انما هو الأخير . وسوف تعمل بعثاتنا على منع الزواج  
بين البيض بسجعة القضاء على العنصرية ، وحرصا على اقرار السلام .  
وبذلك نحمل البيض على الزواج من السود ، ونحمل السود على الزواج من  
البيض . وعندئذ ... تبدأ فترة سلام تستمر عشرة آلاف سنة يتمكن  
الشعب الاسرائيلي خلالها من فرض سيطرته على العالم . فان ذكاءنا ،  
وتعوقنا سيتيحان لنا السيطرة على عالم يتألف من شعوب الجنس الأسرد » .

وقد سأل أحد الحاضرين عن نصير الأديان فقال :

« لن تكون هناك أديان أخرى ... فان الدين قد يكون خطرا داهيا  
على سيطرتنا . كما أن الايمان بوجود عالم آخر قد يحافظ على الروح  
المعنوية للشعوب الخاضعة ، ويدفعها الى معاداتنا . وسوف ننشر العقيدة  
الاسرائيلية في جميع أنحاء العالم . وسوف نعمل على تدعيم قوانيننا  
الجنسية بمنع الاسرائيليين من الزواج من غير الاسرائيليات » .

ومضى يقول :

« ولاننا نعلم بحقيقة ما أقول فيما يختص بالسيطرة على العالم حسبى  
أن أذكر لكم أننا وجهنا جميع مخترعات الرجل الأبيض نحو فئاته .

ولا تكف صحافته ، ومحطات اذاعته عن اعلان ذلك • بل ان مصانعه تمد  
آسيا وافريقيا بالاسلحة لاشمال حرب عالمية •

وقال البروفسير ارنولد توينبي ، المؤرخ البريطانى الحر ، فى  
كتابه : « دراسة التاريخ » عن مذابح اليهود فى حرب فلسطين •

« ان هذه الاعمال الشريرة التى ارتكبها اليهود الصهاينة ضد  
الفلسطينيين العرب - وهى لاتقارن الا بالجرائم التى ارتكبها النازى ضد  
اليهود - اشتملت على تقتيل النساء والاطفال والرجال فى دير ياسين  
يوم ٩ ابريل سنة ١٩٤٨ مما عجل بهروب عدد ضخم من السكان العرب  
من المناطق القريبة من القوات المحتلة مثل عكا، واللد، والرملة، وبير سبع،  
والجليل فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ » •

وان قصة اختطاف النازى « ايخمان » فى الارجنطين ومحاكمته امام  
محكمة فى اسرائيل فى مايو ١٩٦٠ ولودفيج زند ، ومارتن بورمان ،  
وغيرهم ، بحجة ابادتهم عددا كبيرا من اليهود فى عهد النازى لهى دليل  
آخر على خرق الصهاينة للقوانين الانسانية او الدولية •

كما دأبت اسرائيل على مطاردة العلماء الالمان الذين لا يدورون فى  
فلكها ، والعمل على قتلهم او خطفهم ، اينما وجدوا فى أى مكان فى العالم •  
وقد وضعت اسرائيل خططها فى هذا الشأن مع المنظمات الصهيونية فكونت  
شبكات للتجسس على هؤلاء العلماء فى البلاد التى تستعين بجهودهم  
العلمية ، ومن بينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ،  
وفرنسا ، والجمهورية العربية المتحدة •

وفى مارس ١٩٦٥ ضبطت اخطر شبكة جاسوسية فى القاهرة من  
هذا النوع يرأسها « لوتز » الالمانى الذى جساء الى الجمهورية العربية  
- باعتزافه فى التحقيق - فى أوائل عام ١٩٦١ بتوجيه من مخابرات  
اسرائيل ومعه خطة كاملة لتنظيم شبكة التجسس تحاول أن تركز عملها  
داخل مصانع الطائرات والصواريخ المصرية ، وعلى اغراء العلماء الالمان  
العاملين عندنا بالعودة الى المانيا • ثم تهديدهم بتدبير الحوادث ضدهم  
او قتلهم بشحنات المتفجرات التى يخفونها لهم فى الخطابات ، والطرود  
اذا ما فشل الاغراء !! • وهذا ما حدث فعلا مع العالم الالمانى « وولفجانج  
بيلز » الا ان الطرد قد انفجر فى يد السكرتيرة وشوه وجهها • ومرة أخرى  
بعث بالطرد الذى انفجر فى غرفة خارجية بجوار بوابة أحد المصانع



الحربية !! ومرة ثالثة بعث بطرد الكتب المتفجرة الذى ضبط بواسطه رجال المخابرات العربية فى مكتب بريد المعادى وكان الخيط الاول للوصول الى الجاسوس الخطير !! \*

وفى نفس الوقت وضعت الجمهورية العربية المتحدة يدها على صفقات مربية للسلاح كانت تتم بين اسرائيل وألمانيا الغربية التى كانت حتى هذا الوقت تدعى صداقتها للعرب ، وعدم اعترافها سياسيا باسرائيل ! \*

### فى ألمانيا النازية :

وهناك دولة أخرى مارست هذا النوع البشع من العنصرية ، هى « ألمانيا النازية » التى كانت تعرف باسم « الرايخ الثالث » بزعامة هتلر .

فقد رسم هتلر مخططا لاستعباد العالم بأسره ، بدعوى أن دم الشعب الأارى ( الألماني ) هو أنقى من دماء الشعوب الأخرى ، وهو الذى غزوا الامبراطورية الرومانية وقضى عليها .

يقول هـ.ج. ويلز : (١)

« كان هؤلاء الآريون مفرين ، وسارقين ونهابين للمدن ، سواء فى ذلك منهم من وفدوا من الشرق أو الغرب . كما كانوا رعاة أشداء نزعوا الى السلب والنهب . على أنهم لم يكونوا فى الشرق الا سكانا نازلين على التخوم ، وجيرانا مفرين . واستولوا فى الغرب على المدن ، وطردوا منها السكان الأيحيين المتمدينين . وبلغ الضيق بالشعوب الأيحية أن أخذوا يبحثون عن أوطان جديدة لهم فى مناطق تخرج عن منال الآريين . فأخذ بعضهم يحاول السكنى فى دلتا النيل لولا أن صدهم المصريون ، وبعضهم أبحروا من آسيا الصغرى ليؤسسوا دولة فى برارى وسط إيطاليا الكثيف الغابات ، وأقام بعضهم لنفسه المدن على سواحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبية الشرقية . »

وبعد ان أثبتت الدراسة الانثروبولوجية أن الألمان ليسوا من جنس واحد تحولت العنصرية فى ألمانيا بالتدريج من اقتصرها على الجنس النوردي وحده الى الشعب الألماني جميعه . وتحول الاضطهاد العنصرى

---

(١) تاريخ العالم . هـ . ج . ويلز . ترجمة عبد العزيز توفيق جويد ص ٧٥ .

والاضطهاد الجنسي ، الى مجموعات بعينها مثل اليهود الذين كانوا يسكنون ألمانيا بكثرة ، ويحتكرون جزءا هاما من اقتصادياتها . وهكذا صدرت فى سنة ١٩٣٥ قوانين نورمبرج التى انتزعت من اليهود حقوقهم المدنية، ومنعت زواجهم من غير طائفتهم كما حرمت على أطفالهم المدارس الحكومية، وصادرت أموالهم بدون تعريض (١) .

وقد ذكر جوبلز - وزير دعاية هتلر - فى مذكراته اذ ذاك تبريرا لاضطهاد اليهود مايل :

« هناك كثير من المثقفين يحاولون مساعدة اليهود بتزويد الجملة القديمة : ان اليهودى انسان أيضا . حقا انه انسان ، ولكن أى نوع من الانسان ؟ ان القمل أيضا حيوان كالانسان » !!

والعنصرية الألمانية فى الرايخ الثالث لم تكن ترمى الى تحرير ألمانيا من السيطرة اليهودية واعدائهم ، وانما كانت ترمى العنصرية الألمانية أيضا الى تجميع الألمان المقيمين فى الخارج ، وضم المناطق التى يسكنها الألمان فى الدول المجاورة كالنمسا وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك وفرنسا وبولندا وغيرها - وتكوين ما يسمى « ألمانيا الكبرى » أو « الوطن الأم » . ويذكر ان محالفة ألمانيا لروسيا فى أغسطس سنة ١٩٣٩ قد لاقت بعض المعارضة فى داخل ألمانيا نفسها ، لاسبب الاختلافات الأيديولوجية محسب ، بل للاختلافات العنصرية أيضا . أما تحالف ألمانيا وإيطاليا واليابان فقد أيدته فلاسفة العنصرية الألمانية لأن بعض سلالات هاتين الدولتين منحدرة من دماء نوردية ( آرية ) . وكان من الممكن فى ذلك الوقت أن يتحالف الألمان مع الشيطان - كما فعلت انجلترا بعدها - ليحاربوا باقى دول غرب أوروبا !!

وما لقيه اليهود فى ألمانيا وما درجوا عليه من استعلاء كان من أسباب ما يمارسونه مع العرب فى فلسطين ، ومع باقى الاجناس فى الخارج !!

### فى أمريكا :

وقبل ان تحتضن النازية النظرية العنصرية طبقها غزاة أمريكا ( الانجليز ) فى حرب الابادة الوحشية التى شنوها ضد الهنود الحمر، سكان القارة الأصليين . وزعموا مزاعم النازية نفسها ، وهى ان الدم

(١) التفرقة العنصرية فى افريقية . المصدر السابق ص ٣٥ .

الأنجلو سكسونى هو الدم الأرقى الذى يجب أن يسود العالم ، بحجة ان الشعوب الملونة هى شعوب منحطة ، غير قادرة على حماية نفسها من الغزاة ، وحكم نفسها بنفسها •

وقد ايد « بيلبو » - عضو مجلس الشيوخ الأمريكى - هذه النظرية بقوله : (١)

« ان نظرية الجنس ، والتفاضل بين الأجناس ، قد وجدت فى أمريكا قبل أن يوجد أدولف هتلر فى ألمانيا » •

وبلغ من فظاعة التعصب الأنجلو سكسونى ضد الهنود الحمر أن وزع الأمريكيون الأوائل ، الذين استوطنوا بعد الفتح ، أغطية من البطاطين الملونة بجراثيم الجدري على الهنود الحمر ففتك الوباء الخبيث بالآلاف منهم ، وحصدهم حصدا ! •

وبين مدى استهتار هؤلاء الأمريكيين الأوائل بالقيم الانسانية ما قاله أحدهم ، ويدعى « كنجسلى » من أنه مضطر لاستخدام مسدس عيار ٥٦ لقتل أطفال الهنود لأن رصاص البندقية عيار ٣٨ ، لا يمزق جثثهم بدرجة كافية ! •

وبهذه الطريقة الوحشية هبط عدد الهنود الحمر بنسبة ٨٢ ٪ وهى نسبة مذهلة ، لم تحدث فى أى حرب فى التاريخ ! • •

وقد فرغت الاقامة الجبرية على البقية الباقية منهم فى معسكرات ، وسنخوا من الاختلاط بالسادة الجدد ، أو التزاوج بينهم • وكانوا يموتون فى هذه المعسكرات بالتدريج لانعدام الرعاية الطبية ، وزادت الاصابات بالامراض بينهم بنسبة ٩ : ١ • ومن الغريب أن الافلام الامريكية لاتزال تزهو بهذا الانتصار الرخيص الوحشى •

وكما فعل الأوروبيون فى افريقية ، عندما دخلوها سائحين او مستكشفين ، من عمليات احتيال واسعة كذلك فعلوا فى أمريكا • فمقابل قطع السكر ولقائف التبغ كانت تباع الاراضى والثروات • وحينما كان الهنود الحمر يرغبون أو يرغب رؤساؤهم - فى التفاهم والوئام كانوا يقابلون بالفدر ، والفتك حتى انهم كانوا يتقهقرون تاركين مراعيهم ، وقراهم ، ويهاجرون الى أى مكان وهم ينقرضون حتى ضاعت حقوقهم كآدميين • وكان الغزاة يطلقون عليهم « الكلاب الحمر » ! •

(١) دفاع عن الزنوج المصدر السابق ص ٧٠ •

وإذا فحصنا مواطن الزواج اليوم نجد أن أغلبهم لا يزال في الولايات الجنوبية حيث انتشر الرقيق المنقول من أفريقيا فيما مضى . ومع أنهم أغلبية ساحقة هناك فلا يزالون مغلوبين على أمرهم . فولاية المسيسيبي نسبة الزواج فيها ٩٠ ٪ . ومقاطعة تنساس بولاية لويزيانا تبلغ النسبة ٨٥ ٪ . والأقليم الذي كان ولا يزال - به أكبر عدد من الزواج هو الاقليم الممتد عبر الاباما الوسطى الى ولاية جورجيا ، وجميع ولاية كارولينا الجنوبية ، ومساحة صغيرة في فرجينيا الجنوبية .

ولعل أشد المهود عبثا بأخلاق الزواج هو ذلك العهد الشنيع المسمى « عهد الإصلاح Reconstruction » يوم حاول أولئك السياسيون الأماقون من أهل الشمال أن ينظموا الزواج ويثبون فيهم روح المساواة . لا حبا في الزواج . . وإنما كسبا لأصواتهم في الانتخابات ! (١) .

وقد كان لهذا العهد أثر كبير في إيقاد نار العداوة بين أهل الجنوب وأهل الشمال أكثر مما كان للحرب الأهلية نفسها . إذ أدى ذلك الى حرمان الزواج من معظم الحقوق المدنية عام ١٨٩٠ .

ومنذ ذلك التاريخ والحرب بين السود والبيض مستعرة الأوار ، حتى أصبحت من أعقد المشاكل في العالم الحديث خاصة بعد أن تبنت الدولة رسميا « سياسة العنصرية » هذه . أى اضطهاد الزواج . فبالإضافة الى عصابات « الكوكلوكس كلان » نجد الدساتير المحلية للولايات تحوى نصوصا صريحة تحمى « التفرقة العنصرية » .

فدستور ولاية مسيسيبي مثلا ينص في الفصل الثامن ، الفقرة ٢٠٧ منه على أنه « يراعى ان يفصل الاطفال البيض عن اطفال الزواج ، فتكون لكل فريق منهم مدارس الخاصة » . وفى الفصل العاشر ، الفقرة ٢٢٥ مايلى :

« للمجلس التشريعى أن يهىء الوسائل المؤدية الى فصل المسجونين البيض عن المسجونين السود » .

وفى الفصل الرابع عشر ، الفقرة ٢٦٣ « ان زواج شخص أبيض من شخص زنجى أو خلاسى(٢) أو من شخص يجرى فى عروقه دم زنجى يعتبر غير شرعى وباطلا » .

---

(١) المجتمع ومشاكله - تأليف جبروف سامويل داو . ترجمة ابراهيم رمزي . ص ١٤٣ .

(٢) فى تعداد ١٨٩٠ حاولوا أن يدوجوا تحت كلمة « سود » أولئك الذين فى عروقهم ثلاثة أرباع من الدم الزنجى أو أكثر ، وكلمة « خلاسى » أو « دياى » =

بل ان كل من يتطوع للدفاع عن حقوق الزوج ، أو يدعو الى المساواة بين البيض والسود ، أو يعارض التفرقة العنصرية ، أو ما شابه ذلك ، يعاقب باعتباره آثماً . ويحكم عليه بغرامة لا تتجاوز ٥٠٠ دولار أو بالسجن مدة لا تتجاوز ستة أشهر أو بالعقوبتين معا ، كما تنص قوانين ولاية مسيسيبي . وتطبق تشريعات مماثلة في فرجينيا ، وكارولينا الشمالية ، وكارولينا الجنوبية ، وجورجيا ، والاباما ، وفلوريدا ولوزيانا وأركانساس واوكلاهوما ، وتكساس . وهناك تشريعات أقل قسوة تطبق في ولايات أخرى مثل ديلارارا ، وفرجينيا الغربية ، وكنتاكي ، وتينيس ، وميسوري . وهناك أيضا ثمانية ولايات شمالية تحرم الزواج بين البيض والسود وهي : كاليفورنيا ، وكلورادو ، وايداهو ، وأنديانا ، ونبراسكا ، ونيفادا ، وأوريجون ، وأوتاوا .

ان كل شيء في أمريكا يقسم قسمين غير متساويين في الكم والنوع: الأكثر والأفضل للبيض ، والأقل والأسوأ للأسود . وبوجه عام فالأسود ممنوع من مشاركة البيض في كل شيء : في الحقوق . . في القطارات والاتوبيسات . . في الفنادق والملاهي والمطاعم . . في المدافن . . في المستشفيات . . في الاستحمام على الشواطئ . . في المعابد . . الخ . في كل الأماكن التي يرتادها البيض تجد لافتة كبيرة كتب عليها « ممنوع دخول الزوج والكلاب » .

وتسحب هذه التفرقة العنصرية في بعض الولايات حتى على الدبلوماسيين الأفريقيين والآسيويين ، وممثل أمريكا اللاتينية الذين يمثلون بلادهم في الولايات المتحدة الأمريكية . ففي مرة لم يسمح لدبلوماسي هندي بتناول طعامه على المائدة التي يجلس إليها البيض . بل ان الوزير الهندي السابق الفليسوف - « كريشنا منون » لم ينج من مثل هذه المعاملة العنصرية . وليس ببعيد قصة معاملة وزير خارجية غانا واحتجاج وفود الدول الأفرو آسيوية عليها(١) .

وهذا نموذج للافتات التي توضع في مداخل الشركات الأمريكية :  
« خطر ! .. ايها الهنود الملونون . اذا دخلتم هذه الأماكن في الليل

---

١ - من كان ربع دمه زنجي ، وتحت كلمة ثمانى من كان ثمر دمه من الزنجي ، ولكن معظم الفروق كانت بين السود والخالسين - المؤلف .  
(١) دفاع عن الزوج ، المصدر السابق ص ٥١ .

فلن يجدكم أحد في الصباح .. ان الحراس المسلحين يطلقون الرصاص عليكم فور ظهوركم . والكلاب المتوحشة تلتهم جثثكم . لقد أأندناكم !  
وفي نيويورك يتكدس أكثر من نصف مليون زنجي في حي هارلم ، ويسكن مبان تملكها شركات التأمين الأمريكية بايجار يزيد ٢٠٪ عن ايجار المنازل المماثلة التي يسكنها البيض . وفي هذا الحي لا تفتح الشركات فروعا لها ، وخاصة شركات التغذية فيقع الزوج المحاصرون في هذا الحي فريسة لتجار السوق السوداء الذين يبيعون لهم الأغذية بأغلى الأسعار رغم التعتل المتفشى بينهم ، ورغم انعدام الرعاية الطبية ، والخدمات العامة ، وتفشى القسر والبؤس ! . ويضطر معظمهم الى قبول أى عمل بأقل أجر حتى لا يهلكوا من الجوع .. في الدولة التي يتمتع البيض فيها بأضخم ثروات العالم !!

\* \* \*

والجرائم التي يرتكبها البيض ضد السود في الولايات المتحدة لم تنته حتى اليوم . وبرغم ان المحكمة العليا الأمريكية - أعلى سلطة قضائية في البلاد - استقرت أحكامها الأخيرة على عدم شرعية فصل الزوج عن البيض في المدارس فان حكاهم الولايات التي تمارس رذيلة « التفرقة العنصرية » رفضوا تنفيذ هذه الاحكام .

ولقد اضطر الرئيس الأسبق ايزنهاور الى ارسال قوات من الجيش لحماية الطلبة الزوج ، وتمكينهم من الدراسة .

وعندما انضم الطالب الزنجي « جيمس مريدت » الى جامعة مسيسيبي قامت حركة تمرد عنيفة أدت الى مقتل الكثيرين حتى اضطر الرئيس السابق « كيندى » الى ارسال قوة من الجيش قوامها ١١٠٠ جندي من المشاة ، ١٥٧ مهندسا عسكريا لاقامة معسكرات للقوة التي تسقط بالهيلوكبتر في مسيسيبي لتطويق مبنى الجامعة .. بالإضافة الى ٩٠٠٠ جندي وضعوا في حالة طوارئ لمواجهة التطورات المرتقبة ! ..

وحينما تحدى الرئيس السابق كيندى دعاة التفرقة العنصرية ، وقدم مشروع منح الزوج الحقوق المدنية .. دفع حياته ثمنا لهذه الخطوة الجريئة !

وقد صمد الزوج بصلاية في مواجهة هذه الحياة غير الانسانية كما دعاهم زعيمهم الروحي « دكتور مارتن لوتر كنج » - الحائز على جائزة

نوبل ، والذي حوكم فى فبراير ١٩٦٥ بتهمة قيادة مظاهرة سلمية بدون إذن :

ولما غضب معين الصبر لدى الزوج قرروا الزحف الى المقار الرسمية، بل والى شكاغو العاصمة نفسها للولايات فى مظاهرات سلمية لاعلان السخط والاحتجاج ، وخاصة بعد قتل « مالكولم اكس » زعيم منظمة الوحدة الافروامريكية للزوج الأمريكيين فى ١٩٦٥/٢/٢١ بحى هارلم المخصص للزوج !

وقد كتب مالكولم اكس قصة حياته بقلمه ، فوصف فيها كيف قتل أبوه بواسطة دعاة التفرقة العنصرية ، وضعت جثته على شريط الترام الذى شطرها نصفين ٠٠ كما روى كيف قتلوا أربعة من أعمامه وأنه يعتقد شخصيا أنه سيמות بنفس الطريقة ٠٠

وبعد ان قاد دكتور مارتن لوتر زحفه السلمى الكبير فى ١٩٦٥/٣/٩ الذى سمي زحف الحرية - الى عاصمة ولاية الاباما ، مطالبا بتطبيق « قانون الحقوق المدنية » ارتكب البوليس ضد المتظاهرين ألوانا من العنف الوحشى المعتاد ٠٠ كما اعتدى خمسة من البيض على ثلاثة من منات القساوسة الذين اشتركوا فى هذا الزحف ، ومات أحدهم بعد نقله الى المستشفى فى حالة بين الحياة والموت ! ٠٠ الامر الذى قامت من أجله مظاهرات عديدة فى جميع الولايات ٠٠٠ وفى ولاية الاباما بالذات ، التى يرأسها حاكم من غلاة التفرقة العنصرية !

وقد أعلن الزوج فى ١٩٦٥/٣/١٣ أنهم سيقومون بمسيرة تبدأ من نيويورك ، وتقطع ٢٣٠ ميلا الى واشنطن بحيث يتبادل الجرى كل ميل بعض إبطال الجرى السابقين حاملا شعلة الحرية !!

\* \* \*

هذه قصة « العنصرية » فى العالم التى جعل لها أصحابها فلسفة تكاد تشبه العقيدة الدينية ، هى أن جنسا يتمتع بتفوق على جنس آخر أو أجناس أخرى ، ويجب أن يسود .

ولا تزال هذه الخرافة قائمة حتى بعد أن أثبت علماء الاجناس بطلانها ، وأن أى جنس لا يتفوق « غريزيا » أو « طبيعيا » على أى جنس آخر ، ولا يكون هذا التفوق الا بالعمل والنشاط ٠٠ وبالتالى بالحضارة، وإن الأيام دول يداولها الله بين الناس - وكل من صنع حضارة أصبح

من حقه أن يتمتع بها فحسب ، لا أن يستعمل على الآخرين ، ولا أن يسودهم ..  
ومن باب أولى أن لا يستعمل معهم العنف الى درجة « الأباداة » !!

### السلالات البشرية :

ان الأصل في تقسيم السلالات البشرية تقسيما علميا هو الصفات  
الجسمية وحدها . ويمكن حينئذ ان نذكر ان لفظ « سلالة » أو « جنس »  
عبارة عن مجموعة من البشر يشتركون فيما بينهم في صفاتهم الجسمية  
الاساسية . وفي نفس الوقت يختلفون عن غيرهم من البشر في هذه  
الصفات أو بعضها . ولا تصلح اللغة أساسا لتقسيم البشر الى سلالات .  
فهناك أكثر من لغة تنتشر بين السلالة الواحدة ، كما هو الحال في لغات  
« الجنس الالبي » الذي ينتشر وسط اوربا ، كما أن اللغة الواحدة قد  
تنتشر بين أكثر من جنس واحد كما هو الحال في اللغة الانجليزية  
أو الفرنسية مثلا . وطالما فرض الغزاة لغتهم على سكان مستعمراتهم .  
كما لاتصح القومية أساسا للتقسيم الجنسى . فالعرب والهنود والانجليز  
والألمان لكل منهم قومية خاصة . وقد يجمع فريق منهم لغة واحدة أو دين  
واحد ، ولكنهم قد يكونون منحدرين من أكثر من سلالة . والدين لم  
يستخدم كأساس جنسى الا في حالة اليهود ، أو بنى اسرائيل . والحقيقة  
ان اليهود لا تجمعهم الا رابطة الدين ، وهم يختلفون بعد ذلك جنسيا ،  
وثقافيا ، وحضاريا . والدين الواحد يعتنقه عدد كبير من السلالات والقوميات  
والدول ، ولا يرتبط أى دين بجنس بعينه ، أو بسلالة بذاتها (١) .

ولذلك فأسس تقسيم البشر الى سلالات تقسيما علميا هي الاسس  
الجسمية التى يمكن مشاهدتها كلون البشرة ، وشكل الشعر ، ولونه ،  
وشكل العين ولونها . أو تلك التى يمكن ملاحظتها وقياسها كشكل  
الرأس ، أو شكل الجسم ، وشكل الأنف ، وطول القامة ، أو التى يمكن  
تحليلها كفضائل الدم .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم البشر الى أربعة مجموعات رئيسية .  
تنقسم كل منها الى أقسام ثانوية أو أجناس ، وهى :

١ - مجموعة السلالات البيضاء والسمراء ، أو ماتسمى أحيانا  
« مجموعة السلالات القوقازية » - وهى توجد فى معظم جهات أوربا وشمال  
أفريقيا وشرقها ، وجنوب غرب آسيا ، وهاجرت بأعداد كبيرة الى العالم

(١) التفرقة العنصرية فى افريقية - د . فؤاد الصقار - ص ٩ .



الجديد ، وإلى أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء ، وإلى استراليا ونيوزيلندا . وأهم ما يميز هذه السلالة لون البشرة الأبيض في الشمال ( الجنس النوردي ) والأسمر في الجنوب ( جنس البحر الأبيض المتوسط ) .

٢ - مجموعة السلالات السوداء أو الزنجية التي تنتشر في القارة الأفريقية في جنوب الصحراء ، وفي المناطق الاستوائية ومناطق السافانا على الخصوص . كما انتشرت في جنوب أفريقيا وجنوب شرق آسيا . وقد نقل جزء كبير منهم إلى أمريكا أيام تجارة الرقيق . ومن أهم صفات هذه المجموعة البشرة البنية أو السوداء ، والشعر المفلقل أو الشديد التجعد ، والأنف القصيرة الواسعة ، والشفة الغليظة . أما القامة فهي تختلف بين الطول المفرط ( السودانيون ) والقصر المفرط ( الأقزام ) .

٣ - مجموعة السلالات الصفراء - أو المغولية - التي توجد في شرق وجنوب شرق آسيا . كما توجد بين الهنود الحمر في الأمريكيتين ، وفي قبائل الاسكيمو في الاسكا ، وشمال كندا ، وفي المناطق القطبية الباردة . وتمتاز هذه المجموعة بلون البشرة المائل إلى الصفرة ، والشعر المستقيم ، وعظام الغد البارزة والعين المائلة ، والقامة المتوسطة ، والرأس العريضة ، والجيبة المرتفعة والأنف القصير .

٤ - مجموعة السلالات المختلفة التي لا تدخل تحت الأنواع الثلاثة ، وإن كانت السلالات الثلاثة السابقة قد امتزجت هي الأخرى بدرجات متفاوتة .

ويرجع اختلاف الناس هذا إلى تأثير البيئة ، وتوريث الصفات الفطرية والمكتسبة ، والاختلاط المستمر بين الأجناس المختلفة نتيجة الهجرات . وكل ذلك رغم انتماء جميع السلالات إلى جنس بشري واحد كما سلف .

### خرافة التمييز العنصري :

ولاشك أن هذه الفروق بين السلالات جميعها هي فروق سطحية في الشكل وليست جوهرية في النفس . يقول هـ.ج. ويلز : (١)  
» يجب علينا أن نتذكر أن الأجناس البشرية تستطيع جميعا أن

(١) موجز تاريخ العالم . المصدر السابق ص ٥٥ .

تتخالط وتتوالد بمنتهى الحرية وانها تفترق ، وتمتزج تم تعود الى الاتحاد كما يفعل السحاب في السماء . والأجناس البشرية لا تتفرع كالشجر فروعاً لا تلتقى بعد ذلك ابداً . والواقع ان هذا الاختلاط المتكرر للأجناس الذي يحدث عند كل فرصة تسنح أو ينبغي ألا يغيب عن بالنا البتة . فاذا فعلنا ذلك نجونا من كثير من ألوان الضلال والتحيز القاسية . والناس يجنحون الى استعمال كلمة مثل كلمة « جنس » بصورة فضفاضة يتجلى فيها إطلاق القول على عواهنه ، ويبنون عليها أشد أنواع التعليمات مخالفة للعقل والمنطق . وهم يتحدثون عن « جنس بريطاني » وعن « جنس أوربي » ولكن الأمم الأوروبية كلها تقريباً خلاط مضطربة من عناصر سمراء وأخرى بيضاء قائمة وبيضاء مفولية » .

وليس في الصفات الجسمية للبشر ما يمكن أن يكون أساساً للرقى أو الانحطاط . فدراسة الأعضاء لا تكون الا على أساس الوظيفة (١) .  
والحقيقة ان الدراسة العلمية للأجناس لم تظهر من الناحية البيولوجية أى امتياز مطلق لجنس على آخر .

ولما كان علماء التطور الأوائل - كما قدمنا - يؤمنون بأن الانسان قد تطور في خط مستقيم - وبالتدريج - من الحيوانات غير البشرية الى السلالات البيضاء ، وكان هذا الخط في نظرهم أشبه بالسلم كل درجة فيه أرقى من سابقتها وأحط من لاحقتها - لذلك يرون أنه كلما بعد الانسان في شكله وصفاته عن القردة - الموجودة في أول السلم - كلما كان الانسان أكثر رقىا بين النوع البشرى . ويضربون لذلك مثلاً بأن جماعات البوشمن والزنوج يتميزون بالأنف الأفطس والواسع الغليظ الذى يتميز به القردة - بينما الأوروبيون ذوو أنوف ضيقة بارزة مما يدل - فى نظرهم - على أنهم نوع بشرى أرقى من الزنوج ، وكذلك أرقى من المغول لانخفاض أنوفهم .

واذا أردنا ان نتبع هؤلاء فى أدلتهم لوجدنا أن جميع أجناس العالم فيها من الصفات ما يشبه القردة . بل لوجدنا ان السلالات البيضاء فيها من التشابه مع القردة أكثر مما فى السلالات الزنجية .

فأهم اختلاف بين الانسان والقرد هو الغطاء الشعرى . ومن بين جميع الأجناس نجد الجنس المغولى أقل السلالات شعراً فى جسده بينما

(١) التفرقة المنعزبة فى المرقية . المصدر السابق ص ١٥ .

السلالات البيضاء أكثر الأجناس شعرا في جسدهم • كذلك نلاحظ أن القردة تتميز بشفاة رقيقة كالأوروبيين بينما نجد للزنج شفاها غليظة •

وكان اعتقاد علماء التطور الأوائل أيضا أن رقي السلالة مرتبط أوثق الارتباط بزيادة حجم المخ (١) •

وهذه النظرية — كسابقتها — لا أساس لها من الناحية العلمية ، لأن الفروق في حجم المخ بين أنواع البشر ضئيلة بوجه عام باستثناء مخ الأقزام بسبب صغر رؤوسهم •

وبالرغم من ذلك فليست المشكلة مرتبطة بحجم المخ بقدر ما هي مرتبطة بعمل المخ • ومن الثابت علميا أنه ليس هناك ما يميز سلالة عن الأخرى من الناحية العقلية لو أعطيت كل سلالة فرصة متساوية •

وقد عملت في منتصف القرن الماضي وفي خلال الحرب العالمية الأولى عدة اختبارات لمعرفة مستوى الذكاء بين عدة عناصر من البشر ، في مناطق متفرقة • وقد دلت هذه الاختبارات الأولية على أن متوسط العمر العقل للزنج ١٠ر٤ بينما يبلغ عند البيض ١٣ر١ • وهكذا أفادت هذه الاختبارات فلاسفة العنصرية في رأيهم بأن الزنج أقل مستوى في ذكاؤهم من أخط العناصر البيضاء (٢) •

وقد استمر هذا الرأي فترة تقرب من ربع قرن كحجة في التفرقة العنصرية بين الأجناس ، وفي ربط الذكاء والمستوى العقلي بلون البشرة • ولكن في الثلاثينيات والأربعينيات في هذا القرن أعيدت دراسة الموضوع برمته ، فوجد أن هذه الاختبارات كانت مرتبطة بالثقافة أكثر من ارتباطها بالذكاء • كما أن هناك اختلافات فردية في المجموعات المختلفة ترتبط بعوامل ثقافية ونفسية كثيرة • كما ترتبط بالتجارب ، وبكثير من العوامل المتنوعة المعقدة

بل لقد دلت الاختبارات التي عملت في العقد الخامس في هذا القرن في بعض مدارس الولايات المتحدة أن المستوى العقلي للتلاميذ الزوج يفوق المستوى العقلي لزملائهم البيض مما يقطع بأن المسألة ليست مسألة جنس أو لون مطلقا •

(١) المصدر السابق • ص ١٦ •

(٢) المصدر السابق • ص ١٧ •



## الباب الثاني المنصرية في ظل الاستعمار

- الفصل الأول - ارتباط المنصرية في افريقية بالاستعمار
- الفصل الثاني - المنصرية في المستعمرات البرتغالية
- الفصل الثالث - المنصرية في جمهورية جنوب افريقية
- الفصل الرابع - المنصرية في جنوب غرب افريقية
- الفصل الخامس - المنصرية في روديسية الجنوبية
- الفصل السادس - المنصرية في زامبيا
- الفصل السابع - المنصرية في ملاوى
- الفصل الثامن - المنصرية في كينيا
- الفصل التاسع - المنصرية في تانزانيا
- الفصل العاشر - المنصرية في أوغندا
- الفصل الحادى عشر - المنصرية في غرب افريقية
- الفصل الثانى عشر - المنصرية في الكونغو ( ليوبولدفيل )
- الفصل الثالث عشر - المنصرية في المغرب العربى قبل استقلاله



## الفصل

### الأول : ارتباط العنصرية في افريقية بالاستعمار

بالرغم من أن افريقية قد اكتشفت سواحلها الغربية والجنوبية في اواخر القرن الخامس عشر فان مناطقتها الداخلية استمرت غير معروفة للاوروبيين حتى القرن التاسع عشر . وكان السبب الرئيسى في ذلك تعدد التوغل نحو الداخل نظرا لصعوبة المواصلات ، وتفشى الأمراض والحشرات ، وتناحر القبائل مع بعضها البعض .

وكان التوغل نحو الداخل بداية المشاكل العنصرية وقد بدأ هذا التوغل في نهاية القرن الثامن عشر بحجة انماء المعلومات الجغرافية ، باكتشاف منابع النيل والنيجر . وغيرهما من الأنهار . وهكذا ظهر في تاريخ افريقية اسماء بعض المستكشفين الأوروبيين أمثال بارك الانجليزى في غرب افريقيا ، والدكتور بارث الألمانى في السودان الغربى ، ولفنجستون وسبيك وبرتون الذين اكتشفوا الزمبىزى وشلالات فيكتوريا وبحيرة نياسا وبحيرة تنجانيقا ونهر الكونغو (١) .

وقد ساعد المكتشفون بما أذاعوه في أوروبا عن هذه البلاد على وصول المبشرين المسيحيين ، وتجار الرقيق ، والكثير من الشركات التجارية ، والمهاجرين والمستوطنين الأوروبيين . وهكذا بدأ الاستعمار الاصلى لهذه البلاد في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر . ونتيجة لذلك امتلك كثير من المستوطنين الأوروبيين الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة ، كما كونوا الشركات الاحتكارية التى سيطرت على المناجم وغيرها من مقومات الاقتصاد الافريقى لمصلحة المستوطنين البيض ، والدول الاستعمارية في نفس الوقت .

وكانت أوروبا في ذلك الوقت قد بدأت تخرج من طور الاقتصاد الزراعى الى مرحلة الاقتصاد الصناعى ، وبدأت الحضارة تتطور باحثه عن المواد الخام للإنتاج ، وعن أسواق للاستهلاك وعن الأيدى العاملة الرخيصة .

(١) التفرقة العنصرية في افريقية . المصدر السابق ص ٤٦ وما بعدها .

وتسابق البرتغاليون - منذ الكشف الجغرافية الأولى في أواخر القرن الثامن عشر - والفرنسيون والانجليز والألمان والهولنديون والأسبان الى أفريقية ، ذات أقدم حضارة في التاريخ ، فاستولى الفرنسيون على جابون عام ١٨٣٩ ، ونزلت بساحل العاج سنة ١٨٤٢ واستولت عليها سنة ١٨٨٢ ووصلت الى داهومي سنة ١٨٥١ ولكن لم تضمها الا عام ١٨٩٤ . ثم أخذوا يتوغلون في غرب القارة عن طريق السنغال والنيجر فاستولوا على معظم غرب أفريقيا تاركين منطقة حول مصب نهر غمبيا لبريطانيا . وقد سميت ممتلكات فرنسا باسم أفريقية الغربية الاستوائية الفرنسية كما استولت فرنسا على المغرب العربي .

واستولت اسبانيا على ريودورو بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ الذي وزعت فيه الأسلاب بين الأطراف الاستعمارية المتنازعة في القارة وهي : انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا ، وقد أضفى هذا المؤتمر على استعمار أفريقيا ( شرعية ) لم تكن له من قبل . وفي سنة ١٩٠٠ اتفقت اسبانيا وفرنسا على أن يكون الحد الجنوبي للنفوذ الأسباني مسيرا لرأس بلانكو بحيث يقسمها قسمين .

وفي سنة ١٩٠١ ضمت منطقة أخرى للأراضي الأسبانية بين رأس بوجادور ورأس جوير ، وتمتد في الداخل . وفي ١٩١٢ عدلت الحدود بحيث تسير مع وادي دراغ ، وهذا الجزء معروف باسم « مراکش الأسبانية » الذي ضم الى المملكة المغربية بعد الاستقلال . ولا تزال منطقة افنى تحت النفوذ الأسباني .

واستولت ألمانيا على منطقة الكمرون وتوجو وأفريقيا الجنوبية الغربية . ووضعت البرتغال يدها على أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية وبعض الجزر الافريقية الصغيرة التي أهمها برونسيب ، وساو تومي .

أما إيطاليا ففزت السواحل الصحراوية ، واستولت على برقة وطرابلس سنة ١٩١٢ . كما سيطرت على الصومال وإريتريا .

وتوغل الهولنديون في داخل القارة من ناحية الجنوب منذ القرن السابع عشر ثم جاء البريطانيون وحدث الاحتكاك بين العنصرين : الانجليز والبور Baers ( الهولنديين ) ولما تكاثر الانجليز في القرن التاسع عشر ارتحل البور شمالا سنة ١٨٣٠ (١) .

(١) الجغرافيا السياسية لأفريقيا . المصدر السابق ص ٥٤ وما بعدها .



ولما حاول زنوج البانتو التجمع لمحاربة الأوروبيين حربيا شاملة سنة ١٨٥٠ هزمهم البور ، والانجليز الذين اقتسموا المنطقة فكانت الترنسفال والأورانج للهولنديين ، ومنطقة ناتال وكيبتاون للانجليز .

وكونت انجلترا مستعمرة ناتال ، وتحصن البور في ولاية أورانج الحرة . وبعد أن عبر البور نهر قال ، أحد روافد نهر الأورانج ، كونوا منطقة الترنسفال بعاصمتها بريتوريا . ثم ضمت الترنسفال الى بريطانيا على أثر ظهور الذهب في منطقة الراند بالقرب من جوهانسبرج .

وقد تدفق الانجليز على هذه المنطقة ، ونشبت حرب البور الأولى سنة ١٨٨٠ . ثم قامت دولة البور باتحاد الترنسفال والأورانج . وفي الفترة بين ١٨٩٩ - ١٩٠٢ نشبت حرب البور الثانية وانتصر الانجليز على البور ، وقام اتحاد جنوب افريقية سنة ١٩٠٨ .

وقد كان للشركات الكبرى التي تكونت في افريقية دور هام في استعمارها ، ثم تقسيمها ثم نشر وباء التمييز العنصري فيها .

- ففي سنة ١٨٨٥ تكونت شركة افريقيا الشرقية الالمانية .
- وفي سنة ١٨٨٦ تكونت شركة الكونغو التجارية الصناعية .
- وفي سنة ١٨٨٦ أيضا تكونت شركة النيجر الملكية البريطانية .
- وفي سنة ١٨٨٨ تكونت الشركة البريطانية لشرق افريقية .
- وفي سنة ١٨٩١ تكونت شركة موزمبيق البرتغالية .

وقد عقدت هذه الشركات الاحتكارية الاستعمارية عدة اتفاقات غير متكافئة مع زعماء القبائل ، وقامت بشراء مناطق كبيرة ، وأسست مراكز للتجارة . . وللوثوب الى الداخل . ثم أنشأت شبكة واسعة من المواصلات . وفي النهاية كانت تبيع املاكها التابعة لها ، التي تعين للمنطقة حاكما عاما ، ويصبح الاستعمار سائرا بعد أن كان مستترا .

فالشركة البلجيكية تحولت الى مستعمرة الكونغو سنة ١٩٠٨ .  
وشركة شرق افريقية البريطانية تحولت الى « الشركة الامبراطورية » التي اشترت حق ادارة بعض المناطق من سلطان زنجبار . وقد تنازلت هذه لشركة ايطالية تولت ادارة قسمايو ومقديشيو . ثم حصل الايطاليون على منطقة ممتدة على نهر جوبا ، وبدأ الاستعمار الرسمي للصومال .  
أما الشركة التي كونها كارل بيتز الالماني فقد عقدت المعاهدات مع السلاطين وشيوخ القبائل ثم انتهى الأمر بالاحتلال الالماني .

وقد اختلف الاستعمار الأوروبى من منطقة الى أخرى باختلاف سياسة الدول الاستعمارية من جهة ، واختلاف الظروف الطبيعية والبشرية للدولة التى ابتليت بالاستعمار من جهة أخرى . .

ولكن بالرغم من هذه الاختلافات النظرية فإن هناك اتفاقا جليا بين الدول المستعمرة لجميعها على معاملة الوطنيين الأفريقيين معاملة سيئة . وكان ينظر الى أهل البلاد الأصليين على أنهم نوع من البشر ، لا يرقى الى درجة الجنس الأبيض الأوروبى الذى يجب أن يسود ، وأن يحكم! (١) وقد ارتبطت فكرة الامتياز الأوروبى على الأفريقى أولا بالدين . فالأفريقيون غير مسيحيين كالأوروبيين . وكان هذا العامل الدينى الموروث من العصور الوسطى موحها ضد الوثنيين . ولم ترتبط العنصرية باللون الا فى بداية القرن التاسع عشر حين قسم الأفريقيون الى سود وبيض أو بيض وغير بيض ، وأصبح الدين غير صالح للتفرقة العنصرية . وهكذا ظهرت التفرقة العنصرية على حقيقتها ، فى شكل متاجرة بالرقى (٢) .

وقد ظهرت هذه العنصرية فى معظم المستعمرات . وكان ظهورها أشد فى المستعمرات البريطانية من أمة منطقة أخرى . فالدين لم يكن له فى تلك المستعمرات شأن يذكر حيث تحول جانب من الوطنيين الى الدين المسيحى (٣) .

وتحتم سياسة العنصرية القائمة على اللون ابعاد العناصر الأفريقية عن كل ما يتمتع به البيض من مرافق ، ومن خدمات ، ومن حقوق مدنية . وربما كانت أهم مشكلة تسببها التفرقة العنصرية هى مشكلة الأرض بسبب انتشار الصحارى ، والغابات والمستنقعات ، واقتصار الأراضى الصالحة للزراعة على مناطق صغيرة نسبيا . وقد تجسست هذه المشكلة فى المناطق التى هاجر اليها الأوروبيون بكثرة بقصد الاستيطان ، وامتلاك الأراضى ، أو العمل الزراعى مثل اتحاد جنوب أفريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، وكينيا والجزائر ، اذ امتلك هؤلاء الأوروبيون أخصب المناطق وأصلحها للاستقرار ، تاركين المناطق الفقيرة أو ذات الأمطار القليلة للمتلك الأفريقى ، أو للمعازل الأفريقية كما يسمونها .

(١) التفرقة العنصرية فى أفريقيا . المصدر السابق ص ٥٨ .

(٢) التفرقة العنصرية فى أفريقيا . المصدر السابق ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .

وزاد المشكلة تعقيدا اختلاف نظرة كل من الأفريقيين والأوروبيين الى الأرض . فالأفريقيون يعتمدون على الزراعة في اقتصادياتهم اعتمادا كبيرا ، كما يعتبرون الأرض ملكية جماعية للقبيلة أو للعائلة . فهم ينظرون الى الأرض نظرتهم الى حياتهم ، باعتبارها قوام حياتهم . أما الأوروبيون الوافدون فيعتبرونها من الممتلكات الشخصية لكل فرد شأن الملبس والأثاث ، والمسكن ، وهكذا اختلف مفهوم الأرض لدى كل من الفريقين .

ونظرا لعدم وجود نظام مكتوب للملكية العقارى لدى الأفريقيين فقد اعتبر الأوروبيون الأرض - وخاصة ما كان يستغل منها لفترات قليلة من السنة - لا مالك لها - كما أن تباعد القرى جعلهم يعتبرون الأراضي الواقعة بين كل قرية وأخرى من املاك الدولة ، التى أصبح يسيطر عليها الرجل الأبيض مع أن هذه الأرض كانت مملوكة لأفريقيين يستغلونها فى الرى أو الصيد أو قطع الأخشاب كما كانت القرى تنقل من مكان الى آخر بعد نضوب خصوبتها .

وقد دفعت بريطانيا ثمن ممارسة هذه السياسة الاستعمارية فى كينيا عندما نشبت ثورة قبائل الكيكويو التى انتزعت أراضيها الموجودة فى هضاب كينيا .

ولكى يمكن المستعمرون من جذور هذه العنصرية الجنسية - ذات الأساس السياسى البحت - عملوا على تمزيق القارة تمزيقا عجيبا ، ففصاوا اجزاء مناطق ذات طبيعة جغرافية وبشرية واحدة عن بعضها . كما انشأوا وحدات سياسية صغرى ، وأثاروا بينها العصبية القبلية ، والنعرات القومية الزائفة . وان كل من ينظر الى خريطة افريقية يهوله ما يراه فى دولها من منحنيات ، وأضلاع تمثل حدودا سياسية مصطنعة ، واقتصاديات غير متكاملة . والا فلماذا تقسم شعوب غرب افريقيا التى تتشابه فى الجنس والعقيدة ، واللغة ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية بينما تبلغ مساحته اكبر من مساحة الهند ذات اللغات والأجناس والأديان المتعددة ؟

ولماذا تقسم قبائل الأنواك فى جنوب شرق السودان بين السودان والخبشة ؟ ولماذا تقسم قبائل الماساى بين كينيا وتنزانيا ؟ ولماذا قسم الصوماليون وشتتوا فى اثيوبيا وكينيا والصومال الفرنسى ؟

ان تخطيط الحدود السياسية بهذا الشكل المصطنع المتعمد ، خلق ٦٦ وحدة سياسية منها ١٣ وحدة لا سواحل لها بينما ان عدد الدول التى

لا سواحل لها في العالم كله ١١ دولة فقط منها ٤ في أوروبا ، ٥ في آسيا ، ٣ في أمريكا الجنوبية . وذلك جعل كل دولة منها تحت رحمة جيرانها الذين شكلهم الاستعمار تشكيلا مختلفا من الناحية الثقافية ، والاقتصادية ، والحضارية حتى أصبحت هذه المشكلة مثار منازعات دولية ، وإفريقية متعددة الأطراف ، ومستمرة ! .

وخلاصة الأمر هي :

- ١ - ان التفرقة العنصرية لا أساس لها في علم الاجناس .
  - ٢ - نشأت في افريقية مع الاستعمار ، وارتبطت به شكلا وموضوعا .
  - ٣ - بدت أول ما بدت على أساس الدين ، ثم ظهرت بشكلها الحقيقي على أساس اللون .
  - ٤ - خلقها الاستعمار لتخدم أغراضه . فهي اذن «نظرية سياسية» وليست «نظرية علمية» .
- يقول جون جنترا (١) :

« ومن المؤكد أن هناك ملايين من الأفريقيين الأغبياء . تماما كما أن هناك ملايين الأغبياء من الروس أو الأمريكان ، أو غيرهم ممن تشاء من الشعوب . ولا يعني ذلك أنه ليست هناك ملايين أخرى يمكنها بالقوامة والفرصة والثقة أن تصير الى ذكاء الرجل الأبيض تماما ، لأن العقل لا لون له والجميع يعلمون أن بعضا من العقول الصينية أو الهندية تماثل العقول الأوروبية أن لم تفقها ، وتبزاها ، فليس هناك مسوغ أنثروبولوجي لافتراض أن يتفوق شعب دون شعب آخر بسبب اللون فحسب » .

« ولنقرر الحقيقة التالية مرة أخرى ، وهي أن جميع الأفريقيين تقريبا ، أينما كانوا ، أو كان لون بشرتهم . تواقون للعلم والمعرفة . وهم ينالون القدر الذي يستحقونه من التعليم ، وآخذون في التطور السريع بعد استقلالهم . والتخلف الأفريقي ثمرة من ثمار الاستعمار ولا علاقة له بسلالة أو لون » .

---

(١) في كتابه « داخل أفريقية » ترجمة بإشراف حسن جلال العروسي . ص ١٦٦ .

## الفصل

### الثانى : العنصرية فى المستعمرات البرتغالية

ان البرتغال دولة من الدرجة الثالثة ، متخلفة اقتصاديا واجتماعيا بالرغم من سيطرتها على تلك المساحات الشاسعة فى انجولا وموزمبيق فى أفريقيا . فمستوى معيشتها ، ونسبة المتعلمين فيها أقل من جاراتها فى الدول المتقدمة ، فنسبة الأمية فيها تبلغ حوالى ٧٠٪ ونسبة الوفيات بها أعلى نسبة فى أوروبا . ويعتمد ما يزيد على ٥٠٪ من السكان على الزراعة ، ودخل الفرد فيها أقل من دخل الفرد فى أوروبا . ونظرا لركود اقتصادها الخاص ، واعتماد صناعتها على شركات أجنبية ورأسماليين أجانب ، فقد تركزت القوة السياسية فى أيدى قلة من ملاك الأراضي الذين لم يهتموا أى اهتمام بخلق سوق للمنتجات الصناعية ، أو يعملوا على رفع مستوى المعيشة فى بلادهم .

ومع ذلك فالبرتغال تملك امبراطورية من أضخم امبراطوريات العالم ، اذ تبلغ مساحة مستعمراتها أكثر من ٨٠.٠٠٠ ميل . أى ما يقرب من مساحة غربى أوروبا .

والبرتغال تعتبر النموذج الكامل للمجتمع المتحجر ، فهى لم تتأثر بكل الثورات الكبرى التى وقعت فى أوروبا .

وليس معنى ذلك أنها دولة مستقرة سياسيا . ففي الفترة التى انقضت بين نزول الملك شارل عن العرش سنة ١٩٠٣ وبين الانقلاب الذى قام به الجيش ، وأتى بسالازار سنة ١٩٢٧ ، تولى الرئاسة ٨ رؤساء جمهوريات ، وقامت ٨ حكومات ، ونشبت ٢٠ ثورة ، حتى أن عصبة الأمم راودتها فكرة تولى ادارة البلاد لتحقيق الاستقرار فيها ! .

ومنذ استيلاء سالازار على الحكم ومستوى الحياة — وخاصة بين الطبقات العاملة — فى انخفاض مستمر ، والاقتصاد فى انكماش دائم (١) .

---

(١) البرتغال فى أفريقيا . جيمس دق . ترجمة جاد طه .

ومن أجل تنفيذ برنامج التعمير الاقتصادى اتجه سالازار الى العمل على استمرار السيادة البرتغالية بأن يعطى معنى دستوريا لنظرية الامة الواحدة ، ففي عام ١٩٥١ حدث تغيير شكلى بأن أدمج قانون المستعمرات الذى كان ساريا منذ سنة ١٩٣١ فى الدستور البرتغالى . واعتبرت المستعمرات اراضى برتغالية . وفيما عدا ذلك لم يحدث أى تغيير !

وهى تشبه السياسة الاستعمارية الأسبانية حيث نظر الاسبانيون الى مستعمراتهم فى أفريقية كولايات أسبانية لا كمستعمرات ، كما تشبه السياسة الاستعمارية الفرنسية السابقة التى اعتبرت الجزائر أرضا فرنسية !

ولما كانت القوة الشرائية منخفضة فى مستعمراتها الأفريقية اذ تحتوى على ٦ مليون نسمة فى موزمبيق و ٥ مليون نسمة فى أنجولا لجأت الحكومة البرتغالية فى ترويج منتجاتها الى طريقة عجيبة ، ففي النيبدا مثلا لجأت الى اصدار القراوات بمنع المشروبات المحلية المماثلة بحجة أن مشروبات الشبونة أقل ضررا من مشروبات المستعمرات !

أما القطن فيستورد من أفريقية بعد حلجه . وكان الانتاج ينحصر فى الملابس الرخيصة التى تصدر ثانية الى المستعمرات الأفريقية . وكذلك الحال بصدد المنتجات الأخرى كالسكر والخضروات والزيت وسائر المنتجات الاستوائية ، وشبه الاستوائية .

وقد ظل سالازار فى الحكم منذ سنة ١٩٢٧ حتى الآن . ولم تشهد البرتغال حاكما قاسيا مثل سالازار . . فهو ديكتاتور ، متكبر ، متعصب ، متعصب الفكر والمبادئ . فلا حرية ولا ديموقراطية ولا عدالة اجتماعية . . بل سلطة مطلقة له ولأتباعه وكانت نتيجة ذلك أن جثم الفقر والجهل والمرض على صدر الشعب البرتغالى ، وحال هذا النوع من الحكم بينه وبين الحياة الحرة الكريمة التى تتناسب مع أفكار العصر . وهو الذى كان سببا فى تفكك الشعب عامة ، والأسرة خاصة .

أما السلطة فمركزة فى أيدي قلة من الطغاة الذين رفعهم سالازار الى الحكم . وأما الثروة فقد أصبحت فى أيدي قلة من الرأسماليين الأجانب ، ومعهم أقلية من المفامرين الوطنيين الذين صارت كل آمالهم فى الغنى والشهرة بأية وسيلة على حساب أغلبية الشعب . ولهذا تفشت البطالة بين أكثر من ٥٠٪ من القوى العاملة .

وبعد أن انتهت الحرب الماضية انتعش أمل الشعب في منحه قسطا من الحرية والرخاء . . ولكن سرعان ما خاب أمله حين أيدت بريطانيا وأمريكا سالازار خاصة بعد أن انضم إلى الأمم المتحدة ، وحلف شمال الأطلسي !

وعقيلة سالازار عقلية استعمارية عتيقة كما أسلفنا . فهو لا يزال يحلم بالامبراطورية البرتغالية ويعتقد أن أنجولا وموزمبيق جزء من الوطن البرتغالي الأم .

لهذا لم يكن مستطاعا - والحالة هذه - تحقيق الوحدة القومية ، أو تطوير المستعمرات البرتغالية في ظل حكومة سالازار التي تنهض ذوي الآراء الحرة ، والمتقنين ، وأصحاب المهن وتبطل بكل الحركات الوطنية التحررية ، وتفتك بالشعب .

وفي عام ١٨٣٦ صدر مرسوم في البرتغال بإلغاء الرق ، بالاتفاق مع الحكومة البريطانية ، بعد أن اشتدت في العالم كله الدعوة إلى هذا الإلغاء . وفي عام ١٨٤٢ وقعت الدولتان اتفاقية أعلنتا فيها أن تجارة الرقيق تعتبر قرصنة . وفي سنة ١٨٥٨ تقرر إلغاء جميع أشكال الرق خلال عشرين عاما .

غير أن الرق وإن ألغي في المستعمرات البرتغالية بالنصوص القانونية، فإنه ظل قائما في صور أخرى ، منها صورة السخرة ، والتمييز العنصري (١) .

ففي عام ١٨٧٥ صدر قانون يرغب الأفريقي على التعاقد للعمل لمدة عامين مع مولاه السابق ولأجل تأكيد هذا الرق الجديد صدر عام ١٨٧٨ تشريع آخر يجعل من سلطة الموظف البرتغالي في المنطقة أن يعتبر كل أفريقي لا يعمل بمقتضى القانون الأول . . عاطلا !

وقامت حجة البرتغاليين في هذا النظام الجديد على أن الأفريقي لا يصبح متحضرا إلا عن طريق العنل ، وأن إجباره على ذلك جزء من رسالتهم التمدينية !

وقد دافع المندوب البرتغالي عن هذه السياسة عام ١٨٩٥ في المؤتمر السادس للجمعية الجغرافية الدولية ، فقال :

---

(١) نهاية الاستعمار . . محمد هنالي . من ١٥٤ .

« اننا نسمع اليوم الناس يتحدثون عن العمل الإجبارى ، كما نسمع بالمثل كلمة « الرق » التى كثيرا ما استخدمت لاستغلال ذوى القلوب الطبية فى أوروبا . وعندى أن الزنجى لن يشتغل أبدا عن رضا ذاتى . والوسيلة الوحيدة لارغامه على العمل هى أن تجعله يدفع ثمنا غاليلسا لأشباع ضروريات الحياة القليلة التى يحتاج إليها . وهذا كان هدف سياسة البرتغال الاقتصادية فى إفريقيا » .

وتقول البرتغال أيضا فى معرض دفاعها عن تلك السياسة :

« أن المرسوم الصادر فى عام ١٩٢٦ قرر أن السخرة لا تستخدم الا للمصلحة العامة ، وأن يؤدى عنها أجر . كما نص قانون سنة ١٩٣٠ الخاص بتنظيم شئون المستعمرات - على أن نظام العمل بالتعاقد يقوم على أساس الحرية الفردية ، وحق الوطنى فى الحصول على أجر عادل ومعوّنة مجزية ، والا تتدخل السلطات العامة الا لأغراض التفيتش » .

غير أن العبرة ليست بالنصوص المكتوبة ، وانما بالتطبيق ، والروح السائدة فى هذا التطبيق .

١ - ينص القانون فى حالة السخرة على عدم أداء الأجر عن الأعمال التى يعود نفعها على الأفريقيين مباشرة . وهذا مبدأ عجيب فى القرن العشرين ، اذ المفروض أن تلك الأعمال من صميم واجبات الحكومة ، وهى تحصل الرسوم والضرائب وكافة الأموال الامرية اللازمة لها . وقد أسىء - بطبيعة الحال - استخدام ذلك النص لسلب الأفريقيين أجورهم ، وحرمانهم من ثمرات مجهودهم الشاق المضنى ! .

٢ - يرسل الافراد الذين لا تميل اليهم السلطات ، لسبب او لآخر ، الى « ساوتوميه » او « برنسيب » للعمل فى مزارع قصب السكر بأساليب لا تختلف عن أسوأ مظاهر العبودية .

٣ - المفروض طبقا للتشريعات أن يحصل العامل بالاختيار أو بالتعاقد على الأجر العادل ، ولكنه لا يعطى فى الحقيقة الا الأجر الذى يكاد يمسك رقبته . والفداء الذى يقدم اليه من أخط الأنواع . والمأوى لا يختلف عن حظائر الحيوانات . والخدمات الطبية تكاد لا يكون لها وجود .

٤ - والمفروض كذلك أن يتعاقد الأفريقى فى حرية تامة . ولكن الذى يحدث فعلا أن صاحب العمل - سواء أكان فردا أم شركة - يتقدم بطلب الى السلطات يتضمن عدد الأيدي العاملة اللازمة . ويحال



الطلب الى الأمور المختص . وهنا يتسع المجال للرشوة ، اذ يعمد المأمور الى جمع أكبر عدد ممكن من العمال لتزدد مكاسبه .

٥ - كانت الحالة في ظل الرق أقل سوءا من الحالة الحاضرة . فقد كان مالك العبد حريصا على ان يظل العبد حيا أطول مدة ممكنة بسبب ارتفاع ثمنه . أما في ظل هذا القانون فصاحب المزرعة يدفع أجرا زهيدا له . وما عليه اذا مات العامل من سوء المعاملة ، أو سوء التغذية أو نقص الرعاية الطبية ، إلا ان يطلب غيره !

٦ - لا يراعى أصحاب الأعمال والموظفون الشروط الخاصة باعفاء الصغار من العمل ، وإنما يجري استخدامهم على نطاق واسع ، وخارج مناطقهم بعيدا عن أهليهم ، وخاصة في مزارع الشاي في نيباسا ، ومزارع البن في أنجولا .

٧ - وعلى الخادم الأفريقى لدى أسرة أوروبية أن يحمل « تصريحاً » يوضح مركزه . وعلى مخدمه التوقيع في الدفتر كل يوم . فإذا نسى الأخير ان يفعل ، أو تمسك أن لا يفعل ، ذلك فان السلطة تقبض على الأفريقى وتحلق له رأسه ، ويرسل للعمل في الطرق أو يلقى به في السجون !

ونعرض هذا النظام للنقد الشديد على أساس انه يؤدي الى استنفاد القوة البشرية في المستعمرات البرتغالية . ولذلك يلاحظ أن الكثيرين من العمال الأفريقيين يهربون سرا الى المستعمرات المجاورة رغم ما فيها من سياسة التمييز العنصرى والعزل العنصرى ، كما في جمهورية جنوب أفريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، ولكنهم يفضاونها على بلادهم !

قال سالازار في إحدى المناسبات :

« ان البرتغال كانت سباقة في ميدان كشف أفريقية . وليس لدى البرتغال أية نية في التخلي عن مسئولياتها . وهى تدرك انها صاحبة رسالة مقدسة أمرها الله بالقيام بها لهداية الكافرين (١) سواء أكانوا في دولة الهند ، أو في غابات الكونغو ، أو في هضاب أنجولا . ولن تتخلى عن هذه الرسالة مهما يفعل الآخرون » .

وهذه الفلسفة الاستعمارية العنصرية تقوم على الأسس الآتية ، كما صورها جورج أميل ممن يقومون على شئون الدعاية الاستعمارية والعنصرية في البرتغال :

١ - العنصر الجغرافى : ومؤداه امتداد رقعة البرتغال الصغيرة على أرض شاسعة عبر قارات ثلاث ، وتأكيد الحقيقة القائلة بأن البرتغال هى الدولة الاستعمارية الثالثة فى العالم !!

٢ - العنصر التاريخى : وفيه تكمن النظرية العنصرية التى تزعم أن البرتغال هو الشعب المختار لتمدين الغير على حد قول سالازار . ويقول جوزج اميل أن ذلك « تريد للحمة أبطالنا من الملاحين المحاربين الذين دفعتهم الحوافز المقدسة فحملوا سيادتنا وإيماننا الى اقاصى العالم . ويشمل هذا العنصر البطولى انبل المشاعر التى نعرض بها رسالتنا كشعب مختار » .

٣ - العنصر المادى : وهو أن تجنى البرتغال ثمرات المشاق والجهود المضنية ، الضاربة جذورها فى أعماق التاريخ والتى بذلتها فى كشف مجاهل القارة النائمة ولسلب ونهب كنوزها قبل أن تظاها أقدام المغيرين البيض الآخرين .

ويقول عنه « جورج اميل » : « انه حصيلة جهودنا ومتاعب مبيعوثنا بحيث أتيح لنا أن نأخذ من البلاد القاصية ثرواتها المخبوءة ، ونؤسس مراكز للأنتاج والريح فى بلاد بعيدة جدا » .

٤ - العنصر الوطنى : وهو النعرة الكاذبة التى حدث بحاكم أنجولا إن يقول متفاخرا :

« أقسم أننا نحن البرتغاليين سوف ننفذ واجبنا كوطنيين مهما كانت الضرورة ، ومهما كانت الصعوبة ، فى التضحية . أننا نعرف كيف نموت ، ونستشهد من أجل أراضى (١) البرتغال التى نرى أن تكون وإن تظل دائما برتغالية » .

ويقول جورج اميل عن ذلك « استلهم الشعور الوطنى - كما جرى على ذلك لقرون عدة - ما كتبه كاموس فى لوسيداس .. استلهم رمز الوحدة الأدبية للإمبراطورية التى تغنى بارتياحها وفتوحاتها فى سبيل الحضارة فى أبيات من الشعر الباقى على مر الزمن » .

ومعنى هذا أن المجتمع البرتغالى الإمبراطورى الكبير يجب أن تترابط أجزاءه من النواحي الثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وأن يخضع

---

(١) يعتمد مستعمرات البرتغال .

للسلطة المركزية في لشبونة التي يجلس على قمتها السفاح الأكبر سالازار .  
وبعبارة أخرى : دولة واحدة ، ودين واحد ، وجيش واحد .

ويدل على حقيقة وجود هذا الاحساس الخيالي ما جاء في افتتاحية  
جريدة « العالم البرتغالي » من أنه « بدون المستعمرات البرتغالية في  
أفريقية سوف تكون شعبا صغيرا (١) » .

ويقول وزير المستعمرات :

« كثيرا ما يقال اننا نتفنى بتاريخنا . بل يقول البعض اننا نحتفى  
في الماضي لنعوض تفاهة الحاضر . ورغم ذلك فاننا في البرتغال نشعر  
الآن اننا وريثة تقاليد عظيمة جدا حتى انه يحق لجيل اليوم أن يستحضر  
الماضي لا كذكرى ميتة وانما كمصدر للإلهام للمستقبل !!

وقد حرصت حكومة سالازار على غرس هذه السياسة الاستعمارية ،  
والفلسفة العنصرية في عقول أفراد الشعب البرتغالي ، المغلوب على أمره ،  
وبخاصة في صفوف الشباب لالها ب خيالهم الساذج ، ولحملهم على الهجرة  
الى المستعمرات . ولم يهتم المثقفون بهذه الدعاية المسمومة في أول الامر  
لجهلهم حقائق الأحوال في المستعمرات . ولكن تكفل الفقر في البرتغال  
بعد ذلك باقناع البرتغاليين بما كانوا يرفضونه . فقد كان دخل الفرد  
في البرتغال من ٧٠ الى ٨٠ جنيه في السنة ، وهو اقل دخل في أوروبا .

وبدأت هجرات البرتغاليين تفد على مستعمرات البرتغال في افريقية  
جماعات جماعات ، كالجراد بعد أن كانت تستورد منها الرقيق الى  
مزارعها . وقد كان لهذه الهجرات أثرها على هذه المستعمرات . ومن  
ثم أصبحت مدنها جميعا تمتع بالبيض وسط بحر من جمهور أسود  
كالليل ، وأصبحت أحياء البيض معازل تحمل الطابع البرتغالي . وقد  
نجحت حكومة سالازار في هذه الناحية ، وان كانت قد عملت بمرور  
الزمن على تجميد الحدود الفاصلة بين عالم البيض وعالم السود .

وهكذا أصبح عامل اللون « مركب تفوق » لدى البرتغالي الدخيل ..  
و « مركب نقص » لدى الأفريقي الأصل .. وبدأت السياسة العنصرية  
السالازارية المتحجرة .

وظل سالازار يحلم بالامبراطورية رغم المصاعب الجمة في المستعمرات ،

---

(١) نهاية الاستعمار البرتغالي المصدر السابق . ص ٦٥ .

والهجوم العالى على سياسته الخرقاء فيها . وقد تحدث فى مايو ١٩٥٤  
عن المشكلة الافريقية عامة فقال :

« الحقيقة الواقعة تقول ان افريقية على فوهة بركان حتى فيما  
يجاور الحدود (١) البرتغالية ولكن لماذا تندلع النار فى افريقية ؟ .. ليس  
لنا أن نتخيل أن ذلك يرجع الى نار كامنة فى الداخل ، وأعنى حركة  
التاريخ الحتمية التى تدفع السكان الى التمرد والصراع والاستقلال .  
ان افريقية تحترق لأن النيران اشعلت فيها من الخارج » ..

اما الرئيس أفريكو توماس فقد قال فى نوفمبر ١٩٦٠ :  
« ان وجودنا فى افريقية ليس كوجود الآخرين . ولسوف نواصل  
دائما سياستنا فى الضم والاستيعاب » .

اما الدكتور كاسترو فرنانديز ، رئيس الاتحاد القومى للحزب الحاكم  
فقد قالها دون مواربة أو حياء :  
« ان البرتغال فى افريقية .. ولسوف تظل فى افريقية » .

### العنصرية فى أنجولا :

تقع أنجولا بين نهري الكونفو وكونين . ويحدها من الشمال والشمال  
الشرقى الكونفو ( ليوبولدفيل ) ، ومن الجنوب جنوب غرب افريقيا ،  
ومن الشرق زامبيا . وهى تطل من الناحية الغربية على المحيط الأطلنطى  
بساحل طوله حوالى ١٠٠٠ ميل ، وان لم تتوافر فيه الظروف الملائمة  
لأنشاء الموانى الطبيعية الجيدة .

ويتكون الاقليم من سهل ساحلى يتراوح عرضه بين ٣٠ ، ١٠٠  
ميل . وتمتد موازية لهذا الاقليم هضاب مرتفعة تتجه من الشمال الى  
الجنوب يتجاوز اعلاها ٧٥٠٠ قدم ، فى حين يتراوح الارتفاع فيها جميعها  
بين ٤٠٠ و ٦٠٠٠ قدم . ويخفف هذا الارتفاع من درجة الحرارة  
الشديدة ، ولذلك تصلح تلك المناطق لاقامة الاوروبيين . وتهبط الهضاب  
فى الشمال الشرقى مكونة جزءا من منابع مجموعة نهر الكونفو ، فى حين  
تقع الاجزاء المنخفضة فى الجنوب الشرقى فى نهار زمبىزى وبحيرات  
بشوانا لاند الشمالية .

---

(١) يقصد المستعمرات البرتغالية فى افريقيا .

والنبات الطبيعي غزير في الشمال . وتغطي الغابات المدارية مساحات كبيرة من المرتفعات ، في حين توجد الأشجار في الهضاب . وتنتشر أعشاب السافانا في الجنوب والشرق . وتربة البلاد خصبة بوجه عام . ونظرا لتنوع المناخ يمكن زراعة مختلف أنواع نبات المناطق المدارية والمعتدلة .

وبالرغم من أن أنجولا قطر متسع فانها قليلة السكان ، اذ تبلغ كثافة سكانها ١٢٨ شخصا في الميل المربع . ويبلغ مجموع السكان فيها نحو ٥ مليون نسمة ، منهم ٢٠٠ ألف أوروبي استوطنوا هناك منذ عهد قريب . والقبائل الرئيسية هي البانتو والبالوندا في الشرق ، وأوفامبو في الجنوب ، ومبونندو والباكونجو في أقصى الشمال .

وتوجد في أنجولا مدن كبيرة كثيرة ، والعاصمة « لواندا » هي أكبرها اذ يزيد عدد سكانها على ٢٢٥ ألف نسمة ٣٥ ألفا من البيض ، وبنجويلا التي يزيد عدد سكانها على ١٩ ألفا ، وهما تقعان على المحيط ، ولوبيتو التي يزيد عدد سكانها على ٣٢ ألفا . ولواندا العاصمة من أجمل مدن إفريقيا ، وهي ذات مناخ استوائي .

وتبلغ مساحة أنجولا حوالي ١٢٥.٠٠٠ كيلو مربع ، أي قدر مساحة البرتغال التي تستمرها ١٤ مرة .

وتمثل الزراعة الحرفة الأساسية للسكان الأصليين في أنجولا . وهي تقوم على مجرد اشباع الحاجات الأولية للأهالي ، كالاذرة والدخان الى جانب البطاطا .

أما الزراعة الحديثة فيمارسها الأوربيون ، وهي تمتاز بوجود الوحدات الزراعية الكبيرة والمتوسطة التي منحت للشركات والأفراد ، وازدياد استخدام الأساليب الفنية الحديثة تدريجيا - وإن كان الاعتماد الأكبر على العمل اليدوي والعمال الأفريقيين بوجه خاص اذ أنهم أقل كلفة من استخدام الآلات الميكانيكية - والتركيز على إنتاج المحصولات التجارية والصناعية وأهمها البن والقطن واقصب السكر . ويكون البن ٤٥٪ من صادرات أنجولا . ولكن هذا المحصول نقص منذ سنة ١٩٦١ بسبب الثورة الوطنية . وصناعة السكر من الصناعات ذات الأهمية الكبرى لاقتصاد أنجولا والبرتغال معا . وكذلك حرفة تربية الحيوان وأهمها الماشية والخنازير . وقد ترتب على وجود هذه الحرفة أن أصبحت أنجولا تصدر مقادير كبيرة من الجلود .

ومن أهم المعادن في أنجولا الماس ، ولكنه يحتل المركز الثانى فى أهميته بعد تجارة البن . كما يتوافر فيها خام الحديد ، والمنجنيز . أما النحاس فلا يزال قليلا .

وأعظم عمل فى السنوات الأخيرة كان اكتشاف البترول عام ١٩٥٥ على مقربة من لواندا .

وقد لاحظ سالازار فى عام ١٩٤٣ أن الأراضي الغنية الشاسعة والتي يقل فيها عدد السكان هى المكمل الطبيعى للزراعة ، والصناعة فى الوطن الأم ( البرتغال ) بالإضافة الى أنها سوف تستوعب الفائض من السكان . لذلك وضعت حكومته مشروعات التنمية والتوطين . ولكن جهودها فى هذا السبيل لم تكن منسقة أو منظمة . كما أن مناخ أنجولا كان غير مشجع للكثيرين على هذه الهجرة . ومع ذلك فإنها اجتذبت أكثر من غيرها من المستعمرات البرتغالية الأخرى نسبيا بسبب وفرة فرص العمل والعيش فيها .

ولقد عانت أنجولا العبء الأكبر من مساوئ الاستعمار البرتغالى ومقاسده ، فكانت البلد الذى استنزف البرتغاليون موارده البشرية فى عهد تجارة الرقيق .

لذلك لا عجب أن أصبحت أنجولا على درجة كبيرة من التخلف الاقتصادى بالقياس الى غيرها من البلاد الأفريقية الأخرى التى كانت تابعة للدول الاستعمارية مثل أفريقيا الوسطى ، والكونغو وكينيا ، وغانا وغيرها . وهذه الظاهرة ترجع الى عدة اعتبارات منها تخلف البرتغال ذاتها اقتصاديا ، وعدم اقبال أهلها على الاستيطان ، وقلة رأس المال البرتغالى المستثمر فى المستعمرات ، وعجز حكومة سالازار عن تشجيع دعوس الأموال الأجنبية ، وسوء الإدارة . الخ .

والحق أن التفرقة العنصرية التى يمارسها البرتغاليون فى أنجولا - وفى غيرها - تؤكد أنهم أحفاد قراصنة ، لا مجرد استعماريين كغيرهم .

وأهم مظاهر هذه التفرقة العنصرية هى :

١ - أن الأفريقيين محرومون من تحمل أية مسئولية فى إدارة بلادهم . وإذا وقعت إحدى الجرائم البسيطة فى قرية من قرأهم ظلت بلا تحقيق أو عقاب حتى يحضر رجل أبيض أو قسيس محلى . وإذا كانت الجريمة خطيرة تولى الفصل فيها المسئول البرتغالى .

والسلطة العليا في المستعمرات - منذ قانون سنة ١٩٣٠ - يمثلها حاكم عام ، يعينه مجلس الوزراء بناء على توصية وزير شئون ما وراء البحار لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد .

ويعاون الحاكم العام مجلس تشريعي ذو سلطة استشارية محدودة ، وأغلبية منتخبة من غير الأفريقيين . أما الباقيون فيعينهم الحاكم العام . وجهاز الحكم في المستعمرات احتكار للبرتغاليين وحدهم . أما أبناء البلاد فعبرة عن جيش الأيدي العاملة لخدمة المصالح البرتغالية .

ومن يعين من الأهالي الوطنيين في الجهاز الحكومي يكونون في العادة عيوناً للإدارة البرتغالية . ولذلك ينظر اليهم مواطنوهم بعين الريبة ، ويعتبرونهم مجرد أدوات في يد المستعمرين . وهكذا ، ومن خلال هذا النظام الإداري الصارم ، تمتد سلطة الحكومة البرتغالية مباشرة من وزارة المستعمرات في لشبونة الى قلب المستعمرات ذاتها ، التي أصبحت منذ سنة ١٩٥١ تسمى «أقاليم ما وراء البحار» ورفع عنها اسم «المستعمرات» .

٢ - لا يسمح لغير الأفريقيين بالتمتع بأى حقوق مدنية . وتحول الأفريقى الى برتغالى مسألة صعبة لأنها تتطلب اجادة اللغة البرتغالية ، واستيعاب العادات والتقاليد البرتغالية . وهذا كله مستحيل بفضل العقوبات التي تضعها الادارة البرتغالية . فالتعليم مثلاً كله حكومى ، ولا يقبل فيه الا أبناء البيض فقط دون أبناء الوطنيين أصحاب البلاد الأصليين .

٣ - الأفريقيون بحكم القانون ممنوعون من دخول المباني العامة ، والفنادق . ويسمح للأفريقى بالسفر بالدرجة الثانية ، وتناول الطعام في بعض المحال العامة بشرط أن يرتدى ملابس أوروبية نظيفة اذا كان رجلاً . أما السيدة فيشترط أن ترتدى فستاناً ، وأن تكون سافرة .. وفى كل محطة اوتوبيس .. وفى كل محطة سكة حديد .. وفى كل مطار .. وفى البنوك .. وفى المحال العامة .. وفى حلبات السباق .. وفى الملاعب والشواطئ .. وحتى في المطاعم نجد أماكن مخصصة للبيض وأخرى للسود .. وفى كل مكان تجد اللافتات وعليها عبارة « للأوروبيين فقط » أو « للسود فقط » أو « ممنوع دخول السود والكلاب » !!

وكتبت السيدة / جويندولن م . كارتر الأستاذة الأمريكية في كتابها « الاستقلال لأفريقيا » الذى وضعته بعد عدة رحلات الى أفريقيا (١) .

(١) نهاية الاستعمار البرتغالى . المصدر السابق . ص ٨٨ .

« لقد مضى بعض الوقت قبل أن أدرك طبيعة الاحساس الغريب الذى أحسست به ، وأنا فى قاعة الطعام بفندق لواندا المريح . كان الطعام شهيا والخدمة ممتازة . وأخيرا تبينت لماذا لم أكن أحس باننى فى أفريقية . لم أر وجهاً اسود واحدا . حتى أواني الطعام التى وضعت أمامى حملها خادم أبيض . ولم أحس من قبل باننى فى منطقة أوروبية ، معزولة عن القارة مثلما أحسست بذلك فى هذا المكان من أنجولا البرتغالية . ولم يكن فى الفندق الذى نزلت فيه أى أفريقى . وحتى الخدم والبوابين كانوا من البرتغاليين . وفى المنطقة المنبسطة القريبة من لواندا توجد مزارع برتغالية صغيرة بها منازل بيضاء أنيقة تحيط بها أشجار الفاكهة ، الى جانب مزارع النخيل وقصب السكر الشاسعة . وشاهدت أعمال البناء تجرى على قدم وساق فوق الهضبة . وفى « سيل » بوجه خاص قد دفع الأفريقيون دفعا الى ما وراء الجبال الجرانيتية التى ترتفع فوق السهل الأجرد فى الوقت الذى شيدت فيه المساكن الجبلية فى نظام هندسى بديع ، وأعدت لسكنى المستوطنين الجدد البيض » .

٤ - نقص الخدمات الطبية والخدمات العامة الأخرى فى الأحياء المخصصة للسود ، وكذلك قصور التغذية . الأمر الذى أدى الى هبوط معدل المواليد ، وارتفاع نسبة وفيات الأطفال ، ومخاطر العمل التى بلغت نسبة وفيات العمال منها حوالى ٤٠ ٪ .

٥ - تجنيد الأفراد للعمل . وجاء بالتقرير (١) الذى وضعه الكاتب هنريك جلفاوا أن ١٢ ٪ من العمال رفضوا لأسباب صحية ، وأن ١٠ ٪ هربوا من العمل أو مرضوا أو لم يمكن الاعتماد عليهم لأسباب أخرى ، وتم اللجوء الى العنف لتعويض النقص ، وأن ٣٣ ٪ من القادرين على العمل لا يعملون . الأمر الذى يدل على أنه لا يعفى العامل من السخرة الا الموت ! لذلك فهو يقرر أن النظام القائم هناك أكثر من الرق . وجاء بالتقرير أيضا أن المستوطنين كانوا يتوجهون الى ادارة شئون الوطنيين

---

(١) أوغلت الحكومة البرتغالية الكاتب هنريك جلفاوا ، وكان يعمل مفتشا عاما فى المستعمرات ونائبا من أنجولا فى البرلمان ، الى مستعمراتها فى افريقيا عام ١٩٤٧ ليضع لها تقريرا من أحوالها . وقد سافر جلفاوا فعلا الى أنجولا ورفع تقريره الاول الى الجمعية الوطنية . وعلى اثر رفعه لهذا التقرير قام سلااوار بسجنه . ولكنه استطاع الهرب عا ١٩٥٩ وظل مختفيا حتى عام ١٩٦١ . وقد أخذت الحكومة التقرير الى أن حصلت جريدة الأوبزوفر على صورة منسوخة فشرته فى عيدها الصادر فى ٢٩ يناير ١٩٦١ .



طالبين العدد اللازم من العمال وكانهم سلع . وباستمرار هذا الأسلوب ، وإساءة استخدامه ، تعود المستوطنون على فكرة التزام الحكومة بتدبير العمال لهم . ويصح القول بأنه يسود هناك اعتراف ضمنى بهذا الالتزام من قبل الحكومة حيث أنها تمارس فعلا عملية توريد العمال ، وتقوم في سبيل ذلك بأعمال وحشية كسجن المجندين للعمل ، وغير ذلك من الأعمال التي لا تتفق بأى حال مع نصوص القانون والإنسانية والحضارة . ومؤدى نظام السخرة أو تجنيد العمال أن العامل لا يستطيع اختيار صاحب العمل الذى يؤدي له أفضل الأجور ، وإنما يرغم على العمل لدى الشخص الذى تعينه السلطات حيث يحصل على الحد الأدنى من الأجر الذى ينص عليه القانون . . وكثيرا ما يحشدون كما تحشد الحيوانات للعمل فى مزارع أنجولا لدى المستوطنين حيث يموتون بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ ، ٣٠٪ من كثرة الإرهاق ، والضعف .

وتجند الحكومة أيضا العمال للقيام بخدماتها . وغالبا تلجأ الى استخدام النساء والأطفال والعجزة لأنه لا تتوافر لديها عادة الاعتمادات المالية لتشغيل الرجال أو الأصحاء . وأحيانا ترغمهم على العمل بدون أجر أو غذاء فى الطرق ، والمزارع الحكومية . وكان يشتد الطلب على العمال فى أقاليم نائية جدا فلا يؤدي لهم أجرهم الا بعد تنفيذ الأعمال بشهور طوال .

وكان الوطنيون الذكور فيما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين عرضة لهذا العمل الإجبارى سواء لدى صاحب عمل من البيض ، أو فى الخدمات العامة . ولكى يعفى الأفريقى منه عليه أن يثبت ( أولا ) أنه يعمل بنفسه فى مهنة أو تجارة أو صناعة ( ثانيا ) أنه سبق أن أدى هذه الخدمة الإجبارية للدولة أو لمقاوم خاص لمدة ستة شهور على الأقل بصفة مستمرة ( ثالثا ) أو أن يكون فلاحا أو فى بكل الشروط التى حددتها تشريعات المزارعين . . الخ .

ويقول الكاتب جلفاؤ عن معاملة أصحاب الأعمال أنفسهم للعمال (١) :

- ١ - أنهم يقاومون بكل الطرق الممكنة سياسة الأجور العادلة .
- ٢ - يسيئون معاملة العمال بكل وسيلة ، إذ ما تزال العقوبات البدنية ، وأساليب العنف الجثمانى قائمة . كما تسود الفكرة القائلة بأن الوطنى مجرد « حيوان » لحمل الانتقال .

---

(١) فى تقريره المشار اليه آنفا .

٣ - الاصرار على أداء كل شيء بوساطة العمل اليدوى .  
٤ - نقل العمال من جهة الى أخرى دون مراعاة التغيرات فى البيئة المناخية .

٥ - عدم العناية بتوفير المساكن الصحية اللائقة .  
٦ - ان روح الابادة ما تزال متغلغلة فى نفوس اصحاب الأعمال .

ويختتم الكاتبن جلفاوا تقريره بالمبارات الخطيرة التالية :  
« انى أتحمل مسئولية اثبات صحة كل ما أقول . انكم لا تستطيعون توجيه النقد الى الا لائى لم اذكر الحقيقة كلها ، أو بالأحرى لائى لم أصف جميع وجوه المشكلة ، ولكن هذا يتطلب مجلدات كبيرة ويستغرق ساعات كثيرة » ويضيف الى ذلك أن هذه الحقائق « لا يمكن ادراكها تماما عن طريق التقارير أو الاحصائيات الرسمية لأن الأرقام أو الالفاظ صماء ساكنة .. انها لا تصرخ ولا تتحدث عن الألم الذى يعذب الأفريقيين .. ولا الدماء الفزيرة التى تسيل منهم ، وانما يتطلب الأمر أن يتوجه المرء ليشاهد الأشياء بنفسه ، وأن يشجع الذين يريدون أن يروها بدلا من أن نوصد فى وجوههم الأبواب » .

#### العنصرية فى «وزمبيق» :

ان وزمبيق تحدها من الغرب محمية «سوازيلاند» وجمهورية جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية وزامبيا ( روديسيا الشمالية ) ومالاوى ، ( نياسالاند ) . وتحدها من الشمال جمهورية تانزانيا (تنجانيقا وزنجبار) . ويحدها من الشرق المحيط الهادى ، بطول ١٤٣٠ ميلا ، فى مواجهة عدة جزر أهمها وأكبرها جزيرة مدغشقر . وتقوم طائفة من الموانئ الطبيعية الجيدة على الساحل .

وتبلغ مساحة المستعمرة ٧٨٣٣٠ كيلو مربع ، ويقدر عدد سكانها بنحو ٦ مليون نسمة منهم ٥٠ ألف من الأوروبيين . وتوجد فى مناطق كثيرة منها الغابات بجوار الأنهار . وفى السلاسل الجبلية فى الشمال تنتشر أشجار النخيل ، وجوز الهند . ويزرع الأهالى عددا من المحصولات التجارية مثل قصب السكر ، والقطن ، والفواكه وأهمها الوز .

وتعتبر وزمبيق مثل أنجولا تماما فى درجة تخطفها الاقتصادية بالقياس الى غيرها من البلاد الأفريقية التى كانت تابعة للدول الاستعمارية،

اذ تقوم حياة السكان الوطنيين على الزراعة البدائية وحدها كما هي الحال في انجولا .

اما الشركات الأجنبية فتحتكر ثروة موزمبيق ، وتمتلك مساحات واسعة من أرضها نتيجة اتفاقيات قديمة أبرمت بوسائل الاحتيال والفسح والنصب .

واحصائيات سنة ١٩٦٠ عن صادرات موزمبيق هي :

١١٢ ألف طن صادرات من السكر .

٤٥ ألف طن صادرات من القطن .

٤٥ ألف طن صادرات من الليرة .

٩ كيلو جرام من الذهب .

٤ آلاف طن من البوكسيت .

مليون رأس من الماشية .

٩٩ ألف من الأغنام .

٣٨٥ ألف من الماعز .

٩٠ ألف من الخنزير .

ومن أهم الشركات الاحتكارية في الاقليم « شركة موزمبيق » وهي شركة برتغالية ، ويعتبر أساس نشأتها منح امتياز الكشف عن الثروة المعدنية على طول نهرى بوزى وبنجوى ، ومن أهم شروط الامتياز :

١ - استغلال ادارة مساحة تربو على ١٢٠٠ ميل مربع .

٢ - مدة الامتياز خمسون سنة .

٣ - تعطى الحكومة ١٠٪ من الاسهم ، كما تحصل على ٧٥٪ من صافي الأرباح . ومقابل ذلك تمتنع الحكومة عن جباية الضرائب في المنطقة مدة الامتياز .

٤ - تضمن الحكومة احتكار التجارة والتعدين والصيد وجميع الضرائب وانشاء الطرق والموانى وخطوط المواصلات ، والمصارف ، والبريد . وهكذا أصبحت الشركة حكومة داخل حكومة .

كما أن هناك « شركة نياسا » البريطانية ، و « شركة زمبيزيا » التى يتبع كبار مساهمها جنوب أفريقيا ، وألمانيا ، وانجلترا ، والبرتغال . وقد كانت موزمبيق العمود الفقرى لصناعة التعدين في جنوب افريقيا وروديسيا بما كانت تمددهما به من العمال المجندين طبقا لنظام السخرة .

وتتفق موزمبيق وأنجولا في سائر النظم الادارية والاجتماعية والتمييز  
العنصرى .

\* \* \*

ولو اننا عقدنا مقارنة بين وضع السود في المستعمرات البرتغالية  
«ووضعهم في الولايات المتحدة مثلا لوجدنا أن الطائفة الأولى أسوأ حالا  
بكثير من الطائفة الثانية الذين ما يزال هناك بارقة أمل أمامهم حيث تعمل  
الحكومة ، والمحكمة العليا لتخفيف حدة العنصرية ، وتدخل بالفصل  
وبالقوانين لهذا الغرض . كما يسمح في كثير من الأحيان لهم بالتعبير عن  
شعورهم فرادى وجماعات للمطالبة بحقوقهم في المساواة التامة بينهم  
وبين البيض . أما في المستعمرات البرتغالية فعلى العكس تماما حيث  
تتمنع الحكومة الاستبدادية في سياستها الفاشية ، وتضرب بيد من حديد  
كل من تسول له نفسه المقاومة ، او حتى مجرد الاحتجاج !

وهي تمارس هذا التمييز العنصرى المتزايد في مستعمراتها بقوة  
القانون ، وبقوة السلاح معا .

فالسود - فضلا عن عدم تمتعهم بالحقوق المدنية كما سلف -  
لا يستطيعون التنقل بحرية من مكان الى مكان حتى في داخل المناطق  
المخصصة لهم .. الا بتصاريحات خاصة للمرور ، قد تزيد بالنسبة  
للشخص الواحد في بعض الحالات الى ثمانية أو تسعة تصاريحات .. حتى  
النساء السوداوات بدات السلطات البرتغالية تجبرهن على حمل هذه  
التصاريحات .

وفي كل عام يلقي البوليس القبض على أكثر من نصف مليون افريقى  
لمخالفتهم « نظام تصاريحات المرور » .. وأكثر من ٥٠٪ من القضايا التى  
تنظرها المحاكم من هذه المخالفات .

وليس في الدنيا كلها دولة تطبق مثل هذه النظم البربرية ، او تعزل  
رعابها بسبب اللون هذا العزل الهمجى ، او تجعل المستوطنين الغريباء  
وهم أقلية ضئيلة ، يستأثرون بـ ٧٨٪ من مساحة الأرض الصالحة  
للزراعة بينما تترك للأغلبية الساحقة من أهل البلاد الاصليين ١٣٪  
من الباقي .

وليس في الدنيا كلها بلد يتساقط سكانه كالذباب من الجوع  
في الوقت الذى تفيض فيه ثروات البلد عن حاجة السكان كما هي الحال  
في المستعمرات البرتغالية .

ومن هنا نجد أن سياسة البرتغال في مستعمراتها الافريقية منافية لجميع المبادئ الانسانية والاتفاقات الدولية . وليس ادل على ذلك من عدم انضمامها بالأمس الى اتفاقية الغاء السخرة التي أعدها مكتب العمل الدولي التابع لعصبة الأمم ، وعدم سماحها اليوم بدخول لجان دولية من هيئة الأمم المتحدة للتحري والاستقصاء في مستعمراتها ، بل وغلق الباب في هذه المستعمرات أمام جميع الزائرين المعروفين بمشاعرهم الانسانية !

وقد وصف « ندابانينجي » هذه السياسة في كتابه « القومية الافريقية » بقوله :

« يظن البرتغاليون أن الله ارتكب خطأ بأن جعل الأفريقى افريقيا ، وأن سياستهم في الإدماج جهد يبذل لتصحيح هذا الخطأ !! » (١) .

## الفصل

### الثالث : المصرية فى جمهورية جنوب افريقية

#### تارىخ استعمار جنوب افريقية :

اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٧٨ . غير أن علاقة الأوروبيين بسكان هذه المنطقة لم تبدأ الا منذ سنة ١٦٠١ عندما بدأت سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية فى التوقف فى « الكاب » . وفى سنة ١٦٢٠ حاولت سفينتان بريطانيتان رفع العلم البريطانى عليها ، ولكنهما فشلتا . وفى سنة ١٦٥٢ تمكن « جان فان ريبيك » وأتباعه من احتلال هذه المنطقة لحساب شركة الهند الشرقية الهولندية ، وتمكنوا من بناء قلعة فيها ، ومزرعة صغيرة ، ومحطة تجارية حتى تستطيع سفنهم من التوقف ، والحصول على التموين فى رحلتها الطويلة من هولندا الى جزر الهند الشرقية الهولندية ( اندونيسيا الآن ) .

وفى هذه المرحلة لم يتوغل الهولنديون فى الداخل حتى لا يكونوا بعيدين عن البحر ، وخشية حدوث اضطرابات بينهم وبين السكان الأصليين . ولكن بالتدريج بدأ المزيد من المهاجرين الهولنديين يغدون الى المنطقة وإلى المناطق الأخرى المجاورة بقصد القيام بالرعى والزراعة مع خضوعهم لحكم شركة الهند الشرقية الهولندية التى لم يكن يهمها من تلك المناطق شيئاً سوى التجارة ، والحصول على المزيد من الربح . وقد أطلق على أخلاط الهولنديين المهاجرين اسم ( البور Baers ) . أى الزراع .

ولم يجد البور الأرض هناك خالية إذ كانت مسكونة بعناصر البوشمن ، والهننتوت السكان الأصليين ، الذين قاوموا الأغارة على أراضيهم مقاومة ضعيفة تناسب مع ضعفهم السياسى والحربى حتى انتهى الأمر بآبادة البوشمن ، وخضوع الهنتوت ، والتحول الى رقيق للهولنديين .

وكان لنقص النساء الهولنديات المهاجرات الى منطقة الكاب اثره فى اتخاذ المهاجرين نساء من الهنتوت ، مما أوجد سلالة مختلطة أطلق عليها اسم « الملونين Coloured » .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الهولنديون يحتلون منطقة الكاب في الجنوب كانت بعض قبائل البانتو تزحف من الشمال نحو الجنوب الشرقي لتستقر في المنطقة التي أطلق عليها « فاسكوداجا ما » اسم « ناتال » . فالمنطقة اذن كان يسكنها الأفريقيون من قديم ولم تكن خالية من السكان كما ادعى الأوروبيون .

ولما سيطرت الثورة الفرنسية على هولندا ، وطردت أسرة أورانج المالكة ، وكونت جمهورية بتافيا قام بعض الهولنديين باعلان الجمهورية في الكاب معا دفع انجلترا الى احتلال بعض المستعمرات الهولندية ، ومنها ( الكاب ) ذاتها ، ورفع العلم البريطاني عليها سنة ١٧٩٥ .

وبعد ثماني سنوات تنازلت بريطانيا بموجب معاهدة « أمين Amiens » عن معظم ما أخذته من هولندا ومنها الكاب . ولكنها عادت واحتلتها ثانية عام ١٨٠٦ بحجة حماية هذه المنطقة من حروب نابليون .

وفي مؤتمر فينا المنعقد سنة ١٨١٤ ، ضمت مستعمرة الكاب رسميا الى انجلترا بعد أن تنازلت عنها هولندا نهائيا لبريطانيا في مقابل ستة ملايين من الجنيهات .

وهكذا أصبح على البور ، الذين ولدوا وتربوا كطبقة حاكمة أرستقراطية - أن يخضعوا لحكم بريطانيا التي أرسلت المبشرين الى هناك ، ورقعت شعار .. حسن المعاملة للأفريقيين ، وخاصة بعد إلغاء الرقيق ، وألقت اللوم كله في ذلك على الهولنديين .

وقد بدأت هجرات البور نحو الشمال تاركين أراضيهم بمنطقة الكاب لأنواع جديدة من المهاجرين الأنجليز ، وضغطوا في الشمال على الأفريقيين ، وانشأوا ولاية أورانج الحرة ثم جمهورية الترنسفال .

ولكن انجلترا بعد أن رأت الذهب والماس يتدفق في هاتين الجمهوريتين اشتبكت مع البور في حروب عنيفة انتصر فيها البوير أولا ( ١٨٨٠ - ١٨٨١ ) ثم انتصرت انجلترا بعد ذلك ( ١٨٩٩ - ١٩٠٢ ) . ثم انضمت الولايات الأربعة : الكاب ، وناتال ، والترنسفال ، والأورانج .

وفي سنة ١٩١٠ قام اتحاد جنوب أفريقيا من هذه الولايات الأربع ، ودخلت ضمن الدومينيون البريطاني ، ثم ضمن مجموعة الكومنولث الذي طردت منه سنة ١٩٦١ على اثر تجمع الرأي العام ضدها لممارستها التمييز العنصري .

## اقتصاديات الاقليم :

جمهورية جنوب أفريقية تتكون من هضبة مرتفعة تتخللها أودية أنهار ، وسهولها الساحلية ضيقة . وتكاد تكون الهضبة مستوية في كثير من أجزائها .

وتبلغ مساحة الاقليم ١٢٥٠.٠٠٠ كيلو متر ، ٦٥٪ منها تصلح للمراعى أكثر مما تصلح للزراعة . وتقدر مساحة الأرض الزراعية ١٦ مليون فدان يزرع منها ٩ مليون فدان أذره ، و ٤ مليون فدان قمحا وشوفان ، ونصف مليون فدان قصب سكر . كما يزرع الطبايق والقطن . وتغطي الغابات ٤ مليون فدان أخرى . وقد ترتب على وفرة المراعى أن أصبحت المنطقة تصدر أصوافا بما قيمته ٢٥ مليون جنيه .

ويبلغ عدد الماشية ١٢ مليون رأس منها ٧ مليون يمتلكها البيض وحدهم الذين لا يزيد عددهم عن ٣٪ مليون شخص بينما يمتلك ٥ مليون رأس باقى السكان ومجموع السكان حوالى ١٥ مليون شخص منهم ٤٧٥.٠٠٠ من الملونين و ٣٢٨.٠٠٠ من الآسيويين ( الهند ) .

وتعد الثروة المعدنية أكبر اقتصاديات اتحاد جنوب أفريقية . فالذهب أكثر من نصف الانتاج العالمى ، وتتركز مناجمه في ترنسفال وتنتج ما قيمته حوالى ٣٥٠ مليون جنيه . كما يوجد البلاتين في نفس المنطقة ويبلغ ٤١٪ من مجموع الانتاج العالمى ، وهو أكبر انتاج في أى دولة في العالم . ويبلغ الماس أيضا ١٦٪ والحديد ١٧٪ من الانتاج العالمى . ويوجد بها أيضا النحاس ، والأنتيمون ، والفحم ، والفضة ، والمنجنيز بكميات وفيرة . وقد بلغ انتاجها من الفحم وحده ما قيمته ٢٥ مليون جنيه . كما باعت من اليورانيوم للولايات المتحدة عام ١٩٦٢ ما قيمته ٥٠ مليون جنيه .

ويرى الجيولوجيون أن هذا المستوى الضخم من الانتاج سيظل ربيع قرن آخر .

وتزيد استثمارات بريطانيا هناك من ١٠٠ مليون جنيه ، ويصل حجم التجارة بينهما حوالى ٣٠٠ مليون جنيه .

وتبلغ استثمارات الولايات المتحدة حتى نهاية عام ١٩٦٢ حوالى ٥٣٠ مليون دولار ، ويبلغ حجم التجارة بينهما ٥٠٠ مليون دولار .



## التفرقة العنصرية :

تمارس في اتحاد جنوب أفريقية جميع صور التمييز العنصرى الذى تزداد حدته يوماً بعد يوم لاصرار الحكومة على اقرار هذه الجريمة مهما كان الثمن الذى تدفعه لها ، الى حد أن صرح وزير العدل فيها - عقب قرارات مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة بطردها من جميع المنظمات الدولية - بأن « حكومة جنوب أفريقية مصرة على موقفها من سياسة التمييز العنصرى ، وأن حالة الطوارئ التى أعلنتها الحكومة ستستمر على العناصر المعارضة لهذه السياسة ، وحتى لا يستطيع أفريقى أن يرفع رأسه في وجه أسياذه البيض » !!

وقد قاسى « غاندى » من التمييز العنصرى عندما سافر الى جنوب أفريقية لمحاولة إيجاد تسوية لمشاكل الهنود فى الاقليم ، اذ منع من الركوب فى عربات الدرجة الأولى ، كما لم تسمح له فنادق الدرجة الأولى بالمبيت فيها . وكذلك طرد من المحكمة ، وقبض عليه لتواجده خارج مسكنه بعد التاسعة بدون تصريح (١) !!

والأفكار الرئيسية التى بنى عليها مجتمع جنوب أفريقية هي أفكار البور مع بعض الاختلاط بالمهجنوت Huguenots ، وقليل من الألمان وكل هؤلاء المستوطنين قد أتوا من المجتمعات البروتستنتية الأوروبية فى القرن السابع عشر . ولذلك فافكارهم الاجتماعية والسياسية والدينية هي من نتاج حركة الإصلاح الدينى ، والمعارضة الشديدة للمذهب الكاثولىكى . وقد بنيت آراؤهم الدينية - التى أثرت فى نظرتهم الاجتماعية - على قصص العهد القديم ( التوراه ) أكثر من العهد الجديد ( الانجيل ) (٢) .

ولذلك كان يرى البيض فى جنوب أفريقية أنه « مادام الله قد أوجد خلافاً فى الشكل بين البيض والسود فانكار هذا الاختلاف من الأمور الشاذة . وقد حاولوا تأييد ذلك من قصص العهد القديم ، وهم يعتقدون من واجهم حيال الإنسانية والحضارة الاجتماعية أن يحتفظوا بالاختلاف بين ذرية حام وسام وياقت ( أبناء نوح ، عليه السلام ) ..

(١) دفاع من الزوج بقلم أحمد محمد عطية . ص ٧٩ .

(٢) التفرقة العنصرية فى أفريقية - د . فؤاد الصقار . ١٠٧ .

والواقع أن البور في الوقت الحاضر لم تتغير نظرتهم عما كان عليه آباؤهم وأجدادهم منذ ثلاثة قرون . فهم مقتنعون تمام الاقتناع ، عن ثقة وإيمان ، بأنهم شعب مختار ، يحمل رسالة ، ويعمل على نشرها في هذه المناطق المتأخرة .

وساعدت الكنائس بطريق مباشر أحيانا - وبطريق غير مباشر في كثير من الأحيان على تقوية هذا الاعتقاد لدى البيض بتقسيم السكان الى بيض مسيحيين وسود غير مسيحيين . وقد زاد التعاون بين الكنيسة والبيض في الحروب ضد القبائل الأفريقية عندما أعطت الكنيسة للبيض تأييدا صليبيًا لتبرير جميع الجرائم التي يرتكبوها في حق السود ، لأنهم - في نظرها - كانوا «أداة الله ويده لتدمير النظم الأفريقية الوثنية» !

وكان للرقائق أيضا أثره في نشوء فكرة التمييز العنصري . فقد استرق هؤلاء المهاجرون الأوائل سكان المنطقة ، كما جلبوا الكثير من الرقيق من غرب أفريقية ومن جزر آسيا للقيام بجميع الأعمال الشاقة ، والخدمات المنزلية للمستوطنين . وبالرغم من إلغاء الرق فإنه قد ترك أثرا اجتماعيا عميقا في مجتمع جنوب أفريقية .

وتطورت هكذا أرتبطت السيادة باللون الأبيض ، والعبودية باللون الأسود . ويدل تاريخ القرون الثلاثة الماضية على قوة سياسة التمييز العنصري في مجتمع جنوب أفريقية . ذلك التاريخ المملوء بالحروب العنيفة المستمرة . حروب بين القبائل ، بعضها البعض . وحروب بين الأوروبيين والأفريقيين . وحروب بين المستعمرين . وحروب بين الإنجليز والبور . الأمر الذي روى أرض جنوب أفريقيا بالدماء وأثبت فيها الحق - والكراهية ، والشر .

إن سياسة التمييز العنصري في مجتمع جنوب أفريقيا من وضع البريطانيين الذين كانوا يتظاهرون بمعارضتهم لها . فقد كان اللورد ملتر - الذي عرفناه في مصر - مندوبا ساميا في جنوب أفريقية بين سنتي ١٨٩٧ ، ١٩٠٥ . وكانت سياسته الخاصة بالأجناس سياسة استعمارية بحتة ، إذ قال صراحة « أن على الجنس البريطاني . رسالة خاصة في العالم » . وكان ضد اختلاط الجنس ، زاعما أن المساواة السياسية غير ممكنة ، وأن على البيض أن يسودوا لارتفاع مستواهم

فوق السود بدرجات عديدة ، لا يتجاوزها السود إلا بعد عدة قرون ..  
وقد لا يتجاوزونها على الإطلاق (١) !

وفي سنة ١٩٤٨ انتخب الدكتور مالان رئيسا للوزارة فعُيِّن من  
التفرقة العنصرية كسياسة وطنية في كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة  
في مجتمع جنوب أفريقية .

وفي سنة ١٩٥٤ ، جاءت المرحلة الثالثة لسياسة التمييز العنصري  
حين استقال الدكتور مالان وخلفه المستر ستريدوم الذي ضاعف من  
شدة هذه السياسة ، وقسوتها وأعقبه بعد قليل الدكتور قرفورد الأكثر  
تعصبا من سابقه ، والذي أعلن بعد تعيينه بمدة قصيرة طرده لمثلي  
السود من المجلسين . وهم ثلاثة من البيض في مجلس العموم ، وثلاثة  
آخرون من البيض أيضا في مجلس الشيوخ . وقد عزا ذلك إلى أن  
وضعهم يدعوهم إلى التمييز عن آراء الأفريقيين ، رغم أنهم من البيض ،  
ولم يكن الدكتور قرفورد يطبق جثي ذلك !! ...

### مظاهر التمييز العنصري :

إن البناء السياسي لجمهورية جنوب أفريقيا ، وهو البزلان ، يطوى  
في أعماقه هذا الحاجز اللوني ، إذ أن قانون جنوب أفريقية الذي صدر  
سنة ١٩٠٩ ينص في المادتين ٢٦ ، ٤٤ منه على أن عضو البرلمان بمجلسيه  
يجب أن يكون رعية بريطانية ، وينحدر من سلالة أوروبية . وقد تناول  
تشرع لاحق العدد الصغير من الناكبين غير الأوروبيين الذين يقيدون  
في الجدول العام للانتخاب . ويقتصر تمثيل هؤلاء الناكبين في المجلسين  
النيابيين على عدد صغير محدد من الأوروبيين .

كما أن غير الأوروبيين محرومون بحكم القانون والعرف من تولي  
منصب الحاكم العام ، ومن عضوية مجلس الوزراء ، ومن كافة المراكز  
المرموقة في الخدمة العامة .

ويذهب الحرمان إلى أبعد من هذا . فلم يحدث أن عين أفريقي في  
منصب قاضي المقاطعة أو حاكمها الإداري ، أو في أي منصب مساعد حتى  
في المناطق الأفريقية الخالصة (٢) .

L. M. Thompson, The Unification of South Africa (١)

(٢) الحرية المدنية في جنوب أفريقية ، تأليف : ادجار ه . بروكس و ج . ب

ماكولي ، ترجمة محمود أحمد حسين . ص ٨١ .

وقد أصدر الجنرال سمسطس - باعتباره وزير الدفاع - أثناء الحرب العالمية الثانية أمرا ينص على أنه « حيث يوجد فرقة عسكرية مختلطة من الأوروبيين فلحامل أكبر رتبة من الأوروبيين أن يتولى القيادة حتى ولو وجد من غير الأوروبيين من هو أعلى رتبة منه . فمثلا يتقدم الجندي الأوروبي على الجاويش غير الأوروبي . وبقدر المستطاع لا تضع الدولة غير الأوروبي في منصب له نفوذ على أي أوروبي . وإذا نشأ مثل هذا الوضع فإنه يعتبر وضعاً شاذاً يتمين تصنيفته بأقصى سرعة » !

وان سيلا من التشريعات العنصرية يتدفق من برلمان جنوب أفريقيا مكتسحا كرامة الأفريقيين من السود والمولدين على السواء .

من هذه التشريعات « قانون قيد السكان » الذي ينص على أن كل شخص في جنوب أفريقية يجب أن يقيّد اما كإبيض واما كملون واما كوطني .

كما أن كل ملون يرتب حسب السلالة أو القبيلة التي ينتمى إليها ( قانون رقم ٣٠ لعام ١٩٥٠ مادة خامسة ) .

ويستحيل أن يتخلص شخص ما أو أحد أبنائه من التصنيف الذي وضع فيه .

وبقرار تحريم الزواج المختلط منع الزواج بين الأوروبيين وغير الأوروبيين . وكل زواج من هذا القبيل باطل ، والموتق الذي يعقده عرضة لتوقيع الغرامة ( المادتان ١ ، ٢ من القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٩ ) .

ويحرم قانون البغاء المعدل الإختلاط الجنسي غير المشروع - حتى لو كان عن تراض - بين الأوروبيين وغير الأوروبيين . وإذا حدث هذا الإختلاط المحرم ونج عنه موالود فإنه يعتبر مولونا ( القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٠ ) . أما الاحتمال الوحيد في أن بدون المولود غير الشرعى لامرأة بيضاء من رجل غير أوروبي في سجل البيض فهو عندما :

١ - تكون السلطات غير متيقنة من أن الأب غير أوروبي .

٢ - ويكون الطفل أوروبيا في طلعته !

وعلى أساس هذا التمييز العنصرى حددت حقوق وواجبات كل مواطن أوروبي أو غير أوروبي .

فقد خصصت في المحكمة العليا غرفة لحام هندي ليلبس فيها الروب . ومن العجيب أن هذا المحامى يدخل من نفس الباب مع زملائه البيض ،

وبجلس معهم في قاعة الجلسة . وللأبيض مكان يدلى منه بشهادته في المحكمة غير المكان المخصص للأسود .

وتقضى قوانين المصانع بأعداد غرف استراحة ، ودورات مياه للأوروبيين منفصلة عما يعد منها لغير الأوروبيين . وهذا ما يطبق على مكاتب العمل ، والمساكن .

وقد خصصت سكة الحديد عربات من الدرجة الأولى والثانية لغير الأوروبيين كما خصصت لهم غرف انتظار منفصلة أيضا .

وسرى هذا التمييز العنصرى نفسه في سيارات الركوب العامة ، وفي الترام وكافة وسائل النقل .

وتبدو سياسة التمييز العنصرى كذلك في الخدمات الاجتماعية ، وخاصة المعاشات والمنح . فالحد الأعلى لمعاش التقاعد ١١٤ جنيه سنويا للأوروبيين و ٤٩ جنيه للملون و ٤٣ جنيه للهندي و ١٢ جنيه للأفريقي الذى يعيش في مدينة كبيرة و ٩ جنيهات لمن يعيش في مدينة صغيرة و ٦ جنيهات لمن يعيش في الريف . أما المنح فلا تعطى إلا للأوروبيين كمنح البطالة ، أو المساعدات الاجتماعية للأسر الفقيرة ، بحجة أن الميزانية لا تسمح بذلك .

وهناك قانون « مناطق الغثات » الذى يحدد مناطق التملك للأفراد على أساس من الجنس وحده ، ويحرم عليهم التملك في بقية أجزاء المدينة . كما يجيز أرغامهم على أن يعيشوا في مناطق معينة لا يتجاوزونها إلى غيرها ، أو أرغامهم على التخلي عن مهن مارسوها قانونيا في هذه المناطق بما يتبعها من شهرة ليزأولوها من جديد في مناطق أخرى . وقد يحرم المرء من أن يعيش في منزل بناه بنفسه قبل صدور هذا القانون . وقد يصبح الابن محروما من أن يرث متاعا اقتناه أبوه بطريقة شرعية . وإن السلطة التى خولت للحاكم العام أو للوزير بناء على هذا القانون تمارس على أساس تقارير يرفعها مجلس إدارة مناطق الغثات الذى يعتبر بمثابة محكمة إدارية لا يمكن استئناف أحكامها أمام أية جهة قضائية أخرى .

ويهدف قانون (١) مقاومة الشيوعية في الظاهر إلى الحد من نشر المذاهب الخطرة . غير أن الوسائل التى اتخذها تناقض ذلك تماما .

---

(١) القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٥٠ المعدل في عام ١٩٥١ .

فقد أعطى للحاكم العام أمر تحديد ما اذا كان الفرد شيوعيا ام غير شيوعى . كما أن العقوبات التى توقع عليه هى أيضا مسألة ادارية خالصة . وقد عرف هذا القانون الشيوعى بأنه « الشخص الذى يعلن أنه شيوعى » أو من يعتبره الحاكم العام كذلك » . وإذا جردنا هذه العبارة من زخرفها اللفظى ، ونقلنا الى معناها الصحيح فانها تصبح : « ان الشخص هو الشخص الذى يعتبره الحاكم العام شيوعيا » . أو هو بصريح العبارة « الشخص الذى يريد الحاكم أن ينكل به » . . . . . ولتوضيح ذلك نقول أنه من الجائز أن يعتبر الحاكم الشخص الذى يهاجم التمييز العنصرى ، أو ذلك الذى يطالب بالمساواة العنصرية أو ما شابه ذلك . . شيوعيا !

والقانون رقم ٦٤ لسنة ١٩٥٦ يحظر إيقاف تنفيذ أى أمر ادارى ولو بحكم من المحاكم ، وخاصة اذا كان الاجراء متعلقا بالأفريقيين . كما صدر القانونان ٧٩ و ٢٨٣ لسنة ١٩٥٧ بعدم جواز الغاء أى اجراء قانونى من شأنه أن يوقف أو يرجىء تنفيذ بعض الأوامر الادارية كالأوامر الصادرة بجلاء أو رحيل أو طرد أو عزل أو منيع الوطنيين من احياء أو أماكن معينة ولو رفع عنها استئناف أو التماس إعادة نظر . بل ان القانون يشترط لدرجة الغاء إيقاف التنفيذ الذى صدر بالفعل . صحيح أن للمحاكم فى النهاية أن تقرر بطلان الأمر ، أو تحكم بالتعويض عنه ، ولكن بعد أن يكون الأفريقى قد أجبر على الرحيل من المنطقة !

وان قانون الأمن العام (١) ليشل البرلمان والمحاكم ، ويوقف سلطاتها فى ظروف خاصة ، ويضعها فى يد الحاكم العام لمدة غير محدودة .

\* \* \*

ان حق الفرد فى حرية التنقل داخل بلاده هو من الحقوق المدنية الطبيعية فى أى بلد من بلاد العالم الا فى جمهورية جنوب أفريقيا التى تتسم بالشذوذ فى كل شيء !

فالقوانين التى تقيد من حرية انتقال الهنود داخل أقاليم جنوب افريقية أساسها قوانين الهجرة الى الولايات قبل تكوين الاتحاد . فقد كانت هذه الولايات دولا لكل منها كيائها المستقل ، وصاحبة الحق فى تنظيم وتحريم الدخول فى أراضيها . ولكن الاحتفاظ بهذه القيود حتى الآن بنى على أساس التفوق العنصرية لا القوانين السابقة . . بعد مضى

(١) القانون رقم ٣ لسنة ١٩٥٣ .

أكثر من نصف قرن على تكوين الاتحاد ، لا زلت ترى أفرادا ولدوا ونشأوا في البلاد لعدة أجيال يعملون وكأنهم مهاجرون تخضع انتقالاتهم - بعيدا عن منطقة سكنهم - للرقابة الحكومية (١) .

وان القيود المفروضة على حرية انتقال الأفريقيين في جنوب أفريقية لها جذورها أيضا في التدابير التي اتخذها المستعمون الأوائل لتوطيد سلطانهم ، ولتأمين بقاء شعوب هذه المنطقة من العالم متخلفة فقد فرضت التدابير لابقاء الأفريقيين في المساكن الوطنية والمزارع بعيدا عن المناطق الحضرية التي يسكنها الأوروبيون إلا أولئك الذين يعملون كخادم أو مستخدمين في تلك المناطق . وان هذه الصورة البشعة من الاستعباد راسخة بقوة التشريع لقانون « المناطق الحضرية » الموحد الصادر عام ١٩٤٥ ، وقانون مناطق الفئات سالف الذكر . وبمقتضى القانون الأخير عندما يسمح للأفريقي باختراق المناطق الحضرية ، المحرمة عليه ، للعمل اليدوي الذي يسخر فيه كخادم أو مزارع أو مستخدم ، لا يكتسب حق الإقامة الدائمة في مكان العمل ، بل يبقى فيه على أساس أنه منح حق إقامة موقتة يعود بعدها إلى المعزل الوطني . بل أن تغيير الأفريقي لمسكنه في داخل منطقته - أو معزله - ليس عملية سهلة ، إذ لابد من موافقة رسمية للانتقال إلى الموطن الجديد . أما الرحيل إلى منطقة أخرى فهو أمر مستحيل .. وبعبارة فإن انتقال الأفريقي داخل الاتحاد - مهما كانت أسبابه - يحتاج إلى إجراءات معقدة وتأثيرات رسمية عسيرة المنال . والمجال الوحيد الباقي له هو إمكانية التنقل في داخل الحدود المحيطة بمحل إقامته الحالي .. وبتمبير أدق داخل جدران مسكنه !

أما الرعايا الأوروبيون فلمهم أن يتنقلوا بدون قيد أو شرط ، وإلى أي مكان ما عدا المساكن الوطنية ، فإن ذلك يتطلب تصريحاً من السلطات .

هذا فضلا عن أن الحرية الشخصية - حتى في داخل الحدود المسموح بها - تخضع لسلطات مطلقة تصدر من الوزير أو من يندبه الوزير لهذا الغرض حيث يستطيع الوزير ، أو هذا المندوب ، وبلا محاكمة من أي نوع .. أن يقيد حرية أي شخص في الانتقال من مكان إلى آخر ، أو أن يمنعه من حضور اجتماعات ، أن يقصيه من منطقة إلى منطقة ،

---

(١) الحرية المدنية في جنوب أفريقية - المصدر السابق . ص ٩٦ .

أو يجرمه من مغادرة الاتحاد وكل هذه العقوبات المؤلمة لا تستند غالبا الى أى سبب ، أو جريمة .. بل ولا تستند الى أى قانون . وهى حينئذ تطبق عليها عقوبات الجرائم السياسية .

وطبقا للقانون رقم ٦٧ لسنة ١٩٥١ ، المعدل بالقانون رقم ٧٩ لسنة ١٩٥٧ ، يتحتم على كل أفريقى جاوز الستة عشر عاما أن يحمل بطاقة شخصية - بعد إلغاء جوازات المرور - يبين فيها اسم الأفريقى ، ومحل اقامته ، ومكان عمله .. الخ . وقد كان القانون يستعمل كلمة « الرجل الوطنى » ثم عدل لاستعمال كلمة « وطنى » فقط حتى تشمل النساء أيضا رغم احتجاجهن ، وخاصة في المدن الصغرى . وتمثل مخالفات المرور ، بتطبيق هذا القانون ، نسبة كبيرة من القضايا في المحاكم .

وهناك مشروع يرسل بمقتضاه الأفريقيون المحبسون لمدد قصيرة الى العمل بالزرايع .

ولقد اتسع نطاق القوانين التى تجيز فرض قيود ادارية على الحريات الشخصية :

١ - ففى سنة ١٩٥٠ صدر قانون مقاومة الشيوعية الذى منح وزير العدل سلطة اقضاء أى شخص عن منطقتة اذا اقتنع ، أو قرر أن هذا الشخص يدافع عن .. أو يدمو .. أو يشجع على تحقيق أى غرض من افراض الشيوعية ، أو يقوم بعمل .. أو يمتنع عن عمل يساعد على تحقيق هذا الغرض ، أو أن ذلك الشخص من منطقة يظن أن فيها من يفعل ذلك . وإذا وضعنا في اعتبارنا أن مدلول كلمة « شيوعية » واسع المدى ، وأن أى فعل أو الامتناع يمكن أن يؤخذ أو يفسر حسب الاهواء والافراض الذاتية .. اذا وضعنا في اعتبارنا كل ذلك لأدركنا مدى التهديد الخطير للحرية الشخصية الذى يتمثل في هذا القانون .

٢ - وفى عام ١٩٥٢ صدر قانون الشرائع الوطنية الذى يبيع للحاكم العام أن يأمر باقصاء فرد أو قبيلة بأسرها من محل الإقامة الدائم الى أى مكان آخر أو منطقة أخرى وعدم العودة بعد فترة محدودة ، أو لفترة غير محدودة على الإطلاق . وعصيان الشخص المطلوب اقضاؤه يترتب عليه القبض عليه ، وترحيله



بدون محاكمة باعتبار أن أمر الحاكم العام واجب النفاذ ،  
ولا يجوز وقف تنفيذه من أية سلطة أخرى ، على أساس أن  
هذا « النفي الإداري » يقتضيه الصالح العام .

٣ - وفي سنة ١٩٥٥ صدر قانون يحرم على أى فرد مفادرة الاتحاد  
الإبموجب تصريح أو جواز سفر باسم الاتحاد ، وهو عسير  
النال ، مع أن هذا التصريح أو الجواز يسبب لإحاملته متاعب  
لا حد لها فى كل البلاد التى تنفر من اسم الاتحاد ، والصورة  
الكريمة التى يدل عليها فى ذهن كل من يسمع هذا الاسم فى كل  
أرجاء العالم .

٤ - كما صدر قانون آخر سنة ١٩٥٥ يحرم الاجتماعات ، ويعطى  
للوزير سلطة النفي الإدارى لكل شخص يرى أنه يروج لمشاعر  
العداية ضد الأوروبيين فى الاتحاد .

ويمكننا أن نتصور بسهولة أن أى مطالبة عادية للإصلاح  
أو لتحسين الأحوال يمكن أن تفسر على أنها أعمال عداوية ضد  
الأوروبيين لأن الآخرين هم المكلفون بهذا الإصلاح ، والأوصياء  
عليه فى نظر الاتحاد .

٥ - وفى سنة ١٩٥٦ صدر قانون المناطق الحضرية الذى يعطى  
لأمور المنطقة ، أو مفوض الشؤون الوطنية ، أن يقضى أى أفرقيى  
عن المناطق الحضرية أو إرساله الى المزارع بحجة أنه مشاغب،  
أو عاطل ، .. والنفي إما دائم أو مؤقت . وقد استغل هذا  
القانون باستمرار ضد الأفريقيين الذين يزعمون السلطات  
لتحسين وسائل النقل ، أو الذين يعارضون فى حمل نسايتهم  
البطاقات الشخصية .. الخ .

هذا فضلا أن القانون يعطى مجالس المدن سلطة هدم  
المسكن الذى يقيم فيه ذلك الشخص وأسرته حتى لا يبقى له  
من أثر فى المنطقة ، وكأنه وباء .

٦ - وفى سنة ١٩٥٦ صدر قانون آخر يسمح للحاكم العام - بدون  
محاكمة أو تحقيق - بالقبض على الأفريقيين ، واعتقالهم فى أى  
وقت متى اقتضى الصالح العام ذلك .

وليس حظ الفرد بأحسن من حظ الصحافة . فإذا ذهب أحد الصحفيين في التعبير عن رأيه مذهبا لا تتراح له الحكومة فمأواه السجون بتهمة الترويح للشيوعية . .

نعم ان عددا من المصلحين الأحرار ، ذوى المراكز الكبيرة ، يجاهرون بأرائهم ، ويستطيعون أن يقفوا على أقدامهم الى خد ما . . ولكن هل تستطيع الشخصيات الأقل مكانة أن تفعل هذا ؟ . . مستحيل . . فالتعليق السياسي ممنوع علنا . . اذ أن كل تعليق يمكن أن تعتبره الحكومة ترويجا للشيوعية .

وفي عام ١٩٥٢ قامت في الاتحاد حركة مقاومة سلبية ضد التمييز العنصرى بقيادة الأفريقيين والهنود ، واشترك فيها قليل من الأوروبيين، وقد واجهت الحكومة هذه المعارضة بتعديل القانون الجنائى سنة ١٩٥٣ ، وفرض عقوبات أكبر على الاحتجاج ضد قوانين البلاد .

ويجوز فرض العقوبات القاسية - كالجلد بالسياط - حتى للمخالفة الأولى . . بل حتى للمخالفات البسيطة . . بصرف النظر عن نوايا الكاتب، واتجاهاته .

ولا عجب اذا تسبب هذا القانون في تكميم الصحافة ، والغاء رسالتها الحقيقية .

\* \* \*

وبالنسبة الى العمالة بصفة عامة ، فقد فرضت القيود الآتية على غير الأوروبيين :

- ١ - قيود على التمرن والتلمذة الصناعية من شأنها جردان غير الأوروبيين ، وخاصة الأفريقيين .
- ٢ - حفظ المراكز العليا في صناعة المناجم للأوروبيين وحدهم حيث يتمتعون بأكبر الأجور .
- ٣ - التدخل في حرية الحركة النقابية للعمال بحيث يمنع تكوين النقابات المختلفة على غير الأوروبيين وخاصة الأفريقيين .
- ٤ - منع الأفريقيين من ممارسة الوسائل القانونية للصلح والتحكيم والتوفيق (١) .

---

(١) قانون التوفيق الصناعى لعام ١٩٥٦ . قسم ٤٥ و ٤٨ و ٥١ .

٥ - ان الاضراب - كوسيلة للاحتجاج او للمطالبة بتحسين الأجور وأحوال العمل مسموح به للأوروبيين فقط . أما بالنسبة لغيرهم فيعتبر جريمة عقوبتها الغرامة التي لا تزيد على ٥٠٠ جنيه والسجن لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات ، أو بالعقوبتين معا . وتطبق نفس العقوبة على كل من يعرض أو يعطف على حركة الاضراب (١) .

٦ - لا يسمح في مناطق العمل لغير الأوروبيين باقامة مساكن للعاملين المشتغلين في الصناعة . ولذلك يأوى العمال غير الأوروبيين - الذين يسخرون في تلك الأعمال - الى حظائر قذرة ، في أماكن بعيدة عن مناطق العمل ، ولا يتمتعون بأية رعاية صحية ، او خدمة اجتماعية .

٧ - حرمان العمال الملونين والافريقيين من الانتفاع بنظام التأمينات الاجتماعية .

٨ - لا يرقى أى افريقى أو ملون الى أى منصب رئيسى في أعمال الخدمة المدنية ، على أن معظمهم - اذا استخدموا - يقومون بالخدمات الأقل أجرا ، والأكثر مشقة وجهدا كخدم أو سعاة (٢) .

وقد أشار الى كل هذه المظاهر الصارخة من التمييز العنصرى وغيرها تقرير مكتب العمل الدولى بجنيف الصادر في عام ١٩٦٤ .

وللحد من تعليم الوطنيين وضعت عراقيل في طريق فتح مدارس خاصة بهم ، كما منعوا من الالتحاق بمعظم المدارس الحكومية العمالية وخاصة الجامعات . وحتى في هذه المدارس والجامعات لا يعيشون في نفس الأماكن التي يعيش فيها البيض . كما أنهم محرومون من النشاط الاجتماعى والرياضى . وخطة التعليم العادى المسموح به لهم تركز على حماية النظام القبلى ، والابقاء على الفروق القبلية واللغوية . أى على اساس التفرقة العنصرية البحتة . فالتعليم في المدارس الابتدائية للأفريقيين مختلف عن المدارس الأخرى التي يتعلم فيها أبناء البيض . وبالتالي يكون التعليم بمعناه الحقيقى لا وجود له .

(١) قانون التوفيق الصناعى لعام ١٩٥٦ قسم ٧٩ .

(٢) قانون التوفيق الصناعى لعام ١٩٥٦ قسم ٧٧ ( مثل هذا القانون في عام ١٩٥٩ ) .

ان القانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٥٣ أوجب على كل المدارس الوطنية أن تسجل ولو كانت قائمة قبل صدوره ، وأن يكون تسجيلها حقا مطلقا لوزير الشؤون الوطنية الذي يرفض التسجيل في معظم الحالات . وقد جعل القانون عقوبة الإبقاء على مدرسة غير مسجلة السجن أو الغرامة .

وبناء على هذا القانون رفض تسجيل عدد من المدارس الكبرى ، العظيمة الشهرة ، والتي سجلت نجاحا رائعا . . وكان من بينها مدرسة عريقة ، يزيد عمرها على مائة سنة .

ان فلسفة التعليم الجديدة في جنوب أفريقيا لا تشعر الأفريقي أنه يتعلم ليكون حرا في دولة حرة ، وانما يتعلم ليكون صالحا لاي وضع تريده له الدولة . فهي فلسفة عنصرية خالصة .

\* \* \*

وحكومة جنوب أفريقيا تحبط دائما الاختلاط الاجتماعي الحسب المنتظم بين البيض وغير البيض . بل وقد يعتبر المسؤولون مثل هذا الاختلاط كاتجاهات شيوعية أو غير مرغوب فيها بحجة خطرها على الأمن العام . فمثلا تعود شرطة الأمن والمباحث أن يدونوا أسماء وأرقام سيارات أولئك الذين يعقدون أو يحضرون تلك الاجتماعات العادية ، حتى رجال الدين منهم .

\* \* \*

وصفة القول أن الأفريقيين في جنوب أفريقيا لا يتمتعون بحكم القانون ، ولا بأية حماية مدنية أو اجتماعية أو إنسانية . . بل ليس لهم أى حق قبل الدولة ، وليس لهم أقل حرية مدنية . وان إدارة شؤون الوطنيين التي تمارس هذه السياسة العنصرية هي - الى حد كبير - استبداد منظم بقوة القانون والعرف أيضا ، وليس هناك أى سلطان ، أو رقابة على نشاطها ، وقراراتها . وان الاستبداد الرسمي ، المنبعث من هذه الإدارة وغيرها ، يزداد باطراد ، ويحل محل الحقوق الشرعية ، والطبيعية للأفريقي ، صاحب البلاد الأصلي .

\* \* \*

حتى الحرية الدينية لم تسلم من هذا الاعتداء المنظم . فعلى أثر تطبيق قانون « المناطق الوطنية » أصبحت ممارسة الوطنيين للشعائر الدينية ، سواء في داخل مناطقهم أو خارجها ، خاضعة للسلطان المطلق

المنوح لوزير الشؤون الوطنية . وهو يستطيع بحكم هذه السلطة المطلقة - أن يمنح الافريقيين من اقامة الشعائر مع الأوروبيين ، جنبا الى جنب . . أو يسحب الترخيص باقامة كنيسة جديدة في الأحياء الوطنية . . أو يفرض على أبناء طائفة معينة ، أو جنس ما من الملونين أن يقيموا شعائرهم في كنيسة خاصة . . أو غير تلك القيود التي أصبحت طابع الحياة كلها في جنوب أفريقيا .

وقد وقع د . ج . هـ . كلايتون ، رئيس أساقفة الانجليكان السابق لمدينة الكاب ، خطابا في ٦ مارس ١٩٥٧ علق فيه على هذه السياسة الدينية : « نحن نعترف بخطورة عصيان قوانين البلاد ، وثؤمن بأن الله أمرنا بطاعة أولى الأمر منا . ولكننا أمرنا أيضا بأن نعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . واذن فهناك ما هو لله وليس لقيصر . ونحن نؤمن بأن ما ورد في الفقرة ( ٢٩ ج ) هو ضمن ما لله » ( ١ ) . ولكن هل كل ما جعله رئيس أساقفة الانجليكان لقيصر ، هو لقيصر فعلا ؟ . وابن ما للافريقيين ؟ ؟ .

كذلك فقد صدر بيان من رئيس الطائفة الميثودية ورؤساء الأقسام فيها ، وهم يمثلون ما يربو على مليون نفس جاء فيه :

« نحب أن نؤكد أن الميثوديين يحترمون القانون . ولكن اذا وضعنا هذا القانون في موضع نختار فيه بين طاعة الحكومة وطاعة الله فنحن نكرر أن اختيارنا واضح . وعلينا أن نطيع الله لا الانسان » .  
وكتب اتحاد العمدانيين يقول :

« نحن لا نوافق على أن أداء العبادة يحتاج لأذن من سلطات الدولة » .

وجاء في بيان لكبير أساقفة الطائفة الرومانية الكاثوليكية ما يلي :

« نرى أن القانون يتضمن زعما للحكومة بأن تحكم عبادة الفرد ، واقامته الشعائر الدينية . ونحن لا نقبل مثل هذا الزعم » .

وربما كان أقوى احتجاج على هذا القانون ذلك البيان الذي صدر

---

( ١ ) ان المادة ( ٢٩ ج ) لقانون الشرائع الوطنية المعدل عام ١٩٥٧ تنص على انه « لا يجوز لأي شخص أن يقوم بادارة كنيسة أو مستشفى أو ناد أو أية منشأة أو مكان للترفيه - لم يكن قائما قبل أول يناير ١٩٢٨ ويقبل الوطنيون أو يسمح لهم بحضوره - في مكان يقع داخل المنطقة الحضرية أو في القرية الوطنية ، كذلك لا يجوز لأي شخص أن يعقد أو يسمح بمقد اجتماع أو جلسة ويقبل فيها الوطنيون أو يسمح لهم بحضورها في الامكنة المذكورة الا بموافقة الوزير » .

من مجلس الطوائف الهولندية التى قبلت مقترحات الوزير الأساسية  
بالتحفظات الآتية : -

١ - أن تعاليم المسيح منبثقة من الله للبشرية جميعا ، ولا تقبل قيда  
على انسان ما .

٢ - أن تحديد كيف وأين ولمن تنشر هذه التعاليم هو من حق  
الكنيسة وحدها .

٣ - أن واجب الدولة كخادم للاله هو السماح للكنيسة بالقياس  
بالدعوة الالهية ، واحترام سيادة الكنيسة في مجالها الخاص .

\* \* \*

ونختتم هذا الفصل بفقرات من خطاب للجنرال سمطس ، الرئيس  
السابق لوزراء الاتحاد ، تفوح منها رائحة النازية ، فقد قال :

« ان اشتراك الفرد في المجهود الحكومى الشاق يبدو لى أساسيا في  
كل تقدم صحيح .. وهناك إنحلال في المبادئ القومية يأكل مقومات الحياة  
في الحكومات الحرة ... واليوم نرى انحطاطا في مسئولية الفرد ، وفي  
نصيبه في الحكم » .

## الفصل

### الرابع : المنصرية في جنوب غرب افريقية

#### الجغرافية الطبيعية للأقليم :

تقع جنوب غرب افريقية في شمال غرب اتحاد جنوب افريقية ، بين خطى عرض ١٧ الى ٢٩ جنوبا ، من نهر كوينى الى نهر الأورنج ، ويمر في منتصفها مدار السرطان . وتبلغ مساحتها ٨٢٤ كيلو تقريبا . وعاصمتها هى مدينة « وندهوك » . ومعظم أجزائها قليلة المطر . والمنطقة الشمالية غير ملائمة للرعى ، وتنتشر فيها الملاريا . وتتركز الحيوانات في الوسط .

وإذا استثنينا المنطقة الشمالية ، والجزء الشرقى ( صحراء كلها رى ) فاننا نجد اقليمين مهمين ، أولهما الهضبة الداخلية ، وهى أفضل مناطق الرعى ، وتتمتع بمناخ صحى ومياه باطنية وغسيرة ، ويعيش فيها الأوروبيون . وثانيهما منطقة ثامب على الساحل ، وفيه أحسن الموانئ الطبيعية حيث المياه الهادئة ، والرصيف القارى عميق .

وتوجد أغنى رواسب الماس في الجنوب قرب الساحل ، اذ كان المستخرج منه سنة ١٩٤٩ يبلغ ٢٨٠.٠٠٠ قيراط ، وفي سنة ١٩٥٥ يبلغ ٥٨٦.٠٠٠ قيراط ، وقدر مجموع إنتاج سنة ١٩٦٠ بحوالى ٤٠ مليون جنيه ، صدر منه ما قيمته ١٥ مليون جنيه .

ويوجد أيضا الحديد ، والمنجنيز ، والفحم والبتترول . وبلغت قيمة جميع المعادن المصدرة سنة ١٩٦٠ حوالى ٢٤ مليون جنيه .

كما يوجد من الماشية ٣ مليون رأس من الأغنام ، و ١٦٣ ألف من الماشية .

وهى تنتج من القمح ١٢ ألف طن . كما تنتج الذرة ، والبطاطس .

ويبلغ عدد سكان الاقليم حوالى ٤٥٨ ألفا من السكان منهم حوالى ٤٩ ألفا من الأوروبيين . أما الباقي فمن القبائل الأفريقية ومن الملونين .

## الاستعمار الألماني والبريطاني :

وقد كانت جنوب غرب أفريقيا مستعمرة ألمانية قبل الحرب العالمية الأولى حيث تمكنت ألمانيا من ضمها في سنة ١٨٩٠ ، سيطرت على اقتصادياتها ، من الاغنام والرعى فانحسدر السكان الأصليون الذين لم يهاجروا من البلاد الى حرفة الصيد ، نظرا للحكم الألماني القاسي .

وفي سنة ١٩١٤ ، حين نشبت الحرب العالمية الأولى ، قامت القوات البريطانية من جنوب أفريقيا باحتلال الأقليم وبسطت نفوذها عليه وطردت منه الألمان .

وبعد تكوين عصبة الأمم أعطيت جنوب أفريقية حق الانتداب على جنوب غرب أفريقية لتقوم بإدارتها بالنيابة عن الحكومة البريطانية مع مراعاة روح وميثاق عصبة الأمم .

وأصبح الانتداب وصاية وفي ظل الأمم المتحدة . وأخذت حكومة جنوب أفريقية في تشجيع الهجرة البيضاء لتكون منهم الطبقة الحاكمة ، التي منحها أجود الأراضي الصالحة للزراعة والرعى بعد أن طردت منها أصحابها الشرعيين من الأفريقيين والملونين .

## سيطرة اتحاد جنوب أفريقية :

لم تعترف حكومة جنوب أفريقية بسلطة الهيئة الدولية ، لرغبتها في ضم جنوب غرب أفريقية إليها . وقد حاول الجنرال سمطس ، حينما كان رئيسا لحكومة الاتحاد ، ضم جنوب أفريقية فعلا الى هذا الاتحاد ، ولكن هيئة الأمم المتحدة رفضت .

وجاء بعده الدكتور مالان الذي رفض ارسال تقارير الى الأمم المتحدة، وأعلن تمهيدا للضم تخصيص ستة مقاعد في الجمعية الوطنية ، وأربعة مقاعد في مجلس الشيوخ ، لجنوب غرب أفريقية ينتخبون من البيض ، اذ حرم الأفريقيون والملونون من حق التصويت ، طبقا للقانون الخاص بشئون جنوب غرب أفريقية الصادر سنة ١٩٤٩ . واقد تم أول انتخاب في سنة ١٩٥٠ الذي كسب فيه الحزب الوطني ، برئاسة الدكتور مالان ، جميع المقاعد ، وكذلك في انتخاب سنة ١٩٥٣ ، مما يدل على أن البيض هناك من غلاة المستعمرين ، ومن أشد سياسة التمييز العنصري .

وكانت الخطوة الثانية في سياسة الضم حين أعلن الدكتور مالان في سنة ١٩٥٣ أنه ليس على استعداد للاعتراف بسلطة مجلس الوصاية



على هذه المنطقة ، وإنما هو على استعداد فقط لعقد معاهدة مع بريطانيا وفرنسا والأمم المتحدة للاعتراف بالوضع الراهن .

أما الخطوة الأخيرة فقد كانت في إصدار قانون تنظيم شؤون الوطنيين هناك في أبريل ١٩٥٤ ، الذي نقلت بموجبه إدارة شؤون الوطنيين في جنوب غرب أفريقية إلى إدارة شؤون الوطنيين في الاتحاد ذاته . كما نقلت أيضا شؤون أراضي الوطنيين .

ولا تزال حكومة اتحاد جنوب أفريقية تسيطر على الأقليم سيطرة كاملة ، دون اعتراف منها بأي سلطة أو إشراف لهيئة الأمم المتحدة عليها ، ورغم عدم اعتراف هذه الهيئة بالوضع كله .

وقد سبق أن عرض الأمر في سنة ١٩٥٠ على محكمة العدل الدولية فأصدرت قرارها بأن جنوب غرب أفريقية ما يزال تحت الوصاية الدولية ، وأن اتحاد جنوب أفريقية ليس من سلطته أن يغير من هذا المركز الدولي . ولكن حكومة الاتحاد لم تعبأ بهذا القرار .

وفي سنة ١٩٥٧ شكلت الأمم المتحدة لجنة للمساعدة الحميدة للوصول إلى اتفاق دولي في هذا الشأن . وقد وضعت هذه اللجنة عدة حلول عملية تتسم بالمرونة ، والتساهل ، إلا أن حكومة الاتحاد لم تقبل أيًا منها. الأمر الذي جعل العلاقة بين حكومة الاتحاد والأمم المتحدة سيئة . ومما جعلها أكثر سوءا ازدياد معارضة جميع الدول ، والرأي العام العالمي ، لسياسة التفرقة العنصرية التي تنتهجها بدون حياء ، أو مداراه . وقد انتهى الأمر بطرد الاتحاد من المنظمة الدولية كما سبق .

### مظاهر التفرقة العنصرية :

يمكن أن نأخذ صورة عن التفرقة العنصرية في جنوب غرب أفريقية من تقرير مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة . فقد لاحظ المجلس ما يأتي : -

١ - ليس هناك أي تساوي في الحقوق والواجبات المدنية بين السكان الأصليين والأوروبيين .

٢ - ليس للسكان الأصليين أي تمثيل نيابي ، بل هم محرومون من الانتخابات .

٣ - قصر الوظائف على البيض

٤ - لا ينفق على الوطنيين سوى ١٠ ٪ من الميزانية بالرغم من أنهم يكونون ٩٠ ٪ من السكان .

٥ - زجت حكومة جنوب أفريقية الآلاف منهم في السجون والمعتقلات بدون محاكمة .

كما طردت آلافا أخرى من البلاد أو اضطرتهم اضطارا الى الهجرة بحجة أنهم مجرمون . وقد لاحظ مجلس الوصاية أن زيادة نسبة من ألصقت بهم تهمة الاجرام ظاهرة شاذة .

٦ - أن التعليم متأخر للغاية . وحجة حكومة الاتحاد في ذلك أنه لا يتوفر لديها الامكانيات الخاصة بالتعليم الثانوى والمهنى والعالى .

وتشبه مشكلة الأرض في جنوب غرب أفريقية مشكلتها في اتحاد جنوب أفريقية . فالأفريقيون وهم حوالى ٩٠ ٪ من السكان لا يمتلكون أكثر من ٢٢ ٪ من مساحة الأرض ، معظمها من المناطق غير الصالحة للانتاج . وقد بدأت مشكلة الأرض منذ الاستعمار الألمانى الذى بنى سياسته على أساس امتلاك الأراضى بعد أن عقد سلسلة من المعاهدات الصورية مع زعماء الأفريقيين يبيعون بمقتضاها بعض أراضيهم الى الحكومة الألمانية . وبناء على هذه المعاهدات امتلكت الحكومة الألمانية معظم المناطق الصالحة للزراعة لمنحها للمستوطنين الألمان .

وقد صدر أمر امبراطورى ألمانى فى سنة ١٨٩٨ ثم فى سنة ١٩٠٣ بتكوين معازل للأفريقيين ، واعطاء الدولة الحق فى انتزاع الأراضى التى يمتلكها الأفريقيون حتى يمكن ايجاد أرض لاستقرار المهاجرين الأوربيين .

وقد اتبعت حكومة جنوب أفريقيا نفس هذه السياسة ، وزادت عليها ما تتبعه فى بلادها من التفرقة العنصرية . فضلا عن منح أفراد القبيلة الواحدة عدة أراض متباعدة بقصد تشتيت القبائل ، والقضاء عليها جملة .

ويمكن القول أن التفرقة العنصرية التى تمارس فى جنوب أفريقية تطبق تطبيقا كاملا فى جنوب غرب أفريقية بكل ما فيها من ظلم .

في البلاد الا ان المساحة التي تركت للأفريقيين ينتشر فيها ذباب تسي تسي .

وقد أصبح في تنجانيقا شركات أجنبية تمتلك مساحات واسعة من الأرض تستغل بعضها لزراعة الفول السوداني ، أو المحاصيل الأخرى . كما أصبح فيها عدد كبير من الأوروبيين الذين اثروا على حساب الوطنيين مثل « الرويد هيتشكوك » ملك الكتان الذي يملك مزارع شاسعة ، « وجون وليامسون » ملك الماس الذي بلغ ربحه الصافي خلال عشرة الأعوام الأخيرة اثني عشر مليون جنيه استرليني !

### زنجبار :

تقع جزيرة زنجبار جنوب خط الاستواء ، وعلى بعد ٢٥ ميلا من الساحل الشرقي لأفريقيا ، ومساحتها ٦٤٠ ميل مربع . ويبلغ عدد سكانها ٣١٥ ألفا منهم ٢٤٠ ألفا من الأفريقيين ، و ٥٠ ألفا من العرب ، و ١٧ ألفا من الهنود .

والقرنفل أهم انتاج الجزيرة ، ويقدر بنحو ٥٧٪ من انتاج العالم وتقطر جذوره وتصدر على هيئة زيت . كما تصدر الأخشاب والكاكاو . كما أن بها نحو ٥٠ مليون شجرة جوز هند . ويزرع بها أيضا الأرز والبرتقال والليمون .

وقد حظيت زنجبار - كغيرها من الأقاليم الأفريقية - باهتمام العرب الذين نشروا فيها راية الاسلام ، ووجدوا قبائلها ، بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر وفي نهاية القرن الثامن عشر طرد سكان زنجبار البرتغاليين الفزاة بمساعدة عرب عمان من الشيعة النازحين اليها وإلى الساحل الشرقي ، وتوطدت الصلات الاقتصادية والثقافية بين الساحل الشرقي والعالم الاسلامي كما توطد حكم أمراء عمان ولحق بهم في القرن التالي بعض المستعمرين السنينيين من مقاطعة شيراز الفارسية . وهكذا حل التجار العرب شيئا فشيئا محل التجار الأغريق واليهود .

وكان أهم أمراء عمان في زنجبار السلطان سعيد الذي حكم بين سنتي ١٨٠٦ ، ١٩٥٦ ، وأدخل فيها زراعة القرنفل .

وفي سنة ١٨٢٢ دخل الجزيرة الجميلة الوادعة منصر جديد اذ تظاهر الانجليز بحمارة الرقيق لوضع أقدامهم في القارة الأفريقية الغنية بخاماتها البشرية وبموادها الأولية . وفي عام ١٨٤٠ تأسست أول قنصلية

بريطانية في زنجبار . وفي سنة ١٨٤٥ عقدوا معاهدة مع السلطان ليحدوا من ممارسة رعيته لتجارة الرقيق . وتوفي هذا السلطان عام ١٨٦١ ، وتولى أولاده الحكم .

وبدا المبشرون الأمريكيون يتكاثرون .

واستطاعت بريطانيا بخططها الاستعمارية أن تربط بين التجار العرب وتجارة الرقيق ، وأعطت للأفريقيين صورة مشوهة جعلت للعرب فيها الدور الرئيسي زورا وبهتانا .

ولقد استمر حكم الأغلبية العربية في زنجبار الى أن بدأ صراع الدول الاستعمارية في القارة ، وفتح الطريق الى ذلك الملك ليوبولد الثاني ، ملك بلجيكا ، سنة ١٨٧٠ . وتلت الحملات البلجيكية حملة المانية . ودخلت إنجلترا الميدان فتغلغل نفوذها في زنجبار سنة ١٨٩٠ ، وأعلنتها محمية بموجب معاهدة « هليجولاند » التي عقدت بين المانيا وإنجلترا ، وحدت من سلطات السلطان .

وفي سنة ١٩٠٢ تولى العرش السلطان السيد علي ، ولم يكن قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، وازدادت العناصر الأجنبية نفوذا في عهده لحدائه سنة حتى أصبحت زنجبار مستعمرة في سنة ١٩١٣ ، وانتقلت شئون ادارتها الى وزارة المستعمرات ، وعين القنصل مقيما عاما . ولما احتج السلطان تراجع بريطانيا وشكلت مجلسا تشريعيا يرأسه السلطان ، ويمارس فيه المقيم السلطة الفعلية .

ومن اكبر اخطاء بريطانيا انها لم تضم الى هذا المجلس حتى عام ١٩٤٧ أى عضو أفريقى . وأغلب الظن أن هذا التصرف كان مقصودا لابتزاز صدور الوطنيين ضد العرب الحاكمين ، وعلى رأسهم السلطان نفسه ، وهو عربى .

ونجحت السياسة البريطانية في التفرقة بين العرب والأفريقيين ، وخلقت هناك نوعا مغائرا من التمييز العنصرى . اذ أنه مع بداية اليقظة الأفريقية العامة بدأت العناصر السياسية في زنجبار تمارس نشاطها على أساس عنصرى . وهكذا انقسم السكان الى عرب وأفريقيين .

وحين تأسس حزب زنجبار الوطنى ، بقيادة القوميين العرب ، الذى يمثل الأغلبية ، قاطع الأفريقيون الانتخابات متأثرين بالدعاية

البريطانية التى اتهمت الحزب بالشيوعية كما اتهمت العرب من قبل بأنهم باعوا آباءهم وأجدادهم فى سوق النخاسة ! .

ولعب الاستعمار لعبته بتكوين عدة احزاب . واصبحت زنجبار بركانا سياسيا يغلى بشتى العناصر والآراء المتضاربة . وبدأ الصراع العنصرى الجديد ضد العرب فقاطع الافريقيون متاجر العرب ، وقام الملاك بطرد الافريقيين من المزارع التى يضعون اليد عليها .

وعندما حان وقت انتخابات يونيو سنة ١٩٦١ سقط ٦٨ قتيلا منهم ٦٤ من العرب بسبب اعتداء الحزب الشيرازى على حزب زنجبار الوطنى وانهاهه زورا بتزييف الانتخابات .

وقد أرادت انجلترا - وهى سبب الفرقة والانقسام العنصرى - أن تقوم بدور حماية السلام فدعت الفريقين الى مؤتمر مصالحة فى لندن عام ١٩٦٢ ، واشترك فى المؤتمر أعضاء المجلس التشريعى فى كينيا .

وقبل أن تتم المصالحة ، والاستقرار حدث الانقلاب الدامى فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ الذى راح ضحيته المئات من العرب الأبرياء . وتكررت المجزرة مرة أخرى .

ومن الغريب أن يتصارع رفاق معركة التحرير بهذا الشكل المروع ، وذلك بسبب كثرة ما ألقاه الانجليز من بترول على النار !

والأغرب من ذلك أن يمارس الافريقيون فى زنجبار وتنجانيقا هذه التفرقة العنصرية حتى بعد أن اتحدتا تحت اسم « جمهورية تانزانيا » !

## الفصل

### العاشر : العنصرية في أوغندة

تقع أوغندة في شرق أفريقيا . وتحدها كينيا من الشرق ، والسودان من الشمال ، والكونغو من الغرب ، وتنزانيا من الجنوب .

وهي دولة داخلية لا تطل على بحار مفتوحة ، أو محيطات ، ولا بد أن تعبر تجارتها كينيا للوصول الى المحيط الهندي .

وحدود أوغندة كبقية الوحدات السياسية في أفريقيا خططتها القوى الاستعمارية ولمصلحتها دون أى اعتبار للظروف الطبيعية ، أو التاريخية ، أو الجغرافية . وحتى الحرب العالمية الأولى لم تكن هناك حدود معروفة لأوغندة . فقد كانت نمولى وغندوكرو وهي من السودان ، تابعة لأوغندة ، ثم أعيدتا اليه بعد ضم منطقة ( لادو ) الواقعة غرب نيل البرت الى أوغندة .

ومساحة أوغندة ٩٤ ألف ميل مربع تغطي المياه حوالي ١٤ ألف ميل مربع منها ، إذ أن أوغندة تقع في إحضان مجموعة من البحيرات يصل ارتفاعها الى آلاف من الأقدام فوق سطح البحر . فبحيرة فكتوريا في ركنها الجنوبي الشرقي ، وبحيرتها ألبرت وأدوار على حدودها الغربية . وبحيرة كيوجا في وسطها . وتجري فيها روافد النيل وأرضها خصبة ومناخها معتدل لارتفاعها .

وقد تنبأ تشرشل الزعيم البريطاني ، عام ١٩٠٧ بأهمية أوغندة فقال : « ان أوغندة بلاد حية . انها عظيمة الأهمية ، واعتقد أنها ستصبح يوما ما أهم وأكثر أقاليم شرق ووسط أفريقية كلها ، وأوفرها رخاء . وانى أنصح بتركيز الجهود حول أوغندة ، وسترون النتائج السريعة المثمرة » وقد كان ! .

ذلك أنه يزرع حاليا من القطن في أوغندة ١١/٢ مليون فدان . كما ينتج حوالي ٩٨ ألف طن من البن ، وهو والقطن أهم سلع التصدير ، كما يزرع

الشاي ، والطباق ، والذرة والفول السوداني ، والقصب ، والسيسل .  
والغابات هناك أشجارها صلبة والثروة السمكية لها أهميتها . وبها من  
الماشية حوالي ٤٧٠ ألف رأس .

وتقدر الأرض المزروعة بحوالي ٨ مليون فدان . وعدد سكانها حوالي  
٦١/٤ مليون نسمة منهم ٨٠ ألف من الهنود ، و ٤٠٠٠ من العرب ، و ١٠٠٠٠  
من الأوربيين .

أما المعادن فقد أصبح النحاس أهم إنتاج معدني منذ سنة ١٩٥٦ .  
وقد صدر منه سنة ١٩٦١ بمقدار ٣ مليون جنيه .

قد انشئ فيها سد أوين عام ١٩٥٤ ، الذي ينتج قوى كهربائية مقدارها  
١٥٠ ألف كيلوات / ساعة لا تحتاج منها أوغندة الا القليل ، وتستغله في  
مصانع الشاي ، والبن والنسيج ، والبيرة ، والزيوت ، وصهر النحاس .  
وهي تبيع الكهرباء منه الى كينيا ، وقد ساهمت ج.ع.م في لفقات  
السد بحوالي ٤ مليون جنيه . وهو يرفع مستوى بحيرة فيكتوريا  
حوالي ٤ أقدام فوق أعلى منسوب حالي لها ، وكانت تعتبر أوغندة إحدى  
المناطق البريطانية في شرق أفريقية . وقد بذلت - في بعض فترات  
استعمارها - محاولات لربطها بكينيا وتنجانيقا ، ولكن هذه المحاولات  
فشلت ، وان ربطت بكينيا بسكة حديدية مما جعل اتجاهها الجغرافي  
نحو المحيط الهندي . كما أن مشاكلها وإدارتها تختلف ، عنها في الدولتين  
الأخريين .

وقد بدأ الاستعمار البريطاني فيها منذ سنة ١٨٨٨ حين أخذ  
التجار الأجانب في الوصول اليها ، وتكونت شركة شرق أفريقية الامبراطورية  
التي عقدت معاهدات تجارية مع زعماء القبائل على نمط اتفاقيات شركة  
جنوب أفريقية البريطانية في وسط أفريقية .

وكما يحدث دائما تدعى بريطانيا ان القبائل تضطهد الجمعيات  
التبشيرية وتذبح المسيحيين ، كما تدعى ان من حقها ان تتدخل لايقاف  
هذا الصراع الدموي ، وترسل جيوشها بالفعل لتتمكن الشركة من  
ترسيخ أقدامها ، والسيطرة على البلاد ، وطرد أهل البلاد الأصليين بحجة  
أنهم معتدون على البيض رسل الحضارة ، والمبشرين رسل السلام ! .  
وبعد قليل رأت الشركة أن تكاليف سيطرتها على البلاد تفوق أرباحها .  
ولذلك تطلت للحكومة البريطانية عن مستويات هذه الإدارة سنة ١٨٩٣ ،

وأعلنت الحماية على البلاد في العام التالي ، واستمرت الاضطرابات حتى أعلن استقلالها في أكتوبر سنة ١٩٦٢ كجمهورية في نطاق دول الكومنولث البريطاني .

\* \* \*

وكانت الجمعية التشريعية لأوغندا تتكون من ٦٢ عضوا منهم ٣٢ تعينهم الحكومة من الوزراء والموظفين السابقين و ١٦ من غيرهم . ثم هناك ٣٠ عضوا منتخبا منهم ١٨ أفريقي . ومعنى ذلك أن الأفريقيين الذين تبلغ نسبتهم حوالي ٩٩٪ من السكان لا يمثلهم سوى ٢٩٪ من أعضاء الجمعية التشريعية . وكذلك مجلس الوزراء الذي يرأسه الحاكم، والمكون من ١٣ وزيرا أغلبهم من الأوروبيين .

\* \* \*

وبالرغم من ضالة عدد الأوروبيين ، وقلة مساحة الأرض التي يمتلكونها نسبيا إلا أن نظام توزيع الأرض ، وامتلاكها وتأجيرها يسبب مشكلة رئيسية في البلاد . فقد نظر منذ البداية إلى أوغندا على أنها منطقة صالحة للاستقرار الأوربي . وبالفعل انتزعت من أيدي الأفريقيين جميع الأراضي الصالحة لهذا الغرض ، ووزعت على الأسر الأوروبية التي رأت في فترة ما أن تنضم بما تمتلك من أرض ، وما يوزع عليها منها مستقبلا ، إلى مستعمرة كينيا ، وذلك في سنة ١٩٠٢ .

وحدث أول تدخل كبير من جانب الحكومة البريطانية في مشكلة الأرض عندما عقدت اتفاقية سنة ١٩٠٠ التي نصت على أن أي قطعة أرض بين ساحل البحر والكوتغو ملك للحكومة البريطانية على أساس أنها هدية من الكاباكا « الملك » . كما عقدت بعد ذلك اتفاقيات مماثلة مع زعماء القبائل .

وفي سنة ١٩٠٣ انتهزت الحكومة قوانين الطوارئ وأعلنت سيطرتها على جميع الأراضي ، وتغير اسمها من أرض التاج إلى « الأراضي العامة » . كما صدر سنة ١٩١٠ قانون يمهّد الطريق لمنح الأوروبيين الكثير من الأراضي ، ويعطى الحكومة الحق في اقتزاع أي أرض من الأفريقيين لبيعها لمن تشاء من الأوروبيين الذين ينقلبون في هذه الحالة إلى ملك ، ويصبح الملاك الأفريقيون مجرد مستأجرين ، أو عمال أجراء لدى الملاك الأوروبيين الجدد إذا شاء هؤلاء !!! .



وإذا كانت الأراضي تبلغ مساحتها في أوغندة - باستثناء البحيرات والمستنقعات ٨٠ ألف ميل مربع فقد أصبح غير الأفريقيين يمتلكون منها نحو ١٧٣١ ألف ميل مربع .

\* \* \*

وكثرة عدد الهنود نسبيا تسبب في أوغندة مشكلة رئيسية أخرى من المشاكل العنصرية . إذ يبلغ عددهم ثمانية أمثال الأوربيين، ويسيطرون على ٩٠٪ من التجارة في البلاد . كما أن هناك كثيرا من الهنود يعملون في السكة الحديد ، وفي المشروعات الصناعية .

وللهنود تعليمهم الخاص ، وممثلوهم في المجلس التشريعي ، ومجتمعهم الذاتي المتميز . وبمعنى آخر أن الهنود مجتمع منفصل - بكل مميزاته وخصائصه - تماما عن الأفريقيين . بل إن لهم نفوذا ، ومكانة يفوقان ما للأفريقيين أصحاب البلاد ، والأغلبية الساحقة فيها . ولكي نعطي فكرة عن ذلك يكفي أن نعلم أن ٤٥٪ من سكان كمبالا - العاصمة - من الهنود .

ويهتم الهنود بزراعة وتصنيع قصب السكر ، وزراعة وحلج القطن . وهم يصدرون نصف ما تصدره أوغندة من القطن إلى الهند .

لذلك قام صراع عنيف بين الهنود والأفريقيين الذين اعتبروا احتكار الهنود لهذه القطاعات من الزراعة والصناعة تمييزا عنصريا أتى مع الاستعمار البريطاني ، ويتشجعه .

وتبلغ كثافة السكان في أوغندة حوالي ٢٠٠ شخص في الميل المربع الواحد ، وقد تزيد عن ذلك في بعض المناطق ، مما جعل عددا كبيرا من السكان لا يمتلكون أية أراض ، ويعملون كمزارعين ، أو أجراء ، أو عمالا في الخدمات والصناعات لقاء أجر زهيد جدا . وقد شكلت سنة ١٩٤٩ لجنة لبحث هذه المشكلة تبين منها أن أجر العامل الأفريقي في السكة الحديدية لا يزيد عن ٥٥٪ من أجر زميله العامل الهندي . كما أنهم لا يتمتعون بأي عناية صحية ، أو رعاية فنية تزيد من مهارتهم لتؤهلهم لتولي الأعمال ذات الأجور المرتفعة نسبيا . وتزيد حالة العمال الزراعيين عن ذلك سوءا .

\* \* \*

وفي سنة ١٩٥٤ افتتحت ملكة بريطانيا خزان شلال اوين . كما اكتشف النحاس الذي اخذ في تعدينه محليا مما طور اقتصاديات أوغندة، ورفع مستوى معيشتها . وفي نفس الوقت زاد من حدة المشاكل العنصرية فيها لانه ضاعف من هجرة الاجانب الذين اجتذبتهم الصناعة على نمط ما حدث في روديسيا الشمالية .

وكما سبق فقد استقلت أوغندة في أكتوبر سنة ١٩٦٢ مع دخولها عضواً في دول الكومنولث البريطاني .

ان شعب أوغندة له ثقافة وتاريخ . وهو في ذلك يشبه شعوب غرب افريقية . لذلك كانت نزعة القومية فيه منبعثة من الداخل .

ولقد برز عنصر القومية الافريقية في أوغندة من نداء تقدم به الدكتور ب . ن . كونوكا ، نائب يوجنسدا في ٢٤/١/١٩٥٥ - اى قبل الاستقلال قال فيه ان افضل سبيل لمقاومة اتجاهات بريطانيا نحو ربط كينيا وأوغندة وتنجانيقا في اتحاد من اتحاداتها الزائفة هو ربط أوغندة مع دولتي النيل العظيمتين : مصر والسودان (١) .

---

(١) افريقية وراء الصحراء . المصدر السابق . ص ٥٣ .

## الفصل

### الحادى عشر : العنصرية فى غرب افريقية

تعتبر منطقة غرب افريقية من اكثر المناطق فى جنوب الصحراء الكبرى اتصلا بالعالم الخارجى . فطرق القوافل عبر الصحراء جعلت تجارة هذه المنطقة تتجه منذ قديم الزمان نحو الشمال .

وهكذا ظهرت فيها مدن عامرة ، وأسواق تجارية نامية ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية كانت تتقدم بمقاييس عصرها . مما وفر لها ثراء لا تجد له نظيرا فى كثير من أنحاء افريقية السودان . فضلا عن أن ذلك الاتصال كان سببا فى انتشار الاسلام ، كما ساعد الاسلام بدوره على تدعيم هذه الروابط .

ومنطقة غرب افريقية كانت أولى المناطق التى وصلت اليها طلائع الملاحين الاوربيين فى القرن الخامس عشر ، اذ بدأ البرتغاليون فى اتخاذ نقط تجارية وعسكرية على ساحل غرب افريقية عام ١٤٧١ ، ولكن لم يحدث توغل فى الداخل قبل القرن التاسع عشر .

وكانت تجارة الرقيق أهم تجارة هذه المنطقة والمصدر الرئيسى للرقيق فى العالم لمدة أربع قرون ، وقد قدر ما يصدر منه سنويا حوالى ١٠٠ ألف نسمة .

وبعد أن تحرر الرقيق ، وعادوا من العتق و امريكا الى المناطق الساحلية فى سيراليون وليبيريا كانوا طائفة جديدة متميزة تماما عن النظام القبلى الذى كان سائدا فى المنطقة وخاصة فى الاجزاء الداخلية . وهكذا أصبحت هناك فروق واضحة بين سكان الساحل وسكان الداخل ، لا تزال موجودة حتى الآن ، وقد تصل الى حد اثاره عوامل الحقد والعداء والحروب .

اما العلاقة بين الاوربيين والافريقيين فقد ظلت مبنية على أساس النظرة الاستعمارية واساليبها التقليدية والمستخدمة .

وقلة المستوطنين البيض ترجع الى البيئة الطبيعية حيث ترتفع درجة الحرارة ودرجة الرطوبة ، مما يساعد على نمو الغابات الكثيفة الضخمة ، والنباتات المتسلقة بما يتخللها من ظلام ، ووحشة ، وحشرات ، ومستنقعات ، وما تسببه من أمراض متوطنة كالملاريا ، والحمى الصفراء ، ومرض النوم ؛ وصعوبة المواصلات ، وقلة الماشية ، وندرة الطرق الصالحة .

ومع ذلك فقد أمكن للإنسان أن يتغلب على بعض صعوبات الطبيعة فأنشأ في بعض الأماكن مزارع واسعة للكاكاو والمطاط وقصب السكر ، كما أنشأ موانئ التصدير ، ومد طرق السكة الحديدية ، مما ساهم في أهمية المنطقة من الناحية الاقتصادية .

\* \* \*

وبالرغم من أن هذا الاقليم تنتظمه وحدة جغرافية فقصده قسمه الاستعمار كمكادته - الى عدة وحدات سياسية صغيرة متجاهلا النواحي الجغرافية والاقتصادية ، والتاريخية ، والقبلية . وسيطرت بريطانيا وفرنسا على معظم أجزائه . وبعد استقلال تلك البلاد تمسك زعمائها بحدودها السياسية برغم ما فيها من مشكلات .

وقد حاولت مالي والسنتغال تكوين اتحاد فيدرالى بينهما ، وللأسف حل هذا الاتحاد بسبب اختلاف وجهة نظر زعماء كل من الدولتين ، كما حاولت غانا تكوين اتحادات أخرى في هذه المنطقة ، وبدأت المحاولة بالفعل مع غينيا ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح أيضا سوى من الناحية النظرية وغلبتها الاتجاهات القومية . وبعد أن حصلت الدول المتكلمة بالانجليزية على استقلالها انضمت الى « الكومنولث البريطانى » .

### التفرقة العنصرية في سيراليون :

في أواخر القرن الثامن عشر أنشأت بريطانيا مستعمرة سيراليون التى حاول البريطانيون أن يتخذوا منها منطقة إيواء للأرقاء . ثم نقلوا إليها أيضا بعض الرقيق من زنوج أمريكا الذين حاربوا فى صفوف فى حروب الاستقلال الأمريكية ، ووفد إليها أيضا من زنوج جامايكا .

وأصبح يطلق على هؤلاء الزنوج الوافدين اسم « الكريول » وقد أفسحوا المجال لسيطرة الشركات الاستعمارية ، فأنشأت لهم بريطانيا منذ قرن جامعة « فرنون » التى لها صلة بجامعة « درهام » البريطانية .

ولم تتوافر للأفريقيين الأصليين هذه الظروف الثقافية والاقتصادية وقد نسي - أو تناسى - الكريول أنهم من نفس الجنس الأفريقي ، وأنهم من نسل الرقيق الذى شحن على البواخر الأوروبية منذ قرون الى العالم الجديد فأقاموا حاجزا عنصريا رغم أن الجنس واحد ، واللون واحد ، والدين واحد .

ومع تطور الوعي الأفريقي ، وعلو الموجة التحريرية ، فكرت بريطانيا في تطوير حكمها الإدارى والسياسى ، واعطاء الأغلبية في المجلس التشريعى للأغلبية الأفريقية . ولم يكن من السهل على الكريول قبول هذه الفكرة حتى أن أحد زعمائهم وهو الدكتور « بانكول برايت » صرح في مؤتمر صحفى عقده في لندن بقوله « نحن الكريول لا نستطيع أن نقبل أغلبية من سكان الداخل في المجلس التشريعى . وليس من المقبول أن يتحكم أفراد المحمية في الكريول . فهؤلاء - الكريول - رعية بريطانيا ، ومسيحيون . ومن المستحيل أن يستوى المسيحيون والوثنيون الذين لازالوا يأكلون لحوم البشر » (١) .

ومضى دكتور برايت الى قبره حاملا معه جرثومة هذه العنصرية السوداء ، وجاءت من بعده أجيال تعمل في جبهة واحدة ضد المستعمرين الخبثاء ، ولصالح الوطن الأم . وجاء هذا بعد تطور طويل يمكن أرجاع بدوره الى الحرب العالمية الاولى ، ثم الحرب العالمية الثانية . وقد أصبحت سيراليون جمهورية مستقلة داخل نطاق الكومنولث البريطانى في ابريل ١٩٦١ . وهى تتلقى مساعدات عديدة من بريطانيا وأمريكا ، وتملأها الشركات الاحتكارية الأجنبية ، كما أن بها العديد من الأحزاب المتصارعة . ويزرع بها الأرز والموز والطباق والكافكاو كما أن بها معادن كالماس والحديد والألمنيوم .

### التفرقة العنصرية في ليبيريا :

وشاهدت ليبيريا أيضا في مراحل تطورها لونا من ألوان العنصرية . فقد نشأت كثرة من ثمار « جمعية الاستعمار الامريكية » التى يرجع تاريخها الى عام ١٨١٧ ، ولا زالت قائمة حتى الآن ، والتى قامت هى

---

(١) انظر مقال : ألوان مع التفرقة العنصرية . د . عبد الميز كامل . مجلة نهضة أفريقية . مارس ١٩٦١ . ص ٩ .

وغيرها ، بقصد اسكان الزوج الامريكيين المحررين ، كما فعلت بريطانيا في سيراليون سنة ١٨٢٠ .

وقد حدث أول استيطان لهؤلاء الزوج الامريكيين الوافدين سنة ١٨٢٢ . وتتابع وصول الوفود السوداء الى الجزيرة . وظلت جمعية الاستعمار الامريكية ترمي شئون هؤلاء المستوطنين حتى عام ١٨٤٧ عندما أصبحت ليبيريا دولة حرة ، شعارها « حب الحرية جاء بنا الى هنا » .

وقامت مشكلة العنصرية في ليبيريا — منذ قدوم أول فوج من الزوج الامريكيين كما حدث في سيراليون ، ولنفس الاسباب . وأصبح الزنجى في ليبيريا امريكيا . كما أصبح الزنجى في سيراليون انجليزيا . كل منهم يتكلم بلفته الجديدة ، ويعقلتيه الجديدة ، ولا يعترف انه من نسل وجنس اخوانه السود الذين يسكنون معه الوطن الام .

ومن اهم الشركات الاجنبية في ليبيريا « شركة فايرستون » للمطاط التى تملك مزارع واسعة من المطاط ، تبلغ مساحتها نحو مليون فدان . وكان المطاط يمثل نحو ٩٧٪ من صادرات ليبيريا ، ثم هبط أخيرا الى نحو ٦٦٪ للتوسع في استخراج خامات النحاس ، وبعض الصادرات الأخرى مثل قصب السكر ، والأخشاب ، والبن ، والحديد . ويعتبر خام الحديد هو المعدن الرئيسى الذى تنتجه ليبيريا ، وتحكم استخراجه شركة Liberia Mining من منطقة يزميهيلز الامريكية . وتعتبر المنطقة التى تستخرج منها الشركة الحديد من اثنى مناطق الحديد فى العالم حيث تصدر منه ما قيمته ٣٣ مليون دولار . وهناك منجم آخر فى جبال نيمبا يقدر ما به من خام الحديد بنحو ٢٠٠ مليون طن . وتستغل هذا المنجم شركة امريكية سويدية .

وتحتل الولايات المتحدة المقام الاول فى اقتصاديات ليبيريا حيث تحتكر شركاتها ومؤسساتها معظم فروع الاقتصاد القومى فيها . كما ان معظم المساعدات الخارجية تتلقاها منها فقد تلقت قبلا عام ١٩٦٢ معونة قدرها ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار وقرضا قدره نحو ٥ مليون دولار . كما تلقت عام ١٩٦٣ قرضا آخر قدره ٢٤ مليون دولار لتمويل مشروع لانشاء خزان ومحطتى توليد كهرباء<sup>(١)</sup> . وقد كان للتوسع الزراعى أثره فى اشتداد

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . ص ٤٢٢ .

الطلب على الأيدي العاملة الرخيصة . وهذا العامل كانت له آثاره في ليبيريا خاصة وفي غرب أفريقيا عامة .

ومن الجهات التي اشتدت فيها الحاجة الى الأيدي العاملة الرخيصة الافريقية « جزيرة فرديناندوبو » التي تقع في خليج غانة ، وتخضع للحكم الأسباني .

وأخذ المندوبون الذين يعملون لحساب الأسبان في جمع الأيدي العاملة من ليبيريا لترحيلهم جماعات الى الجزيرة تحت ظروف سيئة للغاية ، تصل الى درجة الرق القديم . فقد كانوا يصطادون الشبان الأفريقيين لأرسالهم الى فرناندو بو .

وقد تكونت لجنة تحقيق في هذه الفظائع التي ارتكبتها مسؤولون رسميون في ليبيريا نشرت تقريرها عام ١٩٣١ تبين منه أن على رأسهم « مستريانسي » الذي كان في ذلك الوقت يشغل منصب « نائب رئيس الجمهورية » .

ويذكر « هولمان جيمسون » في دراسة له أجراها سنة ١٩٦٠ عن هذه الفضيحة الدولية الانسانية في العصر الحديث قصيدة كانت تروى بها نساء قبيلة في ليبيريا رجالهن الذين يقعون في براثن الأسبان عن طريق عصابة المسؤولين الرسميين الذين كان يتزعمهم نائب رئيس الجمهورية « مستريانسي » :

كنا هنا عندما جاءت المتاعب الى شعبنا  
من أجل هذا جاء يانسي الى أرضنا  
قبض على أزواجنا وأخواتنا  
وأرسلهم الى « فرديناندوبو »  
وهناك ماتوا  
وهناك ماتوا  
أخبرنا  
يانسي .. لماذا ؟  
يانسي .. لماذا ؟  
ليس لنساء « واديبو » (١) أزواج ؟  
يانسي .. لماذا ؟

---

(١) اسم القبيلة التي كانت تشد نساءها هذه الرثية الحزينة .

ليس لنساء « واديو » أخوة ؟

يانسى .. لماذا ؟

مات الأمهات والآباء والأبناء

وهم ينتظرون الغائبين !!

يانسى .. لماذا ؟

ولكن نمو الوعي الأفريقى جعل الأفريقيين الأصليين والوافدين يحاربون تحت علم واحد حتى حصلت ليبيريا على استقلالها . بل كانت أول دولة أفريقية سوداء تحصل على هذا الاستقلال منذ عام ١٨٤٧ . وقد جاء في البند الرابع من وثيقة عقد الاستقلال :

« نحن شعب جمهورية ليبيريا . كنا أصلا من سكان الولايات المتحدة في أمريكا الشمالية » .

وقد اقترحت جريدة « لاجوس ويكلي ريكورد » النيجرية تعديل هذا النص كالآتي :

« نحن شعب ليبيريا ، الذى يتكون من المواطنين الأصليين لهذا القطر ، وأبناء الأفريقيين الذين أخذوا أسرى الى نصف الكرة الغربى » وهذا التعديل هو الأقرب الى الحقيقة والواقع !

وجمهورية ليبيريا تقع شمال خط الاستواء بنحو ١٢ درجة وتحدها من الشمال سيراليون ، ومن الشمال الشرقى غينيا ، ومن الشرق ساحل العاج ، ومن الجنوب والغرب المحيط الأطلنطى ، وطول ساحلها ٦٠٠ ميل . وساحلها سهلى ضيق ، يتدرج في الارتفاع نحو الداخل .

ومناخها شبه استوائى في الجنوب ، وسودانى في الشمال . فالحرارة شديدة ، والرطوبة عالية ، والأمطار غزيرة .

وهى تنتج الموز والذرة والأرز والكاكاو والبن . أما ثروتها الحيوانية فقليلة . واستغلال كل هذه الثروات في أيدي الشركات الأجنبية الاحتكارية كما تقدم .

وبيلغ عدد سكانها حوالى ٢/٤ مليون نسمة ، ومساحتها نحو ٤٣ ألف ميل مربع . وبيلغ عدد الزنوج الأمريكيين بها ٨٪ من السكان .

وقد أبرمت ليبيريا عام ١٩٦١ معاهدة مع إسرائيل التى تقدم لها مساعدات مالية تحت اسم المساهمة في التقدم مع انها تأخذ من ليبيريا أكثر مما تعطى .



- ١ - ذلك أن إسرائيل تقوم في ليبيريا ببناء فندق كبير ، والقصر الجمهورى ، ووزارة الخزانة ، والغرفة التجارية ، ومبنى البلدية ، ومصلحة الاستعلامات . وهى تتقاضى فى هذه المشروعات مبالغ طائلة تفوق المساعدات المالية التى تعطى لها .
- ٢ - كما اتفقت إسرائيل وشركة مايرونيك للاستيراد والتصدير على تمويل وارداتها من إسرائيل بما قيمته ١٠ مليون دولار (١) .

---

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . من ٤٢٣ .

## الفصل

### الثاني عشر : العنصرية في الكونغو ( ليوبولد فيل )

ان اقليم الكونغو على شكل حوض منخفض تحيط به المرتفعات التي تصل من ٦٠٠ الى ١٥٠٠ قدم . وله ساحل على الاطلنطي بطول ٢٥ ميلا .  
واهم ظاهرة في الكونغو هي نهـر الكونغو بروافده الكثيرة وغاباته الكثيفة . ويسود الاقليم المناخ الاستوائي بحرارته ورطوبته وأمطاره الغزيرة .

ومساحة الكونغو ٢٣٤٤٠٠٠ كيلومتر مربع ، وهي توازي مساحة بلجيكا - التي كانت تستعمره - ٨٠ مرة . ويزرع به النخيل ، والقطن ، والموز ، والذرة ، والكسافا وهو أهم غذاء للسكان .

وقد منحت الشركات مساحات واسعة لزراعة الغلات التجارية للمطاط والبن والكاكاو .

وتوجد به ثروة هائلة ووفيرة ومتنوعة من المعادن الهامة - كالنحاس والذهب واليورانيوم والقصدير والزنك والكوبالت والمنجنيز والفحم .  
فمناجم كاتنجا وحدها أكبر من مساحة بلجيكا بأسرها . واتحاد مناجم كاتنجا يسيطر على ٧٠٪ من ثروة الكونغو وحدها . وهذا الاتحاد من أكبر شركات التعدين في العالم .

وهذه الثروة الضخمة لا تستفيد منها سوى الشركات الاحتكارية الأجنبية . بل انها جذبت الأفريقيين انفسهم فهجروا الزراعة للاشتغال في المناجم وشركات التعدين حتى أنهم يعانون دائما مجاعات طاحنة ، ويستوردون معظم ما يحتاجونه من أغذية ولحوم من الخارج .

وفي الكونغو قوى مائية هائلة يمكن أن تستخدم في توليد الكهرباء .  
ولكنه قليل السكان بالنسبة لمساحته ، اذ لا يزيد عدد سكانه عن ١٣ر٥ مليون نسمة بينما تبلغ مساحته مساحة الهند .

وقد حكمت بلجيكا هذا القطر حكما قاسيا ، سيئا للغاية . وقد اعتبر ليوبولد الثانى الكونفو ملكا خاصا له . وفى ١٩٠٨ اضطر تحت ضغط الراى العام - ان يتنازل عن ملكيته للحكومة البلجيكية التى استمرت فى ادارته حتى حصل على استقلاله فى سنة ١٩٦٠ ، بزعامة باتريس لومومبا الذى دفع حياته ثمنا لهذا الاستقلال .

وقد بنيت السياسة الاستعمارية البلجيكية فى الكونفو على ما يسمى « الحكم الأبوى الموجه » التى تشبه سياسة البرتغال فى مستعمراتها .

وقد اعتقد البلجيكيون فى ذلك انهم واقعيون ، وأن الفرنسيين والانجليز خياليون أو نظريون فى أفكارهم التى تقوم على تطوير الأفريقيين نحو الحكم الذاتى ، واشتراكهم فى المجالس التشريعية المركزية أو الإقليمية . وتنطوى نظرية البلجيكيين فى الحكم على منح التطور الاقتصادى الأولوية فى الاهتمام .

ورغم ما فى الكونفو من امكانيات اقتصادية لا تتوفر فى اقطار افريقية كثيرة الا أن الحكومة البلجيكية اقامت الحواجز العنصرية بين الأوربيين وسكان البلاد فى كل المرافق ، والوظائف . كما أن المدن كانت تنقسم الى احياء افريقية وأخرى أوروبية . كما اتخذت اجراءات مختلفة تحد من حرية الاغلبية الافريقية ، كحمل البطاقات الشخصية المرفق بها ايصالات الضرائب . فضلا عن تحريم انتقالهم من جهة الى أخرى الا باذن من الجهات المختصة .

والأحياء الوطنية محرومة تماما من أية مرفق أو رعاية صحية أو اجتماعية . وتتلخص فلسفة الاستعمار البلجيكي ، ان جاز هذا التعبير ، فى ان « الرعاية الأبوية » التى تكفلها الحكومة لشعب الكونفو تتوقف على درجة لضعفه . والذى يحدد هذه الدرجة هى الحكومة البلجيكية وحدها !

وتهتف ابواق الدعاية البلجيكية الاستعمارية مهللة لما حقته بلجيكا للكونفو من تقدم . وتزعم هذه الأبواق المأجورة أن الحكومة تحمى الزنوج من الشركات الاحتكارية .

ولكن الحقيقة على عكس ذلك تماما .

اذ تفرض الحكومة ضرائب كثيرة وكبيرة على الشركات يدفع منها الزنوج ١٠٪ كضرائب مباشرة ، ويدفعون الباقي كضرائب غير مباشرة .

وتغرض أجهزة الامن رقابة صارمة على احياء الوطنيين الافريقيين،  
فتمنع تجولهم بعد الساعة السابعة مساء الا باذن خاص .

وتحدد الدولة : فيما تحدد من قيود على الوطنيين ، الأجور التي  
يتقاضونها ، والمستوى الاجتماعى الذى يعيشون فيه .

وهى وان اباحت منذ وقت قريب - تحت ضغط القوى القومية -  
تكوين اتحادات للعمال السود ، ولكن ليست لهذه الاتحادات اى تأثير  
أو نفوذ ، بل ولا تعدو أن تكون هيئات شكلية بحتة . وأبلغ دليل على  
ذلك ما رواه أحد رجال الأعمال الأمريكيين فى الكونغو :

« انه أمر غريب لم أستطع كيف أتصوره . هل هى قبضة حديدية  
فى قفاز من قليفة ؟ . لقد كان لدى أحد رؤساء العمال الزوج . وكان  
رجلا ذكيا وطموحا . وقد سألنى حول اتحادات العمال فى الولايات  
المتحدة . ولما كنت أعلم ان التشريع فى الكونغو لا يحرم على العمال  
الزوج تكوين اتحادات خاصة بهم فقد أجبت على أسئلته .

« وفجأة تخلف عن العمل . ومضيت أسأل عنه ، ولكنى لم ألتق  
اجابة شافية . وبعد بضعة أيام ابلفتنى السلطات انه قد ترك المدينة  
برمتها . ولما حاولت أن أعرف أين ذهب نصحنى المسئولون أن لا أحاول  
البحث عنه ، بل وانسى الموضوع كله .

« ولم أستطع ان أصدق هذا الذى يحدث فى بلد يلزم فيه كل شخص  
من الزوج ان يحمل اوراقه الشخصية ، وأن يبلغ السلطات عندما ينتقل  
من حى الى حى آخر ، أيا كانت المهمة التى ينتقل بسببها ، وأيا كانت  
المدة التى يقضيها ، وحيث لا يستطيع أحد منهم أن يتحرك الا بعد  
أن يخطر المسئولين عن شخصيته ، وغرضه ، ومهنته ، واسم والدته  
أيضا . »

ومن حيث الثروة المعدنية يعتبر الكونغو أغنى بلاد العالم . وتمثل  
الكونغو احدى الركائز الاقتصادية والاستراتيجية الهامة فى افريقية .  
وعليها تتوقف امكانية تنفيذ اى مخطط سياسى فى القارة ، تحريا كان  
أو استعماريا . ولذا يعتبرها الغرب احدى القواعد الحيوية التى يتحتم  
عليه إبقاؤها تحت نفوذه المباشر تأمينا لأهدافه الاستراتيجية ، ومصالحه  
الاقتصادية ، واستثماراته الضخمة فيها . وعليه يقدم الغرب لها  
جميع أنواع المساعدات . وتأتى الولايات المتحدة فى مقدمة دول الغرب

التي تمد الكونفو بكل أنواع المساعدات وتليها بلجيكا فالمانيا الغربية  
وفرنسا فإيطاليا ثم أسبانيا فالبرتغال .

وتكون الاحتكارات البلجيكية ٩٠ ٪ من الاستثمارات الأجنبية  
الموجودة في الكونفو حيث تمثل هناك في ثلاث شركات هي :

١ - المؤسسة البلجيكية العامة .

٢ - بنك بروكسل .

٣ - شركة زيوت الكونفو البلجيكي (١) .

---

(١) الحرب الاقتصادية . صلاح نصر . ص ٤٣٣ .

## الفصل

### الثالث عشر : العنصرية في المغرب العربي قبل استقلاله

تختلف سياسة فرنسا العنصرية حسب ظروف كل مستعمرة . فحيث يصعب استيطان الفرنسيين أو الأوربيين عامة تخف نسبيا وطأة التفرقة العنصرية . وحيثما يسهل ذلك ، ويزداد يحدث العكس تماما كما في الجزائر خاصة . وإن كان هدف فرنسا في الحاليين هو « فرنسة » الوطنيين ، ومحو لغتهم وتقاليدهم الأصلية ، وجعلهم يشعرون أنهم فرنسيون ، تابعون للوطن الأم ( فرنسا ) حتى يسهل لها استغلالهم ، واستنزاف ثرواتهم ، وإضعاف قوميتهن أسوة بما كانت - ولا تزال - تتبعه البرتغال في مستعمراتها . تلك السياسة التي قام الدليل القاطع على إفلاسها .

لذلك كانت فرنسا تعارض دائما وبشدة التقدم السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يطالب به الأفريقيون على أساس أن هذا التقدم سيعمل أن عاجلا أو آجلا على انفصال المستعمرات عن الكيان الفرنسي .

وبالرغم من اختفاء الحاجز اللوني في المستعمرات الفرنسية فإن المساواة الحقيقية في مستوى المعيشة ، والتعليم ، والحقوق السياسية ، والأجور والمستوى الاقتصادي غير موجودة بالمرّة .

### انتميز العنصرى في الجزائر

كانت الحالة الاقتصادية في الجزائر قبل الحملة الفرنسية عام ١٨٣٠ مزدهرة ، إذ كانت تحتل مكانة مرموقة في حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة خاصة ، وفي المحيط الدولى بصفة عامة لخصوبة أرضها ، وتنوع محاصيلها ، الى جانب جهازها الصناعى الضخم من معاصر للزيوت، ومصانع للنسيج والعلطور ، ومعادنها الوفيرة كالنحاس والملح والمرمر ، وتجارتها البحرية الواسعة حتى اعتبر البحر الأبيض المتوسط « بحيرة

جزائرية » وبالجمله كانت الموارد الاقتصادية في الجزائر تفيض عن حاجة السكان ، وتعود عليهم بالرخاء والسعة .

وكان الجزائريون يحرسون على بقاء الأرض في ايديهم فيقفونها على اولادهم وذرائعهم . ومن ثمة انتشر نظام الأوقاف . والى جانب الوقف كان في الجزائر نظام آخر من الملكية يسمى « نظام العشور » . والى جانب هذين النظامين كان نظام الملكية الفردية قائما .

وتنص المادة الخامسة من اتفاقية التسليم التي وقعها الجنرال بورمون وداى الجزائر على احترام الملكية العقارية . غير أن القائد لم يلبث أن نقض العهد كما هو الشأن في كل الاتفاقيات التي تعقد بين القوى والضعيف .

وقد بدأت عملية طرد أصحاب الأراضي الشرعيين منها غداة توقيع الاتفاقية . وكان أول اجراء قام به القائد العام أن وقع مرسوما يقضى بمصادرة أملاك الأتراك الجزائريين . ثم اصدر مرسوما آخر بالاستيلاء على الأراضي الموقوفة على المساجد والخيرات .

وقد حوت محاضر اللجنة الملكية التي أوفدت الى الجزائر عام ١٨٣٣ وصفا دقيقا للعمليات الوحشية ، والفرقة العنصرية التي قامت بها فرنسا ، تقتطف منه النبتة القصيرة التالية :

« بين يوم وليلة أصبحت مدينة الجزائر مسرحا للصفقات المريبة والغش والتدليس . فما كان على الانسان ، لكى يصبح مالكا ، الا أن يشى بأخيه ويلصق به تهمة معارضة الاحتلال فيصبح في اليوم التالي مالكا لأرضه بقوة الجيش الفرنسى ! فهل ذهبنا الى هذه البلاد لتوطيد دعائم الحضارة ؟ أم لاهدار الحقوق ؟ ومن عساهم أن يكونوا هؤلاء المستوطنون الفرنسيون ؟ اليسوا دخلاء على اهل البلاد ؟ .. أنهم لا يفلحون الأرض ، ولا يزرعون ، ولا يجنون ثمرا ، ولا يحترفون صناعة . ومع ذلك منحتهم سلطات الاحتلال سند الملكية لأراض لم يروها بأيمنهم ، فأصبحوا أصحابها وسادتها . هل ذهب شبابنا الى الجزائر ليحبسوا طغمة من الأشرار سارت في أعقاب الجيش لتنعم بالفنائم والأسلاب ؟ » .

ثم توالى بعد ذلك المراسيم التى تلغى حقوق مئات الألوف من الملاك بجرة قلم . فصدر مرسوم في أول مارس عام ١٨٣٣ يقضى بنزع ملكية كل أرض لم يقدم صاحبها مستندات ملكيته لها خلال فترة معينة

قصيرة . ولما كان نظام الملكية من قبل قائما على أساس التوارث لم تكن ثمة مستندات ، وبالتالي عجز الكثير من اثبات ملكيتهم ، فنزعت بذلك ملكية مليوني هكتار .

ثم كان عهد الامبراطورية الثانية التي أوفدت حكومتها لجنة الى الجزائر لتنظيم عمليات السطو على أملاك الجزائريين ، فقررت هذه اللجنة - فيما قررت - ألا يبقى لصاحب الأرض من أرضه الا الجزء المزروع منها . كما اعتبرت من أراضي العشور كل قطعة لم يكن صاحبها مالكا لها ثلاثين سنة على الأقل .

وقد توالى عمليات السطو على أراضي الأوقاف ، والعشور ، والأراضي المملوكة . ثم صدرت بعد ذلك قوانين لحماية « الامر الواقع » . وقد ذكر ديمونتيس (١) أن توزيع الأراضي في الجزائر حسب احصاء عام ١٩١٧ كان على الوجه التالي : -

أملاك الدولة	بنسبة ٤٤ر٥
أملاك الوطنيين	بنسبة ٤٤ر٤
أملاك الأوروبيين	بنسبة ١١ر١

ثم تغيرت النسبة بعد ذلك لصالح الأوروبيين وللسلطات الاستعمارية في البلاد على حساب الوطنيين .

هذا الى أن الاستعمار كان يحايى الأوروبيين على حساب أهل البلاد فيمددهم بالمعونة الفنية ، وبالآلات الزراعية ، والمبيدات الحشرية مما يزيد في انتاج أراضيهم . وقد بدأ وصول المستوطنين الفرنسيين في عام ١٨٣٢ من اللاجئين الفارين من منطقة الراين الذين أقاموا في معسكرات الجيش، ومنحوا قطعاً من الأراضي الجيدة . وتشير آخر الاحصاءات التي قام بها الفرنسيون قبل الثورة ، أى عام ١٩٥٤ ، الى أن عدد السكان في البلاد كان ١٥٢٨ر٠٠٠ منهم ٨٤٨ر٠٠٠ من الجزائريين ، والباقيون من المستوطنين الأوروبيين . ورغم ذلك فان هذه الاقلية البيضاء تمتلك ٦٨٧ر٠٠٠ دونم من الأراضي الصالحة للزراعة التي تبلغ مساحتها ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ دونم ، وهي لا تتعدى مساحتها ٣ر١٪ من مجموع مساحة البلاد . وكانت فرنسا تعمل دائماً على زيادة عدد الأوروبيين

(١) في مؤلفه . اقتصاديات الجزائر .



هناك بتشجيع هجرة المغامرين والهاجرين من العدالة حتى تقوى الجالية الأجنبية وتزداد منعة ورخاء بينما يزداد الوطنيون فقرا بزيادة التناسل.

وأن الطبقة الوسطى هي شبه معدومة عند الجزائريين ، وأن كانت موجودة بين المستوطنين الفرنسيين فلقد كان معدل دخل الفرد في البلاد نحو عشرين جنيتها في السنة بسبب أن العامل الجزائري يتقاضى خمس ما يتقاضاه العامل الفرنسي إذا أخذنا في الاعتبار أن ٧٥٪ من الجزائريين يعيشون على القطاع الزراعي بينما يعيش الباقون على الأعمال اليومية الأخرى كالجارة ، والقوة المسلحة ، والتعدين ، والصناعات اليدوية .

وبالرغم من اختفاء سياسة الحاجز اللوني ، أو التمييز العنصري ، في الجزائر من الناحية النظرية فإنها كانت تمارس من الناحية العملية والرسمية على أوسع نطاق ، إذ كان اختلاط الوطنيين بالأوروبيين نادرا.

فهذه المشكلة - مشكلة التمييز العنصري في أفريقيا - ليست في الواقع قاصرة على جمهورية جنوب أفريقيا وإنما هي أكثر انتشارا ، وأشد تعقيدا . وهي لم ترتبط بجمهورية جنوب أفريقيا إلا لأنها اتخذت هناك صبغة رسمية ، وواجهت مقاومة دولية . وكذلك لوقوف جنوب أفريقيا موقف التحدى من الرأي العام العالمى . كما أنها ليست قاصرة على التمييز بين البيض والسود في أفريقيا ، بل بين الأوروبيين وغير الأوروبيين عامة سواء أكانوا أبيضاً أو سمرًا . ولهذا سميت « سياسة عنصرية » .

والواقع أن سياسة التمييز العنصري تمارس في أفريقيا حيثما وجد الرجل الأوروبى ، واحتل مركزا متميزا في المجتمع كما هو الحال في كثير من بلدان شرق ووسط القارة قبل أن تستقل معظم دول هاتين المنطقتين . بل إن هذه السياسة لا تزال قائمة حتى الآن في روديسيا الجنوبية ، والمستعمرات البرتغالية .

وتظهر التفرقة العنصرية في أفريقية بين الأوروبيين - واو كانوا من حثالة القوم - وغير الأوروبيين - ولو كانوا سادة في بلادهم - في كل مواقف الحياة . كما أنها تنعكس في كل النظم الاجتماعية ، وفي الحقوق والواجبات ، وأنماط السلوك . إلا أنها تظهر بأقسى وأبشع صورها في القيود الكثيرة التى تفرض على أصحاب البلاد خاصة فيما يتعلق بحق العمل، والأجور غير المتساوية والفرص غير المتكافئة في العمل الواحد ، مما يترتب

عليه في آخر الامر تعيين مستوى اقتصادى محدد بدقة يكفل في النهاية الفوارق الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين الأوربيين من ناحية والسلالات الأخرى من ناحية ثانية .

فالاتجاه السائد في كل المناطق التى تمارس فيها التفرقة العنصرية — ومنها الجزائر — هو ربط الأهالى الوطنيين بقدر الامكان ، وبكل الوسائل ، بالزراعة بوجه عام ، والزراعة البدائية بوجه خاص سواء اكانوا ملاكا ، أو أجراء ، أو معدمين .

ويقتضى ذلك حصر الزراعة المتطورة — كما سلف — وكذلك الصناعة النامية فى أيدي الأوربيين وحدهم ، والاعتماد على سواعد الوطنيين كعمال غير فنيين حتى فى الأعمال التى لا تحتاج الى مهارات خاصة .

ومن المعروف أن فرنسا عملت خلال احتلالها الطويل للجزائر على محو لغتها وعروبيتها أى على فرنستها بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . بل عمدت الى سياسة الادماج الكلى منذ قيام الجمهورية الثالثة عام ١٨٧٠ . أى حوالى ٩٦ عاما . واذا تتبعنا التطور الثقافى خلال هذه الفترة لاحظنا ان البلاد قد تعاقبت عليها ثلاثة أجيال . الجيل الأول عاش بمعزل عن المستعمرين فاحتفظ بشخصيته ولغته العربية التقليدية . والجيل الثانى تأثر بوجود المستعمرين ، واختلط بهم ، ودرس لغتهم للحاجة اليها عند التعامل معهم دون أن يفقد شخصيته وروحه العربية . أما الجيل الثالث الذى ولد منذ اوائل هذا القرن فلم يكن أمامه سوى المدارس الحكومية التى تسير على نفس البرامج المتبعة فى فرنسا ، لا من حيث استخدام اللغة الفرنسية فحسب ، بل فى تدريس المواد القومية الفرنسية أيضا . وهذا الجيل الذى يكون اليوم معظم الشعب الجزائرى كادت تنقطع صلته بالثقافة العربية ، بل ان اللغة العربية اعتبرت قبل الاستقلال لغة أجنبية فى مدارس الجزائر كالأسبانية والانجليزية .

واهمه المشكلة وجه آخر . ففى سنة حصول الجزائر على الاستقلال لم يكن هناك من المدارس ما يستوعب أكثر من ربع عدد الأطفال الذين فى سن التعليم . وهذا مما يزيد المشكلة تعقيدا .

وان الاتفاق الثقافى المعقود فى ابغيان عام ١٩٦٢ يعطى للثقافة الفرنسية امتيازات هائلة فى الجزائر . فالمادة الرابعة مثلا تنص على أن تنظيم الكليات بجامعة الجزائر يجب أن يراعى نفس توزيع الأقسام المتبع فى فرنسا . ومغزى ذلك الاستمرار فى الاعتماد على الأساتذة الفرنسيين .

ويتبين من ميزانية القطر الجزائري أن مجموع ما يدفعه الأوروبيون من ضرائب مباشرة - مع أن عددهم لا يتجاوز المليون - أكثر مما يدفعه الجزائريون الذين يبلغ عددهم الآن حوالي ١١ مليون نسمة . الأمر الذي يدل على أن دخل القلة الأوروبية يزيد على دخل أهل البلاد جميعا .

ومن جهة أخرى يتبين أن الضرائب غير المباشرة التي يدفعها الوطنيون بحكم أغلبيتهم الساحقة أكثر من الضرائب المباشرة التي يدفع معظمها الأوروبيون كما سلف .

يضاف الى كل ذلك أن التجارة ، والصناعة ، والبنوك ، والمواصلات كلها في أيدي الفرنسيين خاصة ، والأوروبيين عامة . أما الجزائريون فقد كانوا يكادون ، ويشقون لكى يشتروا المنتجات الفرنسية باغلى الأثمان .

ولقد خلق الاستعمار تمييزا عنصريا أو تفرقة عنصرية من نوع آخر لكى يقضى على وحدة البلاد . فقد زعم أن الأمة الجزائرية تتكون من عدة عناصر لا من عنصر واحد ، وهى : العنصر البربرى ، والعنصر الميزابى ، والعنصر الشاوى ، ثم العناصر العربية والتركية والزنجية . وهو زعم باطل لا يقوم عليه دليل ، وإنما يفترى المستعمر الفاسد هذه الفرية الخبيثة لفرض واحد هو « فرق تسد » . ذلك أن الاسلام قد وحد بين أهل الجزائر . وطبعمهم على لسان واحد ، ودين واحد ، وقومية واحدة . وقد ازدادوا تماسكا ووحدة بفضل مظالم الاستعمار ، وبفضل الأحزاب الوطنية التى كانت تعمل على توثيق أسباب الأخوة القومية بين أبناء البلاد ، فانهضت كل أسباب الخصومات والتناحر القبلى .

وفى الوقت الذى كانت تشدد فيه سلطات الاستعمار النكير على المسلمين بكل الوسائل لتعرقل نموهم الاقتصادى والاجتماعى ، واقامة شعائرهم كانت تشجع بكل ما أوتيت من قوة أولئك المهاجرين المغامرين من حثالة القوم . وقد صرح الكوردينال لافيجرى عام ١٨٦٧ بقوله « يجب أن نجعل من الأمة الجزائرية مهدا لأمة مسيحية كريمة » ، وأن نربط مصر إفريقيا بحياة الشعوب المسيحية . . تلك هى رسالتنا » .

وقد ابتدعت العقيدة الاستعمارية ما أسمته « نظام الاتحاد الفرنسى » أسوة بنظام « الممتلكات المستقلة » أو « الكومونولث » الذى أنشأته بريطانيا .

ومن الواضح أن الاتحاد الفرنسي المزعوم يضم شعوبا واقطارا متنافرة . فلا صلة هناك بين شعوب الهند الصينية والشعب الفرنسي . كما أنه ليست هناك اواصر تربط شعوب شمال افريقيا بالشعب الفرنسي .

ولا ادل على سوء نية الاستعمار مما كتبه في هذا الشأن ليون بوتبيان من مؤتمر برازا فيل الذي عقد عام ١٩٤٤ اوضح نواة ذلك الاتحاد الزيف ، اذ قال « ان المؤتمر قد نبذ كل فكرة تدعو الى الحكم الذاتي ، كما نبذ كل ما من شأنه أن يساعد على التطور والتقدم خارج نطاق الكتلة الفرنسية . اى الامبراطورية الفرنسية ، والفكرة الأساسية في هذا النظام الجديد هي اخضاع الشعوب لفرنسا ، وادماج العناصر الاهلية في العنصر الفرنسي » .

وعلى هذه الأسس العنصرية طالب المستوطنون الأوروبيون بامتيازات خرافية ، وعارضوا بشدة مبدأ المساواة مع العرب . كما عارضوا منح هؤلاء أية حقوق مدنية رغم ادعاء فرنسا المتكرر أن الجزائر أرض فرنسية! وفي سنة ١٩٣٦ قدم ٢٥٠٠ جزائري طلبات للحصول على الحقوق المدنية ، ولكن البرلمان الفرنسي رفض هذا الطلب بشدة متناهية على أساس أن السياسة العنصرية هي جزء من السياسة الفرنسية العليا . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ يصل الى الجزائر من المهاجرين الأوروبيين - الذين شجعهم فرنسا - حوالي ٤٦٠٠٠ ثم ١٤٠ ألفا بعد فترة وجيزة .

كما أدت الأزمات المتتابة في فرنسا الى هجرة غير المسلمين من الاسبان ، والايطاليين واليونانيين ، والقبازصة ، والالمان ، والمارونيين ، والايرلنديين ، والهنود ، والصينيين .. الخ . وأعلنت فرنسا بأنها ترحب بالمهاجرين من جميع الجنسيات في الجزائر بشرط الا يكونوا مسلمين .

وبعد أن هزمت فرنسا في حربها مع المانيا في الحرب العظمى الثانية عملت على زيادة تشجيع الفرنسيين على الهجرة الى الجزائر . وكانت خطة تهجير ، واستيطان الفرنسيين في الجزائر خطة مدروسة بعناية . فقد كانت القرى تشيد ، ومشروعات الري تقام قبل أن يصل اليها المهاجرون الفرنسيون . وقد بلغ عدد هذه القرى الجديدة في الجزائر حوالي ٨٠٠ قرية يقطنها حوالي ٣٠٠ ألف .

وقد ترتب على تلك السياسة العنصرية خلخلة استيطانية من ثلاث  
سبب :

الأولى - هجرة الجزائريين من الريف الى المدن قدر عددهم بحوالى  
مليون جزائرى نتيجة طردهم من أراضيهم ، وغلق أبواب  
الرزق في وجوههم ، أو محاولة استعبادهم في المزارع الأوروبية  
بأقل الاجور مع انعدام الرعاية الصحية والاجتماعية .

الثانية - احلال الأوروبيين عامة - والفرنسيين خاصة - محلهم .

الثالثة - هجرة الكثير من الجزائريين من الجزائر ذاتها الى فرنسا .  
وقد قدر عددهم ٦٠٠ ألف جزائرى يعملون في المناجم ،  
والموانئ ، والسكك الحديدية .



## الباب الثالث      غروب العصرية

- الفصل الأول - ثورة الشعوب على التمييز العنصري
- الفصل الثاني - المجهودات الدولية لمكافحة التمييز العنصري





## الفصل

### الأول : ثورة الشعوب على التفرقة العنصرية

بعد الحرب العالمية الثانية شعر الرجل الأبيض الذى يعيش فى أفريقية أن الأرض تميد تحت قدميه . وأصبح السؤال الذى يتردد على لسان كل رجل أبيض فى أفريقية سواء أكان حاكما أو مجرد مواطن عادى هو :

ماذا وراء هذا الاحساس القوى الدافق بالقومية بين الأفريقيين ؟  
من القصور أن نقول أن الظلم ، والتفرقة العنصرية ، هما وحدهما السبب فى ذلك .

فالقومية الأفريقية - ككل الحركات التحريرية - ليست إلا فروعا من شجرة ، تمتد جذورها فى أغوار التاريخ البعيد . وبغير هذا التفسير تصبح تلك القومية اتفافضة مفاجئة ، لا تلبث أن تخمد . ذلك أن الشواهد التاريخية تؤكد أن كل حركة تحريرية تسبقها دائما أفكار تمهد لها ، وتمدها بالقوة وتساعد على الاستمرار . أنها متصلة كالنهر الذى ينحدر من منبعه الى مصبه ، ولا يرى الرأى إلا جزءا ضئيلا منه . وليس من شك فى أن الحرب العالمية الثانية ، لها أثر كبير فى اتساع حركة البعث التى امتد نطاقها فى كل شبر من أفريقية . فقد اتاحت هذه الحرب فرصة مواتية للأفريقيين لأن يتصلوا بمختلف شعوب العالم فى ميادين القتال . لقد كانت الشرارة التى فجرت البارود الكامن فى صدور الشعوب المغلوبة على أمرها . لقد راوا الأوربيين الذين كانوا يسمون أنفسهم رسل الحضارة والسلام ، يذبح بعضهم بعضا فى قسوة ووحشية . وأدت الحرب الى تفاعل فكرى خطير . . وملاذ اذهان الأفريقيين بأفكار جديدة ثورية . . كان الحلفاء يكررون لشعوب المستعمرات أنه ليس من العدالة أن تسيطر ألمانيا على غيرها من الشعوب ، ويطلبون منهم أن يحاربوا ، ويموتوا ، دفاعا عن حرية أوطانهم ، حتى لا يعيشوا تحت ظل ديكتاتورية هتلر وطفانيه . وهكذا مات من مات منهم وهو

يهتف بالحرية . وطالب من عاش منهم بهذه الحرية التى دفع ثمنها  
الملايين من شهدائهم .

وتصور لنا القصة التالية تصويرا واقعيا هذه الحقيقة التاريخية ،  
وهى محاورة جرت فى ميدان القتال بين ضابط بريطانى وزميله الضابط  
الأفريقى :

الضابط البريطانى : الموت لهتلر . . ليستقط هذا الدكتور .  
الضابط الأفريقى : وما الائم الذى ارتكبه هتلر حتى تطلب له الموت ؟  
الضابط البريطانى : انه يريد أن يحكم العالم كله ، بما فيه بلادك  
وبلادى !

الضابط الأفريقى : وما هو وجه الغرابة فى ذلك ؟  
الضابط البريطانى : انه ليس من العدل يا صديقى أن تفرض دولة  
سيطرتها على دولة أخرى ، فان كل دولة يجب  
أن تحكم نفسها بنفسها ، لأن الدولة التى تقبل  
هذه السيطرة لا تستحق الحرية والحياة ،  
والكرامة ! (١) .

وهكذا سمع الأفريقى أن العدل يقضى بأن الألمانى يحكم ألمانيا ، وأن  
الإيطالى يحكم إيطاليا ، وأن الانجليزى أو الفرنسى أو الأمريكى أو البلجيكى  
وغيرهم يجب أن يحكم كل منهم بلاده وحدها .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عاد الجندى الأفريقى إلى  
بلاده بهذه الأفكار الجديدة ، وبدأ يمارسها ، ويطبقها . لماذا يحكمه  
الأوربيون ؟ يجب أن يرحلوا وأن تستقل أفريقية . ولذلك قامت الحركات  
الوطنية العنيفة فى معظم أجزاء أفريقية بهذه الروح التى غذتها زعامات  
وطنية وعت تاريخ بلاده ، وأمجادها .

ومما زاد نمو هذه اليقظة استقلال دول عديدة فى انحاء مختلفة  
من العالم . . ففى سنة ١٩٤٦ حصلت الفلبين على استقلالها من  
الولايات المتحدة . كما استقلت الهند وباكستان عام ١٩٤٧ ، وبورما ،  
وسيلان سنة ١٩٤٨ . وفى الشرق العربى استقلت لبنان وسوريا . وفى  
سنة ١٩٥٠ استقلت أندونيسيا . وقال الدكتور نكروما عام ١٩٤٩ :

(١) القومية الأفريقية . ندا باننجى سيتهول . ترجمة عبد الواحد إبراهيم  
الأمببى . ص ١١ .



دافعا قويا للدول الأفريقية الأخرى الى ان تكافح ، وتتوزع استقلالها بالعرق ، والدموع والدماء ! .

وفي جنوب أفريقية - التي قرر الحزب الوطنى الحاكم فيها انه يصر على سيطرة البيض على السود - ظهرت روح جديدة تهدف الى المطالبة بالحرية واستقلال الشعوب المغلوبة على أمرها . وفي يوليو عام ١٩٥٥ اجتمع مؤتمر من الشعب ، ضم حوالى ٣٠٠٠ شخص ، وأصدر وثيقة الحرية التالية :

« نحن شعب جنوب أفريقية نعلن للشعب الأفريقى كله ، وللعالم أجمع أن جنوب أفريقية وطن لكل من يعيش فيه . وليست هناك حكومة تستطيع أن تدعى لنفسها الحق فى السلطة دون أن تعتمد على ارادة الشعب . أن شعبنا قد حرم من حقه الطبيعى فى بلاده . كما حرم من الحرية ، والأمان بواسطة حكومة قامت على الظلم وعدم احترام مبدأ المساواة . وسيظل شعبنا محروما من تحقيق أى تقدم أو نجاح أو حرية حتى يستطيع أن يعيش فى أخوة يتمتع فى ظلها بحقه فى المساواة وتكافؤ الفرص . أن الدولة الديمقراطية ، التى تقوم على أساس من ارادة كل الشعوب ، هى التى تستطيع أن تضمن للجميع حقهم فى بلادهم دون تمييز بسبب اللون ، أو العنصر أو الجنس أو العقيدة . ولذا فائنا نحن شعب جنوب أفريقية نوافق على وثيقة الحرية هذه ، ولقد تعهدنا أن تكافح دون أن ندخر وسعا من جهد أو شجاعة حتى نحقق مجتمعنا ديمقراطيا سليما » .

وقال المؤرخ الأمريكى الزنجى جورج جى :

« أن الحرب العالمية الأخيرة ، لم تعلم الشعوب المحتلة روح الاستقلال ، لأن هذه الروح كانت موجودة فعلا . فقد أحست هذه الشعوب منذ زمن طويل بظلم التبعية المريعة ، والتمييز الشائن . ولكن لم تكن لديهم وسائل الاعلان عما يحسون به ويعيشون فيه ، الى أن جاءت هذه الحرب فأبرزت تلك الصورة القاتمة بشكل أكثر وضوحا وعنفا وشدة ، ومنحتهم فرصة التعبير ، وأعطتهم وسيلة هذا التعبير .

« لقد حطمت الحرب الحواجز العالية التى كانت تستتر خلفها السيطرة الأوربية . كما كانت هذه الحرب جهازا فعالا عجل بالقضاء على

السيطرة النازية الدولية . وكان لها في نفس الوقت أثر كبير في دق ناقوس الموت للسيطرة الأوروبية « (١) .

\* \* \*

والآن ، يجب أن نسأل : ما هى العلاقة بين السياسة العنصرية وبين ظهور القومية الأفريقية أخيراً ؟ .

وإن الأجابة على هذا السؤال تكاد تكون معادلة رياضية :

١ - إن السياسة العنصرية خلقت طائفتين في أفريقية : طائفة كانت تملك الأرض منذ قديم الزمن بما تحويه من أمجاد ، وذكرات ، وثورات ، وتقاليد . وأخرى وافدة تريد أن تنتزع من يدها هذا كله بالحيلة والغش والخديعة ... ثم بالحديد والنار .

٢ - سيطرة الوافدين الفاسيين على الأرض وكنوزها ... وأصحابها ... وطردهم لأصحابها ، وتسخيرهم ، وبيعهم في سوق النخاسة . كل ذلك جعل الأولين حاكمين مالكين لكل شيء ... والآخرين محكومين لا يملكون شيئاً .

٣ - أن المظلوم لا يسكت على الضيم وإن بدا أنه مستسلم للظلم ، راضى بالواقع . فهو يجترأ اسمه في الخفاء ، ويميل على التخلص والانتقام في الظلام ... إلى أن يحين موعد الفجر !

٤ - إن الحاكم الظالم لا يغفل عن فريسته أيضاً ... وإن بدا أنه غارق في السلطة والترف ، والنعيم ... فله خبرته ، وأساليبه ، وإدارته ، وأسلحته المادية والمعنوية .

٥ - ومن الصراع يتولد الاحتكاك ... ومن الاحتكاك تتولد الشرارات الأولى التى تندلع ثم تخبو ... ثم تندلع مرة أخرى لأن النفوس لا تقبل كما تقدم الاستسلام للظلم ، والمهانة ولو دفعت حياتها ثمناً للحرية ، والكرامة . وخاصة إذا كان لها تاريخ يذكى روحها ، وزعامات تبصرها ، وتهديها ، وتوجهها وتدافع عن حقوقها المهضومة ، وكرامتها المهددة .

---

(١) المصدر السابق . ص ٢٢ .





على قيادتها لتتمكن البرتغال من استعمالها ضد الثوار الأفريقيين في مستعمراتها .

ولانزال فذكر هدية « صفقة الأسلحة » التي منحتها ألمانيا الغربية سرا لاسرائيل ، مساهمة في حربها ضد العرب .

تلك الهدية التي فضحها الرئيس جمال عبد الناصر اذ أدت الى قرار شبه اجماعى من الدول العربية بقطع علاقاتها مع ألمانيا الغربية . ولايزال الموقف كما هو حتى الآن رغم كل الجهود التي تبذلها ألمانيا لإعادة تلك العلاقات ، ولا تزال آثارها البعيدة تشكل الكثير من الحوادث في العالم العربى والعالم الغربى .

ويحصل المستعمرون البرتغاليون على مساعدات عسكرية وسياسية قوية ايضا من حكومة فرانكو في اسبانيا . وبمقتضى الاتفاق السرى المفقود في « مدريد » في يناير سنة ١٩٦٢ بين اسبانيا والبرتغال تمهد الطرفان بالعمل معا ضد « اية أعمال هدامة » سواء اكان ذلك في القارة الاوربية او في « مقاطعات ما وراء البحار » التي يملكها الطرفان المتعاقدان !

وقد تكون اتحاد استعماري عنصرى بين حكومات جنوب افريقية ، والمستوطنين البيض في روديسيا الجنوبية ، والادارة البرتغالية في المستعمرات الافريقية . وقد انشئ هذا الاتحاد بواسطة الولايات المتحدة ، وبريطانيا بقصد انقاذ المستعمرات الافريقية من « القومية السوداء » كما يسمونها ! ..

ويتلقى سالازار - بموجب هذا الاتفاق - مساعدات سخية من « فيرفورد » رئيس حكومة جنوب افريقية ، اذ تقوم سلطات جنوب افريقية بتوريد الطعام والسلاح الى وحدات الجيش البرتغالى الذى يحارب الثوار في أنجولا وموزمبيق .

وتقوم الوحدات البرتغالية ، ووحدات من جنوب افريقية ، وروديسيا الجنوبية بالتدريبات العسكرية المشتركة .

ويهدف الاستعماريون من وراء كل هذه الاتفاقيات ، والمساعدات ، الى حماية الأرباح الطائلة التى يجنونها من أسواق تلك المستعمرات ، أو البلاد المتحررة حديثا ولا تزال تمارس فيها وصمة التفرقة العنصرية . ففي أنجولا وحدها أكثر من مائة مؤسسة أمريكية . فضلا عن ان كثيرا



من الشركات البرتغالية في المستعمرات تدار في الواقع بواسطة راسمايين أمريكيين وفرنسيين وبريطانيين وألمانيين .

كما أن الاحتكارات الأمريكية تسيطر على صناعة البترول في أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية . كما اشترك رأس المال الأمريكي ورأس المال البريطاني في تأسيس الشركة التي احتكرت مناجم الماس في أنجولا . ويمتد نفوذ تلك الشركة إلى ٩٠٪ من أراضي أنجولا .

ويستحوذ رأس المال البريطاني على شركة السكة الحديد التي تسيطر على الخط الحديدي بين روديسيا وموزمبيق . وتملك « شركة جنسوب أفريقية البريطانية » غالبية أسهم شركة موزمبيق التي تدير الصناعات الأساسية في كثير من المستعمرات والأقاليم الأفريقية .

ويستثمر رأس المال الفرنسي في « شركة زامبيزي » التي تمتلك مزارع ضخمة للنخيل والشاي والقطن في موزمبيق .

كما أن لها مصالح تجارية عديدة في أنجولا وغينيا . وتمتلك شركة « بورو » أكبر مزارع جوز هند في العالم .

ويتسلل رأس المال الألماني أيضا إلى المستعمرات والأقاليم الأفريقية، وتحتل مركز القيادة فيه مؤسسة « كروب » . وتقوم الاحتكارات الألمانية بحفر المناجم وبناء الطرق في أنجولا . ونصف الحديد المستخرج في تلك المنطقة يشحن إلى ألمانيا الغربية .

ولحلف الأطلسي مصالح عسكرية في المستعمرات الأفريقية حيث أقيمت قواعد ضخمة لاختبارات القذائف بعيدة المدى ، وتعزيز الجبهة الجنوبية للحلفاء .

ويمكن تقسيم المصالح الاستعمارية في أفريقية إلى ثلاث :

- ١ - مصالح اقتصادية
- ٢ - مصالح عسكرية
- ٣ - مصالح عنصرية

\* \* \*

من أجل هذه الحقائق جميعا اشتملت حروب التحرير ضد أصحاب « نظرية التمييز العنصري » في كل المستعمرات الأفريقية . ومنها ما نال





الفلاحين والعمال المضطهدين في مزارع البن ، وأخذوا يشنون الهجمات المنظمة على تلك المزارع الخصبة الى انتزاعها منهم البيض من قبل .  
وقد زعم سالازار أن حرب العصابات في أنجولا تساندها وتديرها جهات خارجية ، منها الشيوعية العالمية . ولكن الحقيقة أن هذه العصابات ، حتى العناصر الخارجية منها تتألف من أفريقيين أنجوليين بعضهم من الجماعات التي هربت قبل الثورة من الاضطهاد .

ويعتبر « اتحاد شعب أنجولا » أكبر التكتلات المعارضة للبرتغال في المستعمرة . وقد بدىء في انشائه عام ١٩٥٤ . وهو يضم حوالى ٥٠ ألفا من الأعضاء ، ويصدر صحيفة باربع لفات ، ولا تتحكم فيه النزعات القبلية رغم أنه يتألف من عدة قبائل لأنه يرى نفسه ، قبل كل شيء ، حزبا يعمل على تحرير أنجولا كلها . وقد ناشد الدول الأفريقية كلها أن تمد أنجولا بالعون ، والمساعدة حتى تطرح عن كاهلها الطفيان الذى طال أمده . وقد أصدر بيانا جاء فيه :

« أن أنجولا سوف تبني دولة تدير شئون نفسها بنفسها ، وسوف تشكل حكومة ديموقراطية مسئولة وخاصة بها ، لادارة الشئون العامة من اقتصاد وتعليم وصحة ورفع مستوى المعيشة ، ومنع تدخل الأجنبي ، وسوف تبرز أنجولا على المسرح الدولي لتشارك في شئون العالم ، وفي بناء أفريقية المتحدة تحقيقا للقوازمات التى اتخذتها مؤتمرات الشعوب الأفريقية في أكرا وتونس » (١) .

وهناك أيضا « الحركة الوطنية لتحرير أنجولا » وهى وإن كانت أقل عددا ، إلا أنها أكثر فاعلية في إرهاب المستعمرين ، إذ استطاعت قواتها الفدائية في منطقة « كابندا » أن تحصر مساحة كبيرة من أرض الوطن .

وفي أكتوبر ١٩٦٤ دارت المعارك بين البرتغاليين وقوات العصابات بجوار منطقة « بوكوازو » فقد البرتغاليون في هذه المعركة وحدها ثمانين قتيلًا من بينهم عشرة ضباط ، ودمرت خمس عشرة سيارة نقل ، وتم الاستيلاء على كمية كبيرة من الذخيرة والعتاد .

وهذه المنظمة أيضا لا تستند الى أسس قبلية ، وقد ظل مقرها في « كوناكرى » عدة سنوات . ويعتبر رئيسها « ماريودى أندريد » ، الشاعر وخريج جامعة باريس ، هذه الحركة حزبا أفريقيا وطنيا صادقا .

---

(١) البرتغال في أفريقية . المصدر السابق . ص ١٩٥ .

وقد نص برنامجها الذى نشر عام ١٩٦٢ على ضرورة المساواة بين الجماعات البشرية المختلفة وحق الحكم الذاتى للأقليات الوطنية ، والغاء القواعد العسكرية ، وتحريم نظام العمل الجبرى ، ووضع حد أدنى للأجور . أما من الناحية الاقتصادية فقد طالبت المنظمة بتوزيع الأراضى المتسبعة على الفلاحين الأفريقيين ، وتحويل أنجولا الى بلد صناعى حديث . وقد انضم الى هذه الحركة « حزب الاستقلال الأفريقى فى غينيا » . كما دُعيت الى المشاركة فى جهودها الحركات المماثلة لها فى موزمبيق .

فاذا تحالفت كل هذه القوى ، وانضمت اليها كل المجموعات المناهضة لحكم سالازار فسوف تواجه حكومته معارضة تهز نظامها من أساسه ، وتقتلعه من جذوره . اذ أن مصير البرتغال فى أفريقية سيتحدد فى أنجولا . ولذلك تقدر حكومتها الدلالات السياسية والاستراتيجية لهذه الحرب . وبدا أنها قد عقدت العزم على أن تمضى فى عنادها ، ومقاومتها لهذه الثورة الوطنية بكل ما وسعها من قوة وجبروت فأقال سالازار وزير دفاعه ، وتولى القيادة بنفسه ، وطار آلاف من جنود المظلات الى أنجولا ، وتبعهم جنود البحرية . هذا بالإضافة الى عصابات البيض فى داخل المستعمرة . وكان لجهود هذه العصابات أثرها فى زيادة التوتر العنصرى فى أنجولا . وتنتظر الحكومة البرتغالية الى هذه الحرب على أنها حرب إبادة للأفريقيين ، ولا شئ سوى ذلك . ولذا فهى لا تكبح جماح أولئك البيض المناهضين للوطنيين ، كما أمطرت القرى بالقنابل ، وسوت القرى بالأرض ، وأعدمت الذكور وشنت شمل النساء والأطفال فهاموا على وجوههم فى الغابات .

ولا تخجل الحكومة من أن تفعل أى شئ . . بل أن صحفها تملأ أعمدتها بالبيانات الحربية المفعمة بالزهو والخيلاء ، والتي تعلن عديد الآلاف الذين أبادتهم من « الحيوانات السود » . والحرب المسعورة التى يشنها سالازار فى أنجولا تثير الاضطراب فى الجيش البرتغالى . فاعداد متزايدة من الجنود والضباط يهجرون صفوفه ، وينضمون الى العصابات (١) .

وهناك عامل آخر سيكون ذا أهمية لدى الثوار الأنجليين تماماً كالسلاح ، هو الرأى العام العالمى الذى تحول تماماً ضد البرتغال . فقد

(١) الاستعمار البرتغالى فى أفريقية . المصدر السابق . ص ٢٨ .







### الثورة في جنوب افريقية :

تؤكد كل الحوادث والظروف أن كيانا ثوريا جديدا يتشكل في جمهورية جنوب افريقية رغم العنف ، والاضطهاد ، والتحدى ... المثل في التمييز العنصري بجميع ألوانه ، وأساليبه .

وان هذه المقاومة لسياسة التمييز العنصري التي تشكل تعبيرا عن قوى جديدة ، وثرورية في هذه المنطقة المفلقة ، المظلمة ... تضيفرصيدا جديدا لثورة افريقية كلها ، وصحوتها من سباتها .

والدراسات الحديثة التي خرجت سرا من الستار الحديدي في جنوب افريقية لتتداول الآن في امريكا واوروبا في سلسلة كتب ،



تحدث عن كل أشكال المقاومة ، وأساليب الثورة على الوضع اللااخلاقي والالانسانى المفروض على السود .. أصحاب البلاد الأصليين (١) .

وتشير الدراسات المشار إليها الى أن المثقفين الأفريقيين هم الذين يكونون الاطار الثورى ، وهم عماد الأحزاب السياسية ، ويتعاون معهم اليساريون من الأقلية الأوروبية ، وفئات من الأقلية الآسيوية والمولوين . ولكن العنقل الحكومى ، والبطش الشديد ، والقوانين العنصرية المتتالية منذ عام ١٩٤٨ ، حين سيطر الحزب الوطنى على أداة الحكم ، قد قضت تقريبا على هذا الاطار الثورى ، وطاردت احتمالات تنظيم العمل الثورى .

وقد أدى هذا الى تكوين الجمعيات السرية التابعة لحزب « الجامعة الأفريقية » وحزب « المؤتمر الوطنى الأفريقى » مع جمعيات بسارية أخرى . كما نقل المثقفون الأفريقيون الثائرون نشاطهم من المدينة والمناطق الحضرية الى المعازل القبلية ، وبالذات « الترانسكاى » حيث تحشد الحكومة الأفريقيين تحت زعامات قبلية رجعية أو متعاونة مع الحكومة . ومعنى هذا ببساطة ووضوح أن الفلاحين أصبحوا عماد الثورة الجديدة ووقودها فى نفس الوقت بعد أن كانت الثورة تعتمد على الموظفين ، وعمال المناجم والمصانع . وهذا التغير فى التكتيك الثورى ليس يسيرا من الناحية النظرية والناحية العملية معا ، فلم يسبق له وجود فى أى تجربة ثورية . والسبب هنا هو سياسة المعازل ، وبطش الحكومة ، ورقابتها ، وزعماء القبائل المفروضون باسم القانون ، وتصاريح المرور التى يحتم القانون على كل أفريقى أن يحملها .

وقد ثار التساؤل : هل تنظيم الفلاحين ودفعهم للعمل الثورى فى مثل هذه الظروف السيئة ، الشديدة القسوة ، والتى لم يسبق لها مثيل فى العالم ، سيتم على أساس فلسفة الثورة الوطنية العامة أى المساواة ، وحق الأغلبية فى الانتخابات ... الى آخر هذه الشعارات والمطالب المعروفة ؟ أم سيحدث تغير جذرى فى هذه الفلسفة ، وتظهر شعارات ومطالب أخرى تعبر عن القوى الجديدة القائمة بالثورة ..

أى الفلاحين ؟

---

(١) مقال : « ثورة الفلاحين السود فى جنوب افريقية » د . عبد الملك عوده .

مجلة الكاتب . عدد يناير ١٩٦٥ . ص ٧١ وما بعدها .





فقط من البحر يوجد ذلك الرجل الذى ساروا عندما امرهم بذلك من بعيد ففى جزيرة « روبين » يقيم « بوبرت سوبوكوى » زعيم جماعة الـ PAC ، المحظورة الآن ، معتقلا « الى ما شاء الله » على حد قول وزير العدل « جوهانس فورستر » . وجريمة هذا الأستاذ الجامعى كما اعترف فورستر نفسه أن شعاره « أفريقية للأفريقيين » وقد انضم اليه مؤخرا فى الجزيرة زعماء ثلاثة من « المؤتمر الأفريقى » المعارض لحزبه . وقد أرسلوا الى هناك لقضاء أحكام السجن المؤبد التى صدرت فى حقهم فى يونيو ١٩٦٤ فى محاكمات صورية بتهمة تخريب فى اححدى مدن مقاطعة بريتوريا .

واقدر كان للكنيسة فى جنوب أفريقية دور بارز فى مقاومة السياسة العنصرية التى تتبعها حكومتها .

ففى عام ١٩٥٧ أعطى وزير الشؤون الوطنية بموجب الفقرة (٢٩ج) سلطة الأمر بان لا يخرج أى أفريقى فى مدينة عن نطاق محل اقامته وأدى هذا الى منع الأفريقيين من ارتياد دور العبادة التى تمودوا عليها ، والواقعة خارج محال اقامتهم .

وقد دعا رئيس اساقفة مدينة الكاب ، الدكتور جودقرى كلايتون (١) أربعة من اساقفة الكنيسة لكى يبحث معهم هذا الأمر . وفى النهاية وجه (٢) الاسقف « امبروز ريفرز » من كنيسة جوهانسبرج ، خطابا الى رئيس الوزراء بأسم الاساقفة جميعا يشرح له فيه تعارض هذا الأمر الوزارى مع تعاليم الدين المسيحى ، ويؤكد أنه يمس حرية العبادة ولا يقتصر اثره على الشؤون المدنية وحدها نظرا لأن الكنائس جميعها تقريبا قائمة فى خارج المعازل الوطنية .

ولاهمية هذا الخطاب نأقل منه الفقرات التالية :

- ١ - « ان دستور كنيسة جنوب أفريقية يضع فى حسابه حكومة المجتمع المقدس للكنيسة . ففى مثل هذه الجامع يمثل الاساقفة والقساوسة دون تفريق بين عنصر أو لون .
- ٢ - « اننا ندرك خطورة عصيان القانون ، ونعتقد أن اطاعة السلطة المدنية حتى فى الأمور التى يختلف فيها رأى امر يفرضه الله علينا . ولكننا أمرنا كذلك أن نعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

(١) جنوب أفريقية أمس وفدا . امبروز ريفرز . ترجمة مرقس صليب من ١٤٥ .

(٢) مؤلف الكتاب المشار اليه فى البند السابق .

فهناك اذن أمور لله وليست لقصر ، ومن بينها الأمور التي تعالجها الفقرة ٢٩ (ج) . وبما أن هذا هو اعتقادنا فأنا مضطرون أن نقدر أنه اذا أصبح هذا الأمر قانونا فسوف لا يكون في مقدورنا طاعته ، أو أن ننصح الكهنة والشعب بهذه الطاعة . ولذا نلجأ اليك يا سيدى ألا تضعنا في موقف نختار فيه بين طاعة ضمائرنا وطاعة قانون البلاد » .

كما أن الأسقف « أمبروز ريفرز » وضع كتابا عن جنوب أفريقية . . « أمس وغدا » بعد نفيه من البلاد بسبب موقفه هذا ، عالج فيه هذه المشكلة بقوة وصراحة ، نقبس منه الفقرات التالية :

١ - اننى لم أفصح التفرقة العنصرية أبدا لأنها غير لائقة من الناحية السياسية ، وكارثة من الناحية الاجتماعية ، ولكن من تجارب عدة سنوات وصلت الى النتيجة المحتملة ، وهى أن التفرقة العنصرية فى ذاتها شر . وكزعيم مسيحي لم أجد أمامى من سبيل سوى أن أفصح زيف النظرية وأن أبين الظلم الصارخ ، والالام المفضة التى تسود جنوب أفريقية سواء أكانت هناك ضرورة أم لم تكن .

٢ - « أن التفرقة العنصرية فى ملتي ويقينى تعتبر أكثر من اهانة للإنسانية . انها تجعل من فداء المسيح لغوا وهذا هو الحكم النهائى على التفرقة العنصرية كما أراها كاسقف .

٣ - « بدأ البعض يربط التفرقة العنصرية والمسيحية . والذى يدعو الى هذا الاعتقاد أن فى البلد حكومة تدعى أنها حكومة مسيحية ، وكانت تقول فى أكثر من مناسبة ان قراراتها من ارادة الله . وأنتك لتجد فى الحقيقة - كما لاحظ المجلس العالمى الكنائسى فى جوهانسبرج فى ديسمبر ١٩٦٠ - أنه يوجد أحياء للمعادن الوثنية القبلية فى كثير من البقاع لا يتفق مع المعتقدات المسيحية .

٤ - « يجب أن يتذكر رجال الكنيسة بصفة خاصة شهادة الانجيل عن الأمور العنصرية . ولو أن كتاب الانجيل لم يكونوا يعرفون شيئا عن التفرقة العنصرية فقد كان لديهم الكثير من التجارب عن التفرقة فى أبغض أشكالها . كانوا يعيشون فى عصر ، وبين شعب كان يضع تمييزا حادا بين اليهودى والوثنى .





وفي سنة ١٩٥٣ أعلنت الحكومة حل ( اتحاد كينيا الافريقى ) وحكم على كنياتا بالسجن . وخلفه « توم مابويا » الذى قبض عليه ، وسجن هو الآخر .

وقد شبت جريدة « المانشستر جارديان » البريطانية في ذلك الوقت ضرب قبائل الكيوكويو بالقنابل بضرب موسولينى للحبشة . وقد بلغ عدد القتلى من الافريقيين من اول يناير الى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٣ وحدها حوالى ٢٨٢٢ ، والاسرى ٩٨٠ . وقد لاحظ مجلس العموم البريطانى زيادة نسبة القتلى عن الاسرى مما يدل على أن الفرض هو الانتقام وليس اخماد الثورة . ولا يعرف العدد الكلى من القتلى في حرب العصابات التى كان شعارها وقسمها « لن تلقى السلاح حتى نسترد ارضنا من الرجل الابيض » وان قدرهم البعض بنحو ربع مليون على الأقل (١) .

وفي محاضرة القاها « مايكل بلندل » في لندن في اوائل عام ١٩٥٥ أشار الى تعاون القرى الآمنة مع الثوار فقال :

« هناك جناح متطرف من الماو - ماو يعمل في الغابات ، وجناح سلبى في المعازل . والاثنان مرتبطان معا ارتباطا وثيقا . فكل عصاية من الثوار تركز على مجموعة من المستعمرين . وقد اظهر الجناح السلبى مثابة نادرة ، وصبرا مرا على متابعة أهدافه » (٢) .

وكانت قوات الحكومة تأتى الى القرية لتسال عن أفرادها . فإذا كشفت أمر غائب أو مجموعة من الغائبين اعطت القرية كلها مهلة ٢٤ ساعة تقوم بعدها بمصادرة المواشى ودواب الركوب ، وطرد السكان ، أو نفيهم الى المعتقلات ، ودك القرية كلها بالقنابل . وعم البلاء أرض الكيوكوي ، واشتدت آلامهم حتى انتحر فريق منهم ممن تقدمت بهم السن تحت وطأة الحزن والضيق ، وانتشار الاوبئة .

وعلق « جورج بادامور » سنة ١٩٥٦ على العمليات العسكرية ضد الماو - ماو فقال « كانت هذه الحرب الاستعمارية القدرة تكلف الحكومة البريطانية نحو مليون جنيه كل شهر » .

يقول جنتر :

---

(١) التفرقة المنصرية في افريقية المصدر السابق . ص ٢١٠ .

(٢) قضية كينيا . د . عبد العزيز كامل . المصدر السابق . ص ١١ .



« لم أر قوما يستهويهم السلاح كما يستهوى أهل كينيا (من البيض) .  
فقد اكتشفت في أول مادية عشاء لنا في نيروبي أن السيدات العريقات  
اللاتي يرتدين ملابس السهرة الشفافة يحتفظن بالمسدسات في حقائبهن  
الرقيقة ، ذات الخيوط الذهبية » (١) .

وقد نادى بعض غلاة البيض بتقسيم كينيا على أن يستأثروا هم  
بالمرتفعات ، وتخصص للأفريقيين والأسويين مناطق أخرى . وقد وصل  
الأمر ببعض المتطرفين الى مناقشة الصلة التي تربط كينيا ببريطانيا .  
ولكن الأحداث قد تطورت بعد ذلك بسرعة مذهلة . ففي خلال  
عام ١٩٦٠ تكونت أحزاب جديدة لتخوض المعركة الانتخابية في فبراير ١٩٦١  
ففاز حزب كينياتا الذي كان مسجوناً ، فافرج عنه وشكل أول حكومة  
وطنية في ديسمبر ١٩٦٢ ، وانضمت كينيا بعد ذلك الى الكومنولث  
البريطاني .

#### الثورة في نياسالاند (مالاوي) :

منذ عام ١٩٣٩ أهرب شعب نياسالاند عن رفضه لفكرة اتحاد وسط  
افريقية . وعندما أعلن ، وبالرغم من ذلك ، قيام الاتحاد سنة ١٩٥٣ ،  
أصر الشعب على رفضه ، مؤكداً أنه اتحاد لا يقصد به سوى إيجاد حل  
للمشكلات السياسية والاقتصادية التي تكتنف مستقبل روديسيا  
الجنوبية ، وتثبيت وزيادة النفوذ الأوروبي الاستعماري . وقد صدق  
حدس الشعب ، إذ استنتج قيام الاتحاد مضاعفة نسبة الموظفين  
الأوروبيين وانتشار سياسة التمييز العنصري ، وميلاً عاماً الى المبادئ  
التي يؤمن بها البيض في اتحاد جنوب أفريقية .

لذلك لم يكن بد من نمو روح السخط . واجتمعت كلمة الشباب  
النشأ مع حركة الشيوخ المجريين ، وحظي « حزب المؤتمر الوطني  
الافريقي » في نياسالاند بتأييد الجميع ، وطالب المؤتمر بقسم عري  
الاتحاد الزائف ، والمطالبة باستقلال نياسالاند ، وحق شعبها المطلق في  
تقرير مصيره .

وقع الاستعمار في حيرة فهو من ناحية لا يريد اضعاف حكومة  
الاتحاد المسوخ الذي اصطنعه ، ويخشى ان تنفذ روديسيا الجنوبية  
تهديدها الدائم بالانخراط في جمهورية جنوب افريقية ، كما أنه من ناحية

(١) داخل افريقية ، المصدر السابق . جزء ثان . ص ١٩٧ .





وكان من أسباب المقاومة أيضا ما ذكرته « لجنة التحقيق » التي أوفدها البرلمان الفرنسي بعد ثلاث سنوات من هذه الثورة :

« لقد جمعنا في الدومين املاك المؤسسات الدينية ، وصايرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها . وبدأنا باستعمال سلطتنا بفرض غرامة قدرها ١٠٠.٠٠٠ فرنك « كقرض اجباري » وذهبنا أحيانا الى حد اننا أجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم بيوتهم ، بل نفقات هدم أحد المساجد . وأجرنا ممتلكات الدومين للغير . وانتهكنا دون خجل بيوت الله ، والمقابر ، والدور كلها ذات حرمة لدى المسلمين . وقتلنا رجلا يحملون منا ورقة الأمان . وذهبنا سكان قرى عن آخرهم لمجرد الشك فيهم ، ثم تبينت براءتهم بعد ذلك . وحاكمنا رجلا عرفوا بالتقوى في البلاد لأنه كانت لديهم الشجاعة الكافية لمقابلتنا والتعرض لفضبنا ، لا لشيء سوى السعى لآخوان لهم بالنسين . وقام قضاة منا بمحاكمتهم . وارتكب رجال متمدينون منا جريمة اعدامهم ، حتى لقد فقمنا في البربرية هؤلاء الذين جئنا لتمدينهم » (١) .

وارتبطت تطورات الحركة التحررية في الجزائر بتطورات الحركة الديمقراطية والاشتراكية في فرنسا . والموقف الداخلي في فرنسا ينعكس على الموقف في الجزائر ، كما يتأثر الموقفان معا بالأحداث الدولية .

وفيما قبل الحرب العالمية الأولى ، وبعد ان تآزم الموقف الدولي ، فرضت فرنسا التجنيد الاجباري على الجزائريين فطالب الشعب بتعديل نظام الضرائب ، وفرض المساواة بين الجزائريين والمستوطنين الاوروبيين ، وغير ذلك من الاصلاحات ، ولكن فرنسا سدت آذانها عن كل هذه المطالب العادلة ، وانتشرت الحركة الوطنية التحررية ، وفر المجندون الجزائريون الى الجبال ، واندلعت المظاهرات في أنحاء البلاد .

وما كادت الحرب العالمية الأولى تضع أوزارها حتى كون الأمير خالد، حفيد الأمير عبد القادر ، أول هيئة للنواب المسلمين في المجالس الجزائرية ، ومن بين أهدافها مساواة الجزائريين بالمستوطنين الفرنسيين ، ووقف الهجرة الأجنبية الى الجزائر .

وفي سنة ١٩٥٢ تبلورت الحركة التحررية في ثلاثة اتجاهات :

---

(١) ميلاد افريقيا . محمود الشرقاوي . ص ٧٦ .

- ١ - الاتجاه الكفاحي الذي يعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين .
- ٢ - الاتجاه الاصلاحى الذى يستند الى الملاك والبورجوازية .
- ٣ - الاتجاه المعتدل الذى تدبى به جمعية العلماء ، وتوسط به الاتجاهين .
- وقد بدأ الاتجاه الكفاحى فى فرنسا بسبب وجود عدد كبير من العمال الجزائريين المهاجرين ، وهم يرتبطون بالحركة العمالية فى فرنسا ، ويؤمنون بأفكارها الثورية . ولهذا نشأت فى ظل الحزب الشيوعى الفرنسى « جمعية نجم شمال افريقية » التى انشأها الحاج على عبد القادر ، ثم تولى زعامتها « مصالى الحاج » واستقل بشئونها عن الحزب الشيوعى الفرنسى ، غير انه ظل مع ذلك وثيق الصلة به . ولقد أنكر الحزب الشيوعى الفرنسى الحركة التحررية فى الجزائر فى بادى الأمر ، ثم عاد وعدل عن رأيه ، ونادى بوجوب تكوين جبهة ثورية مع العرب تكافح من أجل الاستقلال ، وتوجد بين الأقلية الأوروبية والأغلبية المسلمة (١) .
- وفى سنة ١٩٣٨ عقد اجتماع ضم جميع الهيئات السياسية ، وكان هدفه الحصول على تأييد شعبي للمشروع الذى تقدمت به الحكومة الفرنسية للاندماج مع فرنسا ، والذي عرف بمشروع « بلوم - فيوليت » ، وهو يقضى بتقسيم أهل الجزائر الى طائفتين : احدهما تنتسب الى فرنسا ، وتحمل جنسيتها ، والثانية مذبذبة لم تبلغ بعد - فى نظر الفرنسيين - مرتبة الشرف لتحظى بهذه الرعاية (٢) .
- وقد قام على أثر هذه الحركة الخائنة « حزب الشعب الجزائرى » واتخذ لنفسه شعارا « الجزائر بلادنا ، والعربية لغتنا ، والاسلام ديننا » وقد تحددت أهداف الحزب بالاستقلال التام ، والسيادة الكاملة .

\* \* \*

وفى أول نوفمبر ١٩٥٤ اندلعت نيران ثورة جديدة هائلة فى الجزائر . وتكونت « جبهة التحرير الجزائرى » و « جيش التحرير الوطنى » على أساس عضوية كل جزائرى يرتبط بمبادئ الجبهة بصرف النظر عن مبادئه السابقة .

ومبادئ الجبهة يتضمن استقلال الدولة الجزائرية لتكون ذات سيادة ونظام ديمقراطى اشتراكى ، واحترام الحريات الأساسية دون تمييز بسبب الدين أو الجنس .

(١) المصدر السابق . ص ٧٦ .

(٢) المصدر السابق . ص ٨٢ .





وحين خيل لفرنسا انها قادرة على تصفية ثورة الجزائر اذا قطعت عنها مساعدة الحكومة المصرية لم تتورع عن القيام بعمل حربي شاذ ضد مصر بالتواطؤ من انجلترا واسرائيل ، على اثر اعلانها بأنها صادرت الباخرة ( اتوس ) المصرية المحملة بالذخائر المصرية وهى فى طريقها الى الجزائر . وكانت فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ قدمت الى مجلس الأمن شكوى ضد مصر . وقد قام العدوان الثلاثى القادر فى نوفمبر ١٩٥٦ . ولا شك ان هذا العدوان كان وثيق الصلة بقضية الجزائر .

ومضابط الجمعية الوطنية الفرنسية تسجل ذلك بوضوح . وفى جلسة ٧ نوفمبر ١٩٥٦ قال النائب الفرنسى « مارسيل بوديه Marcel Boudier » - « ان الحكومة كانت تأمل من القضاء على مصر تسهيل مهمتها فى القضاء على الثورة فى الجزائر » وفى جلسة ١٩ ديسمبر ١٩٥٦ التى كانت مخصصة لمناقشة اشتراك فرنسا فى هذه الحملة الطائشة صرح « جى موليه » رئيس الوزراء اذ ذاك قائلا « ان أسباب تدخلنا كانت جوهرية لأن العلاقة واضحة بين قضية الجزائر ومصر » .

وقالت مجلة تايم الامريكية « لعبت فرنسا فى هذه المؤامرة دور المعرض ، وقامت بريطانيا بدور الشريك المتأخر ، بينما استخدمت اسرائيل كاداة للتنفيذ » .

وبمجرد تشكيل الحكومة الجزائرية فى سبتمبر ١٩٥٨ كانت مصر اول دولة اعترفت بها .

وقد حدثت نقطة التحول فى تطور الثورة الجزائرية تطورا اشتراكيا فى مارس عام ١٩٦٣ عندما أصدرت الحكومة الجزائرية عددا من المراسيم التشريعية التى تخول الحكومة تسلم الأراضى والمشاريع التى هجرها المستوطنون الفرنسيون ، وتسليمها الى لجان « التيسير الذاتى » . وقد وصفت صحيفة « الثورة الجزائرية » هذه المراسيم بأنها « نقطة البداية فى طريق الثورة الاشتراكية » .

وكانت لجان التيسير الذاتى قد انبثقت تلقائيا من أوساط الشعب نفسه الذى علمته تجارب الثورة التحريرية القاسية دروس الوعى السياسى ، ومرسته على الفهم الكامل لمنطق الأحداث . ولم تمض بضعة اسابيع حتى كان الفلاحون والعمال الزراعيون ، الذين ألفوا فى الماضى نواة جيش التحرير الوطنى ، يتسلمون مايربو على مليون هكتار من



اجود الاراضى التى تخلى عنها اصحابها السابقون من المستوطنين  
الفرنسيين . وقد قررت لجان التيسير الذاتى هذه أن لا تقوم بتجزئة  
الاراضى التى تسلمتها ، بل أن تعمل فيها كمشاريع جماعية تتولى ادارتها  
لجان يختارها الفلاحون أنفسهم .

ولم تمض بضعة اشهر حتى كان مايربو على المليونين والسبعماية ألف  
فدان من خيرة الاراضى الزراعية ، التى كان المستوطنون الفرنسيون  
يفتصبونها ويستغلونها قد تحولت الى القطاع العام . وقررت الحكومة ،  
فى الوقت نفسه ، تطبيقا لخططها الاشتراكية ، تحديد ملكية ماتبقى من  
الارض بالنسبة الى الملاك الجزائريين . ولقد بات من المتوقع أن يشمل  
الاصلاح الزراعى ستة ملايين فدان .

ولم يقتصر عمل القطاع العام على المجال الزراعى بل تعداه الى سائر  
الميادين الأخرى . فسرعان ماعم التأميم معظم المشاريع الكبيرة كالمصانع  
والمحال التجارية والفنادق والمطاعم ودور السينما .

وبذلك تكون القيادة الجزائرية الثورية قد أدركت أن الحل الوحيد  
لمشاكل الجزائر الاقتصادية تتطلب أول ما تتطلب تحطيم البنيان  
الاقتصادى الاستعمارى السابق تحطيمها كاملا ، وانهاء ما تمنى منه  
الجماهير من فاقة وتخلف واستغلال .



## (١) مجموعة الوسائل السلمية :

- ١ - دعوة الدول الاستعمارية الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنح الاستقلال للشعوب والدول التابعة فى الحال .
- ب - دعوة الدول الكبرى الى الامتناع عن مساعدة الحكومات الاستعمارية .
- ج - ارسال وفد من وزراء الخارجية الى مجلس الأمن أثناء نظره فى موقف الأقاليم الواقعة تحت سيطرة البرتغال .

## (٢) مجموعة الوسائل القهرية :

- ١ - قطع العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين جميع الدول الأفريقية وبين حكومتى البرتغال وجنوب أفريقية .
  - ب - مقاطعة البرتغال وجنوب أفريقية مقاطعة اقتصادية تامة .
  - ج - توحيد الحركات التحررية المختلفة .
  - د - انشاء جيوش تحريرية ، وقوى من المتطوعين فى أقاليم الدول الأفريقية المستقلة لمؤازرة الحركات التحررية فى الأقاليم التابعة .
  - هـ - انشاء لجنة تنسيق لتنظيم العمل المباشر من أجل تحرير الأقاليم الأفريقية التابعة .
- وبالفعل قطعت علاقات الدول الأفريقية بجمهوريتى جنوب أفريقية والبرتغال . كما شنت الدول الأفريقية حملة قوية ضدتهما فى المنظمات الدولية بقصد طردهما منها .
- ومن هذا يتبين أن حركة مكافحة الاستعمار ، والتمييز العنصرى ، بعد أن كانت قبل سنة ١٩٦٣ ارتجالا وفرديا أصبحت فى ظل منظمة الوحدة الأفريقية اجراء مدروسا وجماعيا .
- وقد أظهرت الاوساط الرسمية الدولية اهتماما ملحوظا بهذا المؤتمر أثناء انعقاده .

ارسل نيكيتا خروشوف - الرئيس السابق لوزراء الاتحاد السوفيتى - بركة الى المؤتمر جاء فيها :

« إن انعقاد مؤتمر له هذه الأهمية هو نتيجة مقنعة لسير حركات التحرر القومى المجيد . هذا السير الذى يمحو من فوق سطح الأرض

بقايا النظام الاستعماري المشين ، ويفتح السبيل أمام الحرية والسلام  
والرقى للشعوب ..... »

وارسل كيندى - الرئيس السابق للولايات المتحدة - برقية الى  
المؤتمر جاء فيها :

« ... ان سير افريقية المتواصل نحو الاستقلال والوحدة والحرية  
- وهى مبادئ احترامها الشعب الأمريكى وناصرها منذ اليوم الاول من  
امتنا - يعتبر جزءا أساسيا من الكفاح التاريخى للانسان من أجل الكرامة  
الانسانية وتحقيق شخصيتها ... »

ومن البرقيات ذات المغزى تلك البرقية التى أرسلها « فرنسوا  
'دوفالبيه » ، رئيس جمهورية هايتى ، الجمهورية الزنجية الوحيدة فى  
القارة الأمريكية ، ويقول فيها :

« ان قلب الهايتى قلب الأفريقى انتزع من أمه الأولى ، وألقى وسط  
القارة الأمريكية ... » ويختتم برقيته بأقوى عبارات التضامن ، فيقول:  
« بين أفريقية وهايتى مصير مشترك . اذا كانت أفريقية أكثر قوة  
ورخاء ، واذا كان شعبها أكثر حرية وسعادة ، فسوف تصبح هايتى  
بدورها أكثر قوة ورخاء ، وسوف يصبح شعبها أكثر حرية وسعادة » .  
وقد علقت صحف أوروبية كبرى على هذا المؤتمر . فقالت مجلة  
الأكسبريس الفرنسية بعدها الصادر فى ١٩٦٣/٥/٣٠ :

« ان توكيد هذه القومية الأفريقية قد أخرج الى حيز الواقع أفعالا  
إيجابية تمثلت فى قرار حاسم على اعلان الحرب .. فقد تأسست القطيعة،  
ونشب الاشتباك سافرا بين الدول الأفريقية المستقلة الاثنى والثلاثين  
من جهة ، وبين حكومتى البرتغال واتحاد جنوب أفريقية من جهة أخرى » .  
وقالت مجلة الإيكونوميست البريطانية بعدها الصادر فى  
١٩٦٣/٦/١ :

« ... اذا كان الغرب يريد ان يكون له المقدرة على اقناع الأفريقيين  
بأن يتجنبوا سباق التسلح ، فعلينا أن نقوم بحملة لانهماء التفرقة  
المنصرية » .

وفى الخطبة التى القاها الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر قال :  
« ان جميع التقسيمات التقليدية التى حاول الاستعمار فرضها على  
القارة ، وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء . الى أفريقية

بيضاء وسوداء وسمراء ٠٠٠ الى أفريقية ناطقة بالفرنسية وأخرى بالانجليزية قد انهارت جميعها ، وجرفت الحقيقة الأفريقية الأصلية ٠٠٠ لم يبق على أرض أفريقية غير لغة واحدة هي لغة المصير المشترك مهما اختلفت أساليب المستعمر » .

وكتب « يوليوس نيريري » رئيس جمهورية تانزانيا مقالا في مجلة الالبرزفر في ١٢ مارس سنة ١٩٦١ ندد فيه بالتفرقة العنصرية في جنوب أفريقية ، ودعى الى اتخاذ موقف حاسم منها . وقد جاء بهذا المقال « ان سياسة التفرقة العنصرية التي تطبق الآن في اتحاد جنوب أفريقية تهدم الاعتقاد الراسخ في كرامة الانسان وهي اهانة بالغة دائمة لكرامتنا كأفريقيين . ولا يعقل أن ينتظر منا قبول هذا الوضع المشين ، والبقاء غير مكترئين بما يؤدي - بعنف - عواطفنا . ولكي ننجح في بناء مجتمع كريم في بلدنا يجب أن نجعل استنكار نظام جنوب أفريقية واضحا في كل فعل من الأفعال » .

١١ - وقد اتبعت نفس السياسة في مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد في القاهرة في يوليو ١٩٦٤ تجاه حكومات جنوب افريقية والبرتغال وروديسيا الجنوبية .

وقد جاء في البيان الذي صدر عقب هذا المؤتمر :

- ١ - « ثامنا - خلال مؤتمر القمة الذي عقد في العام الماضي تم تمييز وزراء خارجية كل من ليبيا ومدغشقر وسيراليون وتونس لكي يمثلوا الاعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية لدى مجلس الأمن خلال بحث مسائل التفرقة العنصرية والاستعمار البرتغالي . وقد قدم ممثلوا هذه الدول تقاريرهم الى المجلس .
- ب - « عاشرنا - وقد اتخذ المجلس القرار التالي فيما يتعلق بمسألة التفرقة العنصرية :

١ - مطالبة جميع الدول ، وخاصة التي تقوم بينها وبين حكومة جنوب أفريقية علاقات تجارية بالتعاون في مجال مقاطعة جنوب أفريقية .

٢ - مناشدة جميع الدول المنتجة للبترول أن تكف في الحمال عن تزويد جنوب افريقية بالبترول ، وكافة المنتجات البترولية الأخرى .

٣ - الدعوة الى الافراج عن نلسون مانديلا ، ووالتر سيرولو ،  
ومانجليو سوبوكوى وغيرهم من المعارضين لمسألة التفرقة  
العنصرية ، الذين سجنوا أو اعتقلوا طبقا للقوانين التعسفية  
الجائرة لحكومة جنوب افريقية « (١) »

وفى مايو ١٩٦٥ انعقد مؤتمر التضامن الأفريقى الآسيوى فى أكرا ،  
وندد أيضا بسياسة التمييز العنصرى .

كما وجهت سكرتارية المؤتمر الدائمة بالقاهرة الدعوة الى المؤتمر  
الثانى للمرأة الافريقية الآسيوية الذى تقرر عقده فى الجزائر فى  
يونية ١٩٦٥ ، ومن ضمن المسائل المدرجة بجدول أعماله الوضع الراهن  
فى جنوب افريقية ، وتأييد النضال ضد التفرقة العنصرية .

#### ثانيا - على المستوى الافريقى الآسيوى :

رغم ما بذله الاستعمار فى افريقيا وآسيا ، من جهود مضنية لىبقى  
على سيطرته ووجوده فيها فان يقظة شعوبها ، وانتشار الوعى جعل هذه  
الشعوب تتقارب فى كل المجالات ، والمناسبات ، وتحس بقيمة تضافر  
القوى وأهمية توحيد الجهود والأهداف .

ونذكر من هذه المؤتمرات :

١ - مؤتمر الاجناس المضطهدة فى عام ١٩٦٠ .

٢ - مؤتمر السلام فى ( بيرفيل ) عام ١٩٦٦ .

٣ - مؤتمر العلاقات الآسيوية فى ( نيودلهى ) عام ١٩٤٧ . وهو وان  
كان مؤتمرا آسيويا بحثا الا أنه عطف على قضايا القارة الافريقية  
والاستعمار الجاثم فيها .

٤ - وفى يناير ١٩٤٩ عقد فى ( نيودلهى ) مؤتمر آخر . ويمتاز هذا  
المؤتمر عن سالفه بأنه كان مؤتمرا آسيويا أفريقيسا ، فدل على  
صحة شعوب القارتين ، وادراكها لحقيقة المعركة التى تخوضها ،  
ضد الاستعمار ، والتمييز العنصرى .

---

(١) لم تستجب حكومة جنوب افريقية لهذا النداء المادل الصادر من ممثلى جميع  
شعوب القارة الافريقية ، بل عمدت بمد قليل الى الحكم عليهم بالاعدام وتنفيذ هذا  
الحكم .

٥ - اجتماع ( كولومبو ) فى مايو عام ١٩٥٤ الذى حضره رؤساء وزراء سيلان وبورما والهند واندونيسيا وباكستان ، والذى تعرض لمشاكل الاستعمار فى قارتى افريقية وآسيا .

وأهمية هذا الاجتماع خاصة أنه خطا خطوة واسعة نحو فكرة التضامن الافريقى الآسيوى حين قدم له رئيس وزراء أندونيسيا اقتراحا يقضى ببحث فكرة عقد مؤتمر آسيوى افريقى بقصد التعاون السياسى والاقتصادى ، فوافق عليه . وقد أشار البيان الذى صدر عن الاجتماع الى ضرورة « مكافحة التمييز العنصرى » كقضية هامة من القضايا الآسيوية الافريقية .

٦ - وقد أدت الجهود التى بذلت بعد ذلك الى عقد مؤتمر ( باندونج ) فى إندونيسيا فى المدة من ١٨ - ٢٤ إبريل سنة ١٩٥٥ .

وأهمية مؤتمر باندونج فى أنه نجح نجاحا عظيما رغم تعدد اتجاهات الدول المشتركة فيه . فمنها الدول المرتبطة بالمعسكر الغربى مثل باكستان وتركيا ، وفيتنام الجنوبية ، ولاوس ، وأثيوبيا . الخ ومنها الدول المرتبطة بالمعسكر الشرقى كالصين الشعبية وفيتنام الشمالية ، ومنها الدول المحايدة كالهند وأفغانستان ، وأندونيسيا . هذا بالإضافة الى الدول العربية ، وهى دول تتفاوت أيضا فى اتجاهاتها .

ذلك أن المؤتمر نص فى قراراته السياسية على « استنكار التفرقة والتمييز العنصرى القائم فى مناطق شاسعة من افريقية ، وتأييد كفاح الشعوب ضد العنصرية » .

وجاء فى بيانه بهذا الشأن ما يلى :

« . . . واستنكر المؤتمر الآسيوى الافريقى السياسات والمعاملات الخاصة بالتفرقة والتمييز العنصرى التى تقوم عليها أسس الحكم وعلاقات انسانية فى مناطق شاسعة الأطراف من افريقية ، وفى أجزاء أخرى من العالم . فمثل ذلك السلوك لا يعتبر اعتداء خطيرا على حقوق الانسان فحسب، بل هو كذلك انكار للقيم الأساسية للحضارة والكرامة الانسانية . وأعرب المؤتمر عن عطفه الحار ، وتأييده المطلق للموقف الشجاع الذى يقفه ضحايا التفرقة العنصرية وخاصة الشعوب الافريقية فى افريقية الجنوبية . . . وأكد أصرار الشعوب الآسيوية الافريقية على اجتثاث جذور كل أثر للعنصرية ، وتعمد باستخدام نفوذه المعنوى الكامل للحيلولة

دون خطر سقوط ضحايا لهذا الشر في اثناء نضال الشعوب في سبيل  
اجتثاثه .

٧ - ثم انعقد في القاهرة المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافريقية  
الاسيوية بين ٢٦/١٢/١٩٥٧ ، و ١/١/١٩٥٨ ، واصدر قراراته  
الاتية الخاصة بالتفرقة العنصرية :

- ١ - استنكر المؤتمر التفرقة العنصرية في جميع صورها .
- ب - ندد المؤتمر بموقف حكومة جنوب افريقية في هذا الصدد .
- ج - ناشد المؤتمر جميع حكومات العالم والامم المتحدة وجميع  
الدول الامضاء العمل في سبيل استئصال التفرقة العنصرية .
- ٨ - وفي المدة من ٥ - ١٣ ديسمبر ١٩٥٨ عقد في اكرا مؤتمر افريقي  
حضره أكثر من ٣٠٠ مندوب يمثلون ٦٢ هيئة في ١٨ بلدا افريقيا .  
ولبيان أهمية هذا المؤتمر اعتبر جزءا من الحركة الكبرى . حركة  
التضامن الافريقي الاسيوى . فقد أرسلت السكرتارية الدائمة  
للتضامن الافريقي الاسيوى وفدا عنها لحضور المؤتمر ، وإعلان  
تأييدها له .

وقد احتج المؤتمر بشدة على التفرقة العنصرية ، واستنكر القوانين  
التي تميز بين الناس ، وبخاصة قوانين جنوب افريقية وروديسيا  
الجنوبية ، والمناطق البرتغالية .

وأوصى المؤتمر الشعوب الافريقية بالآتي :

- ١ - توقيع عقوبات اقتصادية على جنوب افريقية احتجاجا على  
التفرقة العنصرية ، ويجب أن تشمل هذه العقوبات مقاطعة  
بضائع جنوب افريقية .
- ب - جميع البلاد الافريقية التي تمد جنوب افريقية بالعمال عليها  
أن تستخدم هذا الحشد من العمال لاستعمالها الخاص ، لمنهم  
عن العمل بصناعة جنوب افريقية .
- ج - الاحتفال بيوم ١٥ ابريل من كل عام كيوم حرية افريقية .
- د - إلغاء الانتداب في جنوب افريقية ، واتخاذ خطوات لمنح جنوب  
غرب افريقيا استقلاله .
- هـ - اعطاء جميع البلاد الافريقية الاستقلال المباشر حتى يمكن  
القضاء على التفرقة العنصرية وفقا لميثاق الأمم المتحدة .



٩ - وفيما بين ٣ و ٧ يناير ١٩٦١ اجتمع مؤتمر « الدار البيضاء » من الجمهورية العربية المتحدة ، والحكومة الجزائرية المؤقتة ، وغانا ، وغينيا ، ومالي ، والمغرب .

وجاء في الفقرة الأولى من ميثاق الدار البيضاء :  
« نحن رؤساء الدول الافريقية المجتمعين في الدار البيضاء ...  
ادراكا منا لمسئولياتنا نحو القارة الافريقية نعلن تصميمنا على العمل على  
نصرة الحرية في جميع أرجاء افريقية وتحقيق وحدتها » .

### ثالثا - على الصعيد الدولي :

١ - ان الرأي العام العالمى اليوم لم يعد يقبل سياسة التفرقة العنصرية ولا فلسفتها ، وخاصة بعد أن مرت البشرية فى حروب ، وشاهدت غزوات شاملة . فمن اختلاط العالم القديم نتيجة قيام الامبراطورية الرومانية وانتشار الاسلام بالغزو والتجارة من أدنى العالم الى أقصاه ، وهجوم قبائل المغول فى قلب آسيا على الأصقاع الغنية فى أوروبا ، واختلاط الشرق بالغرب فى الحروب الصليبية وما بعدها ، والاستكشافات الجغرافية ، ولوج الغرب العالم الجديد واحراش « القارة المظلمة » - كما يسمونها - وتعدد الهجرات بالجملة ، ونشأت بفعل ذلك كله دول جديدة مثل استراليا ، ونيوزيلنده ، واتحاد جنوب افريقية ، والولايات المتحدة ، وجمهوريات أمريكا اللاتينية ، واختلطت الأجناس والانساب . ففرنسا وايطاليا مثلا خليط من الجرمان والسلت والفندال والغرب والمغول والبيض والسمر . والمانيا خليط من المغول والتتار والسلت والصقالية الآريين . وانجلترا خليط من أبناء قبائل أوروبا الذين غزوها منذ روما القديمة بواسطة يوليوس قيصر . والعرب خليط من السمر والمغول والتتار والصقالية والسود وأهل البادية وأهالى حوض البحر الأبيض المتوسط . والولايات المتحدة خليط من الأنجلو ساكسون والجرمان واللاتين والعرب والهنود الحمر .

ولا يمكن تبعا لذلك ادعاء نقاء العنصر فى أى دولة من دول العالم ، أو محاولة نسبته الى هذا الجنس أو ذاك مع تجاهل سائر الأجناس الأخرى التى اختلطت بها .

فضلا عن أنه يصعب الارتكاز على فكرة الدين أو الحضارة كأساس للتمييز العنصري ، أو بين دولة وأخرى . ذلك لأن الأديان مشتركة بين الانسانية جميعا ، ولا تصلح كأساس لقيام دولة من الدول ، أو للتفرقة بين الشعوب وكذلك الحضارة . فان قوة الدفع الزمنى للتطور العالمى عملت وتعمل على تداول الحضارة ، وانتقالها من مكان الى مكان . ومن شعب الى شعب . فليست مقصورة على أيهما ، وليست احتكارا لأحد . وقد سارت الشعوب خطوات بعيدة نحو المساواة ، والقضاء على التمييز العنصري ، وحطمت العقبات التى تعوق دون ذلك .

٢ - وفى سنة ١٩١٩ ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بذلت جهود كبيرة للنص فى ميثاق « عصبة الأمم » على المساواة بين الناس والجناس استكمالا لمقترحات الرئيس ولسون بالنص على حرية الرأى والعقيدة فى الميثاق . وطالب البارون ماكينو ، مندوب اليابان فى اللجنة التحضيرية بضرورة بحث موضوع المساواة بين الشعوب كبدأ أساسى للعصبة ، ولضمان نجاحها ، وعلى أن يتعهد الأعضاء بمعاملة جميع رعائهم ورعايا بعضهم البعض معاملة قائمة على المساواة والعدالة دون تمييز بسبب الجنس أو اللون . واستند فى هذا الطلب الى اشتراك جميع الشعوب فى تلك الحرب جنبا الى جنب ، والتضحية من أجل كسب الحرب ولتحقيق مثل عاليا مشتركة . ولكن الدول الاستعمارية حاربت كل هذه الاتجاهات وتجاهلت كل الاعتبارات فلم يأخذ بأى من الاقتراحين . ولم تحفل عصبة الأمم بين الحربين العالميتين بمصائر الشعوب المضطهدة ولا بتحقيق المساواة بين البيض وغير البيض .

٣ - ولكن تغير الوضع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كرد فاعل للاضطهاد العنصرى أثناء سيطرة النازية على أوروبا . وجاء فى ميثاق الأمم المتحدة - التى حلت محل عصبة الأمم - ما يلى : « نحن شعوب الأمم المتحدة . . . . . وقد آلمنا على أنفسنا أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان ، وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية لهذا فان حكوماتنا قد ارتضت ميثاق الأمم المتحدة وأنشأت بمقتضاه هيئة تسمى الأمم المتحدة » .

وجاء في الفقرة الثالثة من المادة الأولى بشأن مقاصد الميثاق  
مايلي :

« تعزيز احترام حقوق الانسان ، والحريات الاساسية للناس  
جميعا ، والتشجيع على ذلك اطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة  
أو الدين » .

وجاء في المادة الخامسة والخمسين بالفقرة (ح) ما يؤكد  
المساواة بين الشعوب والأجناس . وفي ذلك تقول :  
« أن يشيع في العالم احترام حقوق الانسان ، والحريات  
الاساسية للجميع بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين » .

وقد صدر الاعلان العالمي لحقوق الانسان في ١٠ ديسمبر  
سنة ١٩٤٨ بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يشبه الاجماع .  
وهو تعهد أدبى دولي يؤيد المساواة بين الشعوب بلا تمييز بسبب  
اللون أو الجنس .

وهناك الاتفاق الأوروبي لحقوق الانسان الذي وقع عليه في  
روما بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠ . وأضيف اليه بروتوكول  
باريس الذي أمضى في ٥ مارس سنة ١٩٥٢ ، ودخل في دور  
التنفيذ في ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٣ . وهو يضمن الحريات الهامة  
لمواطني الدول الأعضاء مع بيانها بطريقة أكثر عمقا وإيجابية .

وقد اهتمت دساتير ما بعد الحرب العالمية الثانية بالاتجاهات  
السياسية والاجتماعية لعالم اليوم وضرورة السير حثيثا نحو القضاء  
على الكراهية بين الناس على أساس التفرقة بين الأجناس ، وتحكم  
الاعلانية في الاقلية والعكس . وجاء في العديد منها ، مثل دساتير  
فرنسا وإيطاليا ويوغسلافيا ما يوطد دعائم السلام ، وضمان حريات  
الفرد ، وعدم اضطهاده بسبب الرأي والعقيدة ، ويحظم حواجز  
التمييز العنصري . كما أن دستورنا المؤقت الصادر في مارس  
سنة ١٩٦٤ يساير روح عالم اليوم .

وقد جاء في ميثاقنا الوطني الذي قدمه الرئيس جمال عبد الناصر  
في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الوطني في ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ،  
وأقره المؤتمر في ٣٠ يونية سنة ١٩٦٢ مايلي :

« ان الحرية وحدها هي القادرة على تحريك الانسان الى ملاحقة التقدم وعلى دفعه . والانسان الحر هو أساس المجتمع الحر ، وهو بناؤه المقندر » .

وعلى ضوء هذه الروح نفسها أصدرت حكومة الولايات المتحدة في يوليو ١٩٦٤ « قانون الحقوق المدنية للملونين » .

٤ - ولقد واصلت المنظمة ، والهيئات واللجان المختلفة المنبثقة منها - جهودها الجبارة لتصفية الاستعمار ، وبحث مشكلة التفرقة العنصرية والقضاء على جرائمها ، وتوصية الدول التي تمارس هذه الأساليب الهمجية بضرورة الإقلاع عنها . ولم تأبه لجان المنظمة باحتجاجات هذه الدول الاستعمارية ، ولا بمزاعمها القائلة بأن المسألة في نطاق السيادة التي لا سلطان للدول الأخرى ، ولا للمنظمة الدولية عليها .

ففي ١٤/١٢/١٩٦٠ اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بمنح البلاد المستعمرة استقلالها .

٥ - وبناء على هذا القرار قدمت الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول الأخرى اقتراحا لمجلس الأمن تطالب فيه بالاحترام اللازم لحقوق الانسان وحرياته الأساسية في أنجولا . الا أن هذا القرار لم يحصل على الأغلبية وان كان أصدقاء البرتغال لم يؤيدوها ولكن امتنعوا عن التصويت فقط .

وفي ٦ يونية سنة ١٩٦١ بدأ مجلس الأمن - بناء على طلب المجموعة الأفريقية الآسيوية - في مناقشة الموقف في أنجولا . وكان مصير هذا الطلب كسابقه وان نجح نجاحا جزئيا بإصدار مجلس الأمن قرارا في ٩ يونية سنة ١٩٦١ يطلب فيه من البرتغال الكف فورا عن اتخاذ اجراءات القمع .

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الأخير في ٢٠ يناير ١٩٦٢ ، وأعلنت فيه أن استمرار البرتغال في رفض اعترافها بالأمانى المشروعة لشعب أنجولا يشكل مصدرا دائما للاخلال بالأمن الدولي ، ويهدد السلام . واستنكرت الجمعية العامة بشدة التدابير الهمجية ، والأعمال المسلحة التعسفية التي تتخذها البرتغال ضد شعب أنجولا ، وانكار حقوق الانسان .

وفي ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ طلبت الجمعية العامة من مجلس الأمن اتخاذ جميع الاجراءات الكفيلة بتنفيذ البرتقال التزاماتها ازاء الجمعية العامة .

٦ - وفي ١٥ نوفمبر ١٩٦٣ دعا مجلس ادارة مكتب العمل الدولي ، التابع لهيئة الأمم المتحدة ، المدير العام للمكتب بالإجماع الى أن يتقدم بصفة عاجلة الى اللجنة المشكلة من مجلس الادارة لشئون جنوب افريقية بمقترحات بشأن ما يمكن أن تسهم به هيئة العمل الدولية في سبيل القضاء التام على التفرقة العنصرية ، والعمل الواجب اتخاذه لضمان حماية الكرامة الانسانية واحترام مبادئ الدستور .

واستجابة لهذه الدعوة وضع البرنامج الحالي لهيئة العمل الدولية في سبيل القضاء على التفرقة العنصرية في جمهورية جنوب افريقية . وقد تم وضع هذا البرنامج على أساس أوفي وأحدث المعلومات المتوافرة لمكتب العمل الدولي .

وقد جاء في التصريح الذي اذاعه مكتب العمل الدولي بهذا الشأن مايلي :

١ - « ان حكومة جنوب افريقية لم تعجز فقط عن ان تعاون في تحقيق الأغراض المحدودة في ديباجة الدستور ، بل ما برحت تشرع وتطبق السياسة غير الانسانية للتفرقة العنصرية التي تتنافى كلية مع أغراض ومبادئ هذا الدستور . ومن ثم تخلق موقفا مفرعا .

ب - « وحيث ان تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة لجميع البشر، يفضي النظر عن العنصر ، لم يعد أمرا يتعلق بالشئون الداخلية لجمهورية جنوب افريقية وحدها .

ج - « وبما أن مجلس أمن الأمم المتحدة بمقتضى قراره الاجماعي الصادر في ٤ ديسمبر ١٩٦٣ أكد الاعتقاد بأن الموقف في جنوب افريقية يعكر السلام والأمن الدولي الى حد خطير .

د - « ولما كانت جمهورية جنوب افريقية تنتهك باصرار ، وبأسلوب صارخ هذا المبدأ عن طريق الاجراءات التشريعية والإدارية وغيرها مما يتنافى مع الحقوق الأساسية للإنسان ، بما فيها

من التحرر من عمل السخرة ، والحرية النقابية ، وحرية اختيار العمل والمهنة .

« وبما أن مثل هذا الانتهاك العمد والصارخ لذلك المبدأ قد ثبت بواسطة هيئة العمل الدولية عن طريق تحرى الحقائق فيما يتعلق بالسخرة ، والحرية النقابية ، والتحرر من التفرقة العنصرية بالنسبة للاستخدام والمهنة .

هـ - « وحيث أن مؤتمر العمل الدولي قد شجب بقرار اتخذته في ٢٩ يونيو ١٩٦١ السياسات العنصرية لحكومة جنوب افريقية ، ودعا هذه الحكومة الى الانسحاب من هيئة العمل الدولية الى أن تقلع عن التفرقة العنصرية .

« ولما كانت جنوب افريقية قد تفاضت عن دعوة مؤتمر العمل الدولي لها بالانسحاب من عضوية الهيئة ولكنها عادت كنتيجة للمناقشات والتطورات التي حدثت في دورة ١٩٦٣ للمؤتمر، وللقرارات التي اتخذها مجلس الادارة في يونيو ونوفمبر ١٩٦٣، وفي فبراير ١٩٦٤ فأبطلت بمذكرتها المؤرخة ١١ مارس ١٩٦٤ القرار الذي اتخذته بالانسحاب من الهيئة .

و - « وحيث أن مجلس الأمن قد أعرب في قراره الاجماعي رقم س/٥٤٧١ الصادر في ٤ ديسمبر ١٩٦٣ عن « اعتقاده الراسخ في أن سياسات التفرقة والتمييز العنصري كما تمارسها حكومة جنوب افريقية تثير اشمئزاز الضمير الانساني ، وأنه لا بد من إيجاد بديل ايجابي لهذه السياسات واستنكر عدم استجابة حكومة جمهورية جنوب افريقية الى النداءات التي تضمنتها القرارات الموجهة اليه من الجمعية العامة ومجلس الأمن » .

ز - « فإن المؤتمر العام لهيئة العمل الدولية قد وطن العزم على أن ينهض بمسئوليته نحو تهيئة الحرية والكرامة لشعب جنوب افريقية ، والقيام بدوره في ضمانهما ، على أن يعارض سياسة التفرقة العنصرية التي تمارسها حكومة جنوب افريقية .

« ومع توكيده بأن الحكومة التي تمارس عمدا التفرقة العنصرية ليست جديرة بالانتماء الى مجتمع الأمم .

وقد استعرض برنامج هيئة العمل الدولية التشريعات الشاذة والاجراءات الجائرة التي تمارس حكومة جنوب

أفريقية التمييز العنصرى عن طريقها ، وأبرز على ضوءها  
عدة اقتراحات جادة بناء منها :

١ - تهيئة تكافؤ الفرص والتسوية فى المعاملة بفض النظر عن  
العنصر فى مجال الاستخدام والمهنة والتدريب المهني  
وابطال كل التشريعات واللوائح والاجراءات التي تحول  
دون ذلك .

ب - الغاء الأحكام الخاصة بمكاتب العمل التي يتضمنها قانون  
العمل الوطنى لعام ١٩١١ ، واللوائح التنفيذية الصادرة  
بالتطبيق له فى ٦ يناير ١٩٥٩ .

ج - الغاء الأحكام المنظمة لدخول الوطنيين المناطق الحضرية،  
والمحددة لأقامتهم فى هذه المناطق ، والتي يتضمنها  
قانون « المناطق الحضرية » لعام ١٩٤٥ ، واللوائح الصادرة  
بمقتضاه .

د - الغاء العقوبات الجنائية الخاصة بفسخ عقود الاستخدام .

هـ - الغاء احكام التشرد .

و - الغاء قانون الوطنيين .

ز - الغاء القسم ٧٥ من قانون السجون لعام ١٩٥٩ الذى  
يبيع تاجير المساجين للأفراد والشركات والجمعيات ،  
أو وضعهم تحت تصرف الحكومة .

ح - منح الافريقيين نفس الحماية المكفولة بمقتضى القانون  
الجنائى العام ، والغاء القسم رقم ٩ من قانون ادارة شئون  
الوطنيين لعام ١٩٥٧ ، الذى يخول القوميسيرين الوطنيين  
سلطات قضائية جنائية على الوطنيين .

ط - الغاء التفرقة على أساس العنصر بالنسبة لحق التنظيم  
النقائى للعمال . ومن أجل هذا يجب أن تلغى جميع  
النصوص القانونية التي تستثنى العمال الأفريقيين من  
قانون التوفيق الصناعى فيما يختص بحسرية تكوين  
النقابات ، أو الانضمام إليها ، أو الإضراب .

ويختتم التقرير عباراته بمايلي :

« ان مثل هذه التغييرات البعيدة المدى انما تستتبع تبديلا كليا لتشريع العمل والخدمات الاجتماعية والعلاقات الصناعية في جمهورية جنوب افريقية . وعلى هيئة العمل الدولية أن تعد نفسها لتأدية دورها الملائم بالتعاون مع الأمم المتحدة في وضع خطط أبعد وأشمل لتحقيق هذا الغرض ، وتستهدف تحقيق الهدف المبين في القرار الذي أصدره مجلس الأمن بالاجماع بشأن حل الموقف الراهن في جنوب افريقية » .



## خاتمة

ان مشكلة التمييز العنصرى اليوم لم تعد مسألة تفرقة جنسية - كما كانت فى الماضى - بين الجنس الاوروبى وغيره من الاجناس .. وانما هى جزء من مخطط استعمارى يطلق عليه « الاستعمار الجديد » الذى حل محل الاستعمار القديم .

يقول الدكتور قوامى نكروما فى كتابه الاخير ( الاستعمار الجديد ) :  
« يمثل الاستعمار الجديد اليوم الامبريالية فى آخر مراحلها ، واشدها خطرا على الغالب . فقد كان من الممكن فيما مضى تحويل أية بلاد مغلوبة على أمرها الى مستعمرة . أما اليوم فقد باتت هذه العملية متعذرة ومستحيلة . »

« ويتلخص جوهر الاستعمار الجديد فى ان الدولة الخاضعة له تكون من الناحية النظرية مستقلة تمام الاستقلال ، ومتمتع بجميع الزخارف الشكلية للسيادة الدولية . اما فى الواقع فان نظامها الاقتصادى ، وبالتالى سياستها الخارجية ، يكونان خاضعين للتوجيه من الخارج . ويتخذ شكل هذا التوجيه وطرائقه فى الغالب صورا شتى . ففى الحالات المتطرفة ترابط قوات الدولة الامبريالية فى اراضى الدولة الخاضعة . للاستعمار الجديد لحمايتها ، والسيطرة على حكومتها . لكن ممارسة السيطرة الاستعمارية تكون فى الغالب ، عن طريق الوسائل الاقتصادية والمالية . وقد تجد الدولة الخاضعة له نفسها مرغمة على استيراد السلع المصنوعة من الدولة الامبريالية وحدها ، دون أن تتعرض هذه السلع لمنافسة منتجات دولة أخرى . »

« وتكون الدولة الممارسة للسلطة فى ظل نظام الاستعمار الجديد ، فى الغالب ، هى عين الدولة التى كانت تحكم البلاد الخاضعة له فى السابق . لكن هذا الوضع ليس حتميا دائما . فقد كانت فرنسا مثلا

هى الدولة الامبريالية السابقة فى فيتنام الجنوبية . أما الآن فقد انتقلت سيطرة الاستعمار الجديد الى الولايات المتحدة . ومن المحتمل ان يعهد بسيطرة هذا الاستعمار الجديد ، فى بعض الحالات ، الى مجموعة احتكارية من المصالح المالية لارتبط بدولة معينة بالذات . ولعل سيطرة الاحتكارات المالية الدولية الكبرى على الكونغو فى الوقت الحاضر هى خير نموذج على هذه الحالة .

» فالدولة الخاضعة للاستعمار الجديد ليست حرة فى تقرير مصيرها . ولعل هذا العامل هو الذى يجعل من الاستعمار الجديد خطرا بالغا يهدد السلام العالمى « (١) .

ويقول :

» ولايستمد حكام الدول الخاضعة للاستعمار الجديد قدرتهم على الحكم من ارادة شعوبهم وانما يستمدونها من العون الذى يلقونه من سادتهم المستعمرين الجدد . ولذا فلايبدى هؤلاء الحكام اهتماما بتطوير التعليم ، ولا بتقوية القدرة على المساومة عند عمالهم الذين تستخدمهم المؤسسات الأجنبية . كما لايتخذون أية خطوة تهدف الى تحدى النظام الاستعمارى فى التجارة والصناعة ، اذ ان هدف الاستعمار الجديد هو الحفاظ عليه (٢) .

ويقول عن اساليب الاستعمار الجديد :

» بالرغم من أن السيطرة الاقتصادية هى هدف الاستعماريين الجدد الا أنهم لا يحصرون عملياتهم فى المجال الاقتصادى ، فهم يلجأون الى نفس الاساليب الاستعمارية القديمة فى التسلل من دينية وتعليمية وثقافية .

ولكن هذا التخريب غير المباشر كله لايكاد يقارن فى نتائجه بالهجوم العنيف الذى تشنه الرأسمالية العالمية . فهناك تقوم ( امبراطورية رأس المال ) التى تتجسد فى شكل شبكة واسعة الامتداد من النشاط داخل القارة على صعيد واسع التنوع والتشعب ، تسيطر على ارواح الملايين من الناس فى هذه الاجزاء التى تعتبر أكثر من غيرها فى انحاء العالم تباعدا وانفصالا ، وتدير صناعات بأكملها مستغلة عمال وثروات شعوب القارة

(١) ترجمة خيرى حماد . اهرام ١٣/٤/١٩٦٦

(٢) المصدر السابق . اهرام ١٤/٤/١٩٦٦ .

لإرضاء جشع قلة من الناس • وهنا يكمن ينبوع السلطان ، ومركز توجيه السياسات ضد التيار التقدمي القوى • وهنا يتمثل العدو القاسى لوحدة أفريقية واستقلالها » (١) .

ويقول :

« أثار تحرر عدد من الدول الجديدة من النير الاستعماري مشكلة رئيسية جديدة ، وهى كيفية الاحتفاظ بهذه البلاد ضمن اطار العلاقات الاستعمارية بعد ان نزعتم سيطرة الاستعمار • وهكذا بدأت المرحلة الجديدة فى تطور الامبريالية ، وهى تكييف الاستعمار للأوضاع الجديدة التى خلقتها تصفية السيطرة السياسية للدول الاستعمارية ، ليتمكن الاستعمار من الحفاظ على وجوده بأساليب أخرى • وليست فيتنام وكوريا والعدوان على السويس والجزائر الا أمثلة صارخة على المدى الذى تصل اليه الدول الامبريالية فى محاولتها الحفاظ على مستعمراتها • وهو موقف يتعزز بتدخل أمريكا كالقوة القيادية فى الصراع على السيطرة الاحتكارية الرأسمالية العالمية • وقد اتخذ هذا الصراع محتوى مذهيبا عن طريق رفع شعار ( مكافحة الشيوعية ) ، وجعله الحافز على القتال من أجل إعادة القطاع الاشتراكي فى العالم من جديد الى السيطرة الاستغلالية لاحتكارات الغرب المالية •

« وكانت المعركة المحيومة للسيطرة على الزيت ، واعتبارها عاملا رئيسيا ضخما فى اخماد الحركات الشعبية التى قامت فى عديد من المستعمرات وشبه المستعمرات فى الشرقين الأدنى والأوسط والشرق الأقصى وشمال أفريقيا وأمريكا اللاتينية • وليست سلسلة الأحداث التى وقعت فى إيران والعراق والكويت وعدن والعربية السعودية وكوبا وفنزويلا والبرازيل والجزائر ، والتى تفجرت فى شكل ثورات وحروب، الا جزءا من حوافز الصراع على الزيت والسيطرة عليه » •

« ويضاف الى ذلك احتكارات التعدين ، والمواد الأولية ، والغذائية والاستعدادات العسكرية ، والحروب العديدة التى خاضتها الدول الاستعمارية مع مستعمراتها منذ انتهاء الحرب ، ومن تطوير أدوات القضاء النووية الرهيبة ، ومن السباق المحموم على الزعامة فى ميدان اكتشاف الفضاء » •

---

(١) المصدر السابق • أهرام ١٩٦٦/٣/٢٢

• وليست المجموعة الأوروبية التي تمثل السوق المشتركة الا صورة واحدة منها « (١) •

ويقول عن دور أمريكا بالذات في الاستثمار الجديد :

« وبالرغم من سياسة العدوان السافر التي تتبعها الولايات المتحدة في أماكن كثيرة من العالم فإنها كثيرا ماتتظاهر بأنها الدولة المناهضة للاستعمار في استنكارها للإمبريالية البريطانية • ويقول آي • بالم • ذات في المقال الذي نشره في مجلة ( الشئون الدولية ) الصادرة في موسكو في أغسطس عام ١٩٦٤ تحت عنوان ( سياسة بريطانيا الاستعمارية ومنافسات الاستثمار الجديد ) : « ان هذا الموقف مهلهل اذ كثيرا مايسقط القناع الزائف حتى عند عرض مشروعات القرارات المناهضة للاستعمار التي تتقدم بها الأغلبية الممثلة في دول الكتلة الأفرو آسيوية والكتلة الاشتراكية في الأمم المتحدة ، اذ كثيرا ماتجد أمريكا وبريطانيا نفسيهما وحيدتين ، أو معهما فرنسا والبرتغال وجنوب أفريقية واستراليا ضد هذه القرارات » •

« ولاحظ الموجهون الدهاء لرأس المال الأمريكي ارتفاع المد القومي في المناطق المستعمرة وراوا فيه فرصة للتسلل الى المناطق التي كانت الإمبرياليات المتنافسة تحرص على جعلها وقفا عليها وحدها « (٢) •

وقد بلغت الاستثمارات الخارجية لأوروبا وأمريكا :

سنة ١٩٤٩	سنة ١٩٣٠	سنة ١٩٠٠	
مليون دولار ١٩٠٠٠ ١٢٠٠٠ ٢٠٠	مليون دولار ١٩٠٠٠ ١٧٠٠٠ ٧٠٠٠	مليون دولار ٥٠٠ ١٢٠٠٠ ٦٠٠	أمريكا بريطانيا فرنسا

اما استثمارات أمريكا وحدها في أفريقيا بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٨ فقد زادت من ١١٠ مليون دولار الى ٧٨٩ مليون دولار • وقد جاءت هذه الزيادة - لامن زيادة رؤوس الاموال المستثمرة - وانما من الأرباح التي

(١) المصدر السابق • أهرام ١٦٦٦/٢/٢٤

(٢) المصدر السابق • أهرام ١٦٦٦/٢/٢٨

تحققت لها في هذه الفترة التي تلت الحرب الأخيرة • أى انها حققت  
أرباحا توازى ٨٠٠ ٪ •

وقد ارتفعت قيمة التجارة الأمريكية مع أفريقية في هذه الفترة نفسها  
من ١٥٠ مليون دولار الى ١٢٠٠ مليون دولار • وهو رقم يمثل نحو ١٥ ٪  
من مجموع تجارة أفريقية الخارجية كلها (١) •

وقبل الحرب العالمية الثانية لم تكن نسبة استثمارات أمريكا في  
القارة الأفريقية تزيد على ٣ ٪ من مجموع استثماراتها الخارجية ، بينما  
لم تزد نسبة تجارة القارة معها على ٥ ٪ من مجموع التجارة الأفريقية (٢) •  
ومن الضروري حقا لفهم مايقع في العالم اليوم ، وفي أفريقية بوجه  
خاص ، أن نتعرف على المؤثرات والصفوف الاقتصادية التي تقف وراء  
الأحداث السياسية •

ولعل أول ما نلاحظه من تلك العلاقات الامبريالية الاحتكارية  
المتشابكة هو التسلسل المستمر من جانب المجموعات المالية العالمية ذات  
السلطات السياسية في المشروعات الصناعية والتجارية الضخمة التي  
تتحول الى السيطرة على الاقتصاديات القومية والعالمية بحيث تتحكم  
مصالح هذه الاحتكارات في السياسات القومية والعالمية ، ويحتل ممثلوها  
مراكز هامة في الحكومة والجيش والبحرية والسلك السياسي والقوة  
الجوية ، وفي كافة الهيئات التي تصنع السياسات وتقررها ، وفي المنظمات  
والهيئات الدولية (٣) •

ولقد ذكر الدكتور نكروما مثلاً رائعاً على هذا الاضطبوط السياسي  
ذى الأذرع الاقتصادية فقال :

« في عام ١٩٠٤ ذكر رئيس جمهورية ليبيريا ، آرثر باركلي ، ان قرض  
المائة ألف جنيه استرليني الذى عقده ليبيريا مع بريطانيا عام ١٨٧٩  
بفائدة قدرها ٧ ٪ ، والذي لم يصل منه فى الواقع الى خزينة الدولة  
سوى ٢٧ ألفا بسبب الاختلاسات الرسمية ، يتطلب سداده تخصيص  
جميع عائدات البلاد لمدة ثلاث سنوات متعاقبة • وقد نجحت الحكومة  
البائسة فى عقد قرض آخر دولى بمليون وسبعماية ألف دولار أسهمت

(١) المصدر السابق • أهرام ١٩٦٦/٢/٢٨

(٢) المصدر السابق • أهرام ١٩٦٦/٢/٢٩

(٣) المصدر السابق • أهرام ١٩٦٦/٢/٣١

فيه جميع البيوتات المالية في بريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا وأمريكا .  
 ولهم يصل الى الخزنة الليبيرية من هذا القرض الاجزاء تافها بينما مضت  
 الأرباح الخيالية الى المصارف صاحبة القرض . ولم تتمكن حكومة ليبيريا  
 من إسداد الفوائد المركبة المتراكمة الا فى عام ١٩٢٦ عندما حصلت عن  
 طريق شركة فايرستون الأمريكية على قرض جديد قيمته خمسة ملايين  
 دولار بفائدة ٧ ٪ لم تتسلم منه ليبيريا حتى عام ١٩٤٥ سوى نصفه .  
 وهكذا وجدت ليبيريا نفسها تحت وطأة هذه الديون مضطرة الى منح شركة  
 فايرستون امتيازات واسعة فى أرضيها لزراعة أشجار المطاط (١) .

ويقول عن حقيقة الوضع الراهن فى الدول المستقلة حديثا :

« حقيقة هذا الوضع أن معظم دولنا الأفريقية الجديدة تجد نفسها  
 وقد ولدت من رحم الاستعمار مذعورة من عالم الفاقة والمرض والجهل  
 والافتقار الى الموارد المالية فتتردد فى قطع الشعرة الباقية التى نشدها  
 الى « الام » الإمبريالية التى ولدتها » (٢) .

« ويسكن افريقية نحو ٢٨٠ مليوناً من الناس . أى نحو ٨ ٪ من  
 مجموع سكان العالم بينما لاتمثل افريقية أكثر من نحو ٢ ٪ من مجمل  
 انتاج العالم . ومع ذلك فان عمليات المسح لموارد افريقية الطبيعية تظهر  
 أن ثنى القارة ثروات هائلة لم يكشف عنها بعد . ونحن نعرف ان مخزونات  
 الحديد فيها تبلغ ضعف مخزونات فى أمريكا . كما تبلغ ثلثى مخزونات  
 فى الاتحاد السوفييتى ، وأنها تقدر بنحو بليونى طن . وتقدر مخزونات  
 الفحم فى افريقية بأنها كافية ليستمر الانتاج نحو ٣٠٠ عام . وهناك  
 حقول بترول جديدة يجرى اكتشافها فى جميع أرجاء القارة .

وتضم افريقية أكثر من ٤٠ ٪ من الطاقة المائية فى العالم كله ، وبذلك  
 تفوق حصتها من هذه الطاقة حصة أية قارة أخرى . ومع ذلك لم يستخدم  
 من هذه الطاقة حتى الآن أكثر من ٥ ٪ منها . وبالرغم من وجود مناطق  
 الصحراوية الفسيحة فيها فانها تضم من الأراضى الصالحة للزراعة والرعى  
 أكثر من تلك التى تضمها الولايات المتحدة الأمريكية ، أو الانحساد  
 السوفيتى . وفيها من هذه الأراضى أكثر مما فى القارة الاسيوية كلها .

(١) المصدر السابق . اهرام ١٩٦٦/٤/٢ .

(٢) المصدر السابق . اهرام ١٩٦٦/٢/٢٢ .

وتبلغ مساحة مناطق الغابات فى قارتنا ضعف مساحتها فى الولايات المتحدة .

ولكى نعطي فكرة عن أهمية الثروة المعدنية فى أفريقيا نذكر انها تنتج ٩٥ ٪ من انتاج العالم من الكوبالت ، ٩٠ ٪ من المساس ، ٩٠ ٪ من اليورانيوم ، و ٤٠ ٪ من الفوسفات ، و ٦٥ ٪ من الكروم . ومعظم هذه المعادن تتركز فى جنوب ووسط القارة .

ولكى نأخذ فكرة أخرى عن أهمية تلك المعادن للدول الاستعمارية نذكر أنها تصدر لبريطانيا ١٩ ٪ من مسحوق الصفيح ، ٢٩ ٪ من براءة الحديد ، ٨٠ ٪ من المنجنيز ، و ٤٦ ٪ من النحاس ، ٤٧ ٪ من البوكسيت ، و ٥٠ ٪ من الكروم ، و ٦٦ ٪ من الاسبستوس ، و ٨٢ ٪ من الكوبالت ، ٩١ ٪ من الانتيمون .

كما أنها تصدر لفرنسا :

٣٢ ٪ من القطن ، ٣٦ ٪ من براءة الحديد ، و ٥١ ٪ من الزنك ، ٨٥ ٪ من الرصاص ، و ١٠٠ ٪ من الفوسفات .

كما تصدر لألمانيا :

٨ ٪ من النحاس ، ١٠ ٪ من الحديد ، ١٢ ٪ من مسحوق الرصاص ، و ٢٠ ٪ من المنجنيز ، و ٧١ ٪ من الفوسفات .

وبالرغم من ان افريقية تملك أكثر من ٥٣ ٪ من أهم المعادن الأساسية ، والموارد الأولية اللازمة للصناعة فى العالم فان هذه القارة مازالت متخلفة كل التخلف فى ميدان التنمية الصناعية (١) .

ويقول تقرير اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة الذى نشر فى ديسمبر عام ١٩٦٢ تحت عنوان ( التطور الصناعى فى افريقية ) ان الفجوة التى يخلتها البحر الأبيض المتوسط بين القارات قد اتسعت بسرعة فى القرن العشرين تفوق سرعة اتساعها فى أى وقت سابق . وقد يكون معدل الانتاج الفردى قد زاد فى افريقية ، ولاسيما فى الحقيقتين الأخيرتين اللتين شهدتا زيادة تتراوح بين ١٠ ٪ و ٢٠ ٪ ، ولكن البلاد الصناعية شهدت فى الفترة نفسها زيادة تبلغ ٦٠ ٪ ، ويبلغ معدل انتاجها الصناعى الفردى نحواً من ٢٥ ضعف معدل الانتاج فى افريقية اذا اعتبرناها وحدة كاملة .

---

(١) المصدر السابق . أهرام ١٤/٣/١٩٦٦ .

ويكون هذا الفرق بالنسبة الى الجزء الأكبر من القارة أكثر من هذه النسبة . وذلك لأن الصناعة تميل الى التركيز في مناطق صغيرة في الشمال والجنوب .

وتقول التقديرات ان نحو ٥٠ ٪ من مجموع رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة في افريقية تتركز في جنوب افريقية . ويبلغ مجموع الاستثمارات البريطانية وحدها ٢٨٠٠ مليون دولار بينما تصل الاستثمارات الأمريكية الى نحو ٨٤٠ مليون دولار . واطهرت الأرقام الأمريكية ان أكثر القطاعات فائدة هو قطاع الاستثمارات في عمليات التعدين وصهر المعادن في جنوب افريقية اذ ان نسبة الارباح فيها تفوق نسبتها في أى استثمار آخر في الولايات المتحدة نفسها . والتفسير الوحيد لهذا الارتفاع في الأرباح هو رخص الأيدي العاملة في افريقية .

وتعتبر مجموعة دى بيرز الانجلو - أمريكية المسيطرة على اقتصاد جنوب افريقية - بالإضافة الى امتداد نفوذها الى افريقية الجنوبية الغربية وزامبيا ، والى ارتباطها بشركات التعدين في معظم الدول الأفريقية الأخرى . وتعتبر مناجم الذهب واليورانيوم والفحم والاستبتسوس من أهم مجالات عمل الاتحاد الانجليزى - الأمريكى في جنوب أفريقية . وتعتبر مناجم النحاس أهم نشاطات الاتحاد في زامبيا ( روديسيا الشمالية ) وروديسيا الجنوبية . وقد انتشرت مصالحة عن طريق الشركات المرتبطة به الى تنجانيقا واوغنده والكونجو وانجولا وموزمبيق وافريقية الغربية ، بل والى الصحراء الكبرى وافريقية الشمالية (١) .

يتضح من ذلك ان الاستعمار الجديد :

١ - له مصالح حيوية بالغة الأهمية تدفعه الى الاحتفاظ بالمناطق التى توجد فيها المواد الأولية والأيدي العاملة الرخيصة في أفريقية .

٢ - ان الاستعمار الجديد له نفس وسائل الاستعمار القديم أن لم يكن في الشكل ففي المضمون .

لذلك فانه منذ استقلت معظم دول القارة رأى ان سبيله الوحيد الى استنزاف ثرواتها الحيوية بالنسبة له ان يتركز في الجنوب والوسط ، وان ينشئ حزاما قويا يضم هاتين المنطقتين وعلى الاخص جمهورية جنوب

(١) المصدر السابق . أهرام ١٩٦٦/٤/٦ .



افريقية ، وجنوب غرب افريقية ، وروديسيا الجنوبية ، وانجسولا ، وموزمبيق والكونغو وهى المناطق الغنية بالمعادن وخاصة النحاس . كما انشأ حزاما آخر فى الشمال من ليبيا الفنية بالزيت وتونس والمغرب . وبذلك أصبحت الدول المتحررة فى وسط القارة واطحصها الجمهورية العربية المتحدة بين فكي كماشة استعمارية .

وتأييدا ، وحماية ، لهذين الحزامين الكثيفين نجح الاستعمار الجديد فى ان يقوم أخيرا بعدة انقلابات سريعة خاطفة كالآتى :

١ - انقلاب بوروندى فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٥

٢ - انقلاب الكونغو ليوبولدفيل فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥

٣ - انقلاب داهومى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥

٤ - انقلاب افريقية الوسطى فى ١ يناير ١٩٦٦

٥ - انقلاب فولتا العليا فى ٣ يناير ١٩٦٦

٦ - انقلاب نيجيريا فى ١٦ يناير ١٩٦٦

٧ - انقلاب غانا فى ٢٤ فبراير ١٩٦٦

ولقد تنبأ المراقبون السياسيون بتأهب الاستعمار الجديد للزحف نحو المناطق الباقية من القارة بعد أن بدأ يهاجم على جبهة عسكرية وسياسية واقتصادية ونفسية واسعة ، وبعد ان بدأت الرجعية العربية تتحول من موقف الانكماش والتقوقع الى موقف الانطلاق ، والدعاية لاحلاف استعمارية كالحلف الاسلامى ، والصلح مع اسرائيل .

ويضيفون الى تلك الحوافز البارزة على الهجوم الاستعماري الجديد ذلك التمزق الواضح فى المعسكر الشيوعى بين روسيا والصين بسبب خلافهما العقائدى ، وتدخل أمريكا كقوة استعمارية صريعة فى جميع المناطق التى يريد أن يثبت فيها الاستعمار الجديد أقدامه (١) .

---

(١) انظر مقال : التاهرة هدف الزحف الاستعماري الرجعى الجديد للاستناذ محمد

حسين هيكى . ملحق الامرام الصادر فى ١٩٦٦/٤/٨ .



## أهم المراجع العربية

- افريقيا تحت أضواء جديدة : باذل دافدسن • ترجمة جمال م. أحمد  
( نشر دار الثقافة - بيروت ) •
- نمو الحضارة : و. ١٠ بى. • ترجمة لويس اسكندر ( بإشراف وزارة  
الثقافة ) •
- نهر النيل : د. محمد عوض محمد •
- تاريخ مصر وافريقيا فى العصر الحديث : د. على ابراهيم عبده •
- تاريخ افريقية : رولاند اوليفر ( بالاشتراك ) • ترجمة د. عقيلة محمد  
رمضان •
- النظم الاسلامية : د. حسن ابراهيم ( بالاشتراك ) •
- تراث الاسلام : مقالات لمجموعة من المستشرقين • ترجمة د. حسين  
مونس ( نشر لجنة الجامعيين لنشر العلم ) •
- الدين والحضارة الانسانية : د. محمد البهى ( نشر دار الهلال ) •
- كيف تفكر افريقية : و. ١. ابراهيم • ترجمة خيرى حماد •  
دفاع عن الزواج : أحمد محمد عطية •
- اضطاد الزواج فى أمريكا : طاهر عبد الحكيم •
- التفرقة العنصرية فى افريقية : د. فؤاد الصقار •
- الدفاع الاقتصادى ضد الاطماع الاستغلالية الاسرائيلية : محمد  
عبد العزيز أحمد ( بالاشتراك ) •
- سجل الارهاب الصهيونى : من مطبوعات الدار القومية •
- المجتمع ومشاكله : جروف سامويل • ترجمة ابراهيم رمزى •
- موجز تاريخ العالم : ه. ج. ويلز • ترجمة عبد العزيز توفيق جويد
- افريقيا وراء الصحراء : صلاح صبرى •
- الجغرافية السياسية لافريقية : د. قليب رفه •

- داخل افريقية : جون جنتر • ترجمة بإشراف حسن جلال العروسي  
( نشر مؤسسة فرانكلين )
- البرتغال فى افريقية : جيمس دفى • ترجمة جاد طه •
- نهاية الاستعمار البرتغالى : محمد هنائى •
- الحرية المدنية فى جنوب افريقية : ادجار • هـ • بروكس (بالاشتراك)  
ترجمة محمود أحمد حسين •
- الاستعمار الجديد : د • قوامى نكروما • ترجمة خيرى حماد ( من  
مجموعة جريدة الاهرام ) •
- قضية كينيا : د • عبد العزيز كامل ( سلسلة المكتبة الثقافية ) •
- الحرب الاقتصادية : صلاح نصر •
- القومية الأفريقية : ندا باننجى سيتهول • ترجمة عبد الواحد إبراهيم  
الامبابى •
- الاستعمار البرتغالى فى افريقية : فيكتور سيدنكو • ترجمة سلسلة  
قضايا سياسية •
- جنوب افريقية أمس وغدا • امبروز ريفز • ترجمة مرقص صليب •
- أضواء وآراء فى القومية والحرية والاشتراكية : خيرى حماد •
- ميلاد افريقيا : محمود الشرقاوى •
- شمال افريقية : أمين شاكى ( بالاشتراك ) سلسلة اخترنا لك •  
عدد ٨ •
- التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية : إبراهيم عبد الفتاح خليفة  
( سلسلة كتب سياسية ) •
- التفرقة العنصرية فى افريقية : صلاح الدين بدير •
- الملونون : يحيى عاكف •
- سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية واهداز حقوق الانسان  
( تقرير اللجنة الدولية للقانونيين بسويسرا ) ترجمة كتب سياسية •
- التفرقة العنصرية : د • أحمد سويلم العمري •
- السوق الافريقية المشتركة : محمد الجبالى •
- افريقيا تتكلم : جيمس دفى ( بالاشتراك ) ترجمة عبد الرحمن صالح
- التطور الاقتصادى الحديث فى افريقية : د • راشد البراوى •
- دراسات فى اقتصاديات القارة الافريقية : فؤاد محمد شبل •
- اسرائيل الزائفة : فريد عبد الله جورجى •
- مصر افريقيا : ايف ديسار • ترجمة غياث حجار •

- افريقيا الحرة : د . احسان حقي ( نشر المكتب التجارى - بيروت ) .
- التضامن الافريقى الاسيوى : د . شوقى الجمل .
- افريقيا النائرة : البر تيودجرى . ترجمة سعيد الفز ( بالاشتراك )  
من منشورات المكتب التجارى ببيروت .
- منظمة الوحدة الافريقية : د . بطرس بطرس غالى .
- افريقية الأرض والناس : العميد . محمد عبد الفتاح ابراهيم .
- تقرير مكتب العمل الدولى بجنيف عن التفرقة العنصرية .
- مجموعة جريدة الاهرام .
- مجموعة مجلة نهضة افريقية
- مجموعة مجلة الكاتب .
- مجموعة مجلة الهلال

## أهم المراجع الأجنبية

- 1 — Africa : Dreck karthon.
- 2 — African Nationalism : Ndabaningi Sithole.
- 3 — The unification of south Africa : L.M. Thompson.
- 4 — Inside Africa : Jhon Junther.
- 5 — An African Survey : Lord Haily.
- 6 — The New west Africa : Davidson Basil.

# فهرس

صفحة

٣	مقدمة
٥	الباب الأول - العنصرية بين العلم والتاريخ
٧	الفصل الأول : أفريقية مهد الحضارة الأولى
١٣	الفصل الثاني : أفريقية ذات نسيج حضارى واحد
	الفصل الثالث : تجارة الرقيق كمقدمة للاستعمار
٢٢	والعنصرية
٣٤	الفصل الرابع : الفلسفة العنصرية بوجه عام
٥١	الباب الثانى - العنصرية والاستعمار
٥٣	الفصل الأول : ارتباط العنصرية فى أفريقية بالاستعمار
٥٩	الفصل الثانى : العنصرية فى المستعمرات البرتغالية
٧٦	الفصل الثالث : العنصرية فى جمهورية جنوب أفريقية
٩٣	الفصل الرابع : العنصرية فى جنوب غرب أفريقية
٩٧	الفصل الخامس : العنصرية فى روديسيا الجنوبية
١٠٩	الفصل السادس : العنصرية فى زامبيا ( روديسيا الشمالية )
١١٣	الفصل السابع : العنصرية فى ملاوى ( نياسالاند )
١١٦	الفصل الثامن : العنصرية فى كينيا
١٢٦	الفصل التاسع : العنصرية فى تانزانيا
١٣٢	الفصل العاشر : العنصرية فى أوغندا
١٧	الفصل الحادى عشر : العنصرية فى غرب أفريقية
١٤٤	الفصل الثانى عشر : العنصرية فى الكونغو ( ليوبلديفيل )
١٤٨	الفصل الثالث عشر : العنصرية فى المغرب العربى قبل استقلاله
٢٢١	

صفحة

١٥٧	الباب الثالث - غروب العنصرية
١٥٩	الفصل الأول : ثورة الشعوب على التفارقة العنصرية .
١٩٢	الفصل الثاني : المجهودات الدولية لكافة التمييز العنصري
٢٠٧	خاتمة . . . . .
٢١٧	مراجع . . . . .









دار الكاتب العربي للطباعة والنشر  
بالمطبعة

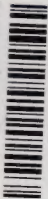
العدد ٢٠٢

ص

التمن ٣٠

١٩٦٧/١/٢٩

0  
Bibliotheca Alexandrina



0913600